طرق الإبداع الصحفي

الأستاذ الدكتور
عطا الله الرمحين

الوراق
للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com

طرق الإبداع الصحفي

تأليف

أ.د.عطا الله الرمحين

الطبعة الأولى

2013





٠٧٠,٤

الرمحين، عطا الله عسكر

طرق الإبداع الصحفي/عطاالله عسكر الرمحين

_عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ .

(   ) ص.

ر.أ. : (٨٤٧/ ٣ / ٢٠١٣) .

الواصفات :/الصحافة//وسائل الإتصال الجماهيري/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN : 978 - 9957 - 33 - 334- 8 (ردمك)



مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع

شارع الجامعة الأردنية – عمارة العساف – مقابل كلية الزراعة – تلفاكس 00962 6 5337798

ص . ب 1527 تلاع العلي – عمان 11953 الأردن

e-mail : halwaraq@hotmail.com

www.alwaraq-pub.com - info@alwaraq-pub.com

المحتويات

المقدمة

المسألة الأساسية للصحافة المعاصرة - هي مسالة الفاعلية والتأثير الإعلامي لذلك استجاب الباحثون في وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية إلى حاجات الممارسة الإعلامية، و ركزوا انتباههم الى جوانب النشاط الصحفي كلها، و بالتحديد الى فاعلية الصحافة والراديو والتلفزيون.

وتعد الإدارة المهنية الواعية لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية الاعلامية العامل الحازم المؤثر في عمل الصحافة في الوقت الراهن. والعقل الجماعي في هيئة التحرير مفيد للصحفيين والموجهين الأساسين لطاقاتهم الإبداعية في إطارات حيوية المسائل الحيوية في حياة المجتمع. وتتضمن وحدة النظرية و الممارسة فالعمل الصحفي و نشاطاته المتنوعة العمل الأمثل لكل أنظمة وسائل الإعلام والدعاية، وتوحد أعمال مختلفة في سياق التطور والتحديث الاقتصادي والسياسي والثقافي اساسي في هذا الاتجاه، وفي نفس الوقت تكون ظروف عمل أفضل من أجل الكشف الكامل للقدرات الإبداعية للصحافة بشكل عام ولكل صحفي على حده.

لقد أصبحت الصحافة في الظروف المعاصرة، العنصر الهام في التركيب السياسي للمجتمع، وأحد العوامل البارزة للإدارة الإجتماعية. فهي تضمن التأثير الفعال المباشر والغير المباشر للتواصل الإعلامي. وتعنى بالأوضاع السياسية المتواصلة، والمنطلقة من المنظمات الإجتماعية والتنظيمات الحزبية والحكومية والمؤسسات الإعلامية الخاصة وتضع توجهات سياسية وإتجاهات مختلفة في الرأي العام وتحقق الوعي السياسي. وتقود الصحافة وتسرع التطور الإجتماعي وتؤثر على الوعي الإجتماعي والممارسة الإجتماعية.

إن جمهور الصحافة ينشط بشكل ملحوظ، يقرأ الصحف والمجلات ويستمع إلى الراديو، ويشاهد التلفزيون، ولديه حاجات وإهتمامات ومصالح وأهداف معينة. ويطالب وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية بتحسين نشاطها، وبأشكال وطرق جديدة للعمل الإعلامي.

وقد أشارت الدراسات الإعلامية الحديثة، إلى أن الصحافة حتى الآن لم تستخدم كل طاقاتها، وإمكاناتها المتوفرة (لا سيما في البلدان النامية)، ولم تظهر تأثيراتها وفاعليتها على المسائل الكبرى التي تعاني منها الشعوب، في سياق تطورها الإجتماعي. وفي حالات كثيرة تتجنب الموضوعات الإجتماعية الهامة الجذابة الملحة.

كل هذا مرة أخرى، يقود الباحثون للمطالبة بتحسين نشاط وسائل الإعلام الجماهيري وتطوير الخبرات المهنية للصحفيين.

وتكتسب أهمية خاصة للأعمال الفكرية والإيديولوجية والسياسية والتربوية المرتبطة بالظروف الموضوعية لعمل الصحافة في الوقت الراهن. فكل مقالة في الصحيفة، أو المجلة، وكل برنامج إذاعي أو تلفزيوني من الضروري تفحصه كحديث جدي مع الناس الذين ينتظرون ليس فقط عرض الحقائق ووضعها في إطار مقال ملفت للنظر، وإنما تحليلها بعمق والخروج بنتائج جديدة.

إن رفع فاعلية العمل الإعلامي، لا يتحدد فقط بفاعلية العوامل الموضوعية (الظروف الإجتماعية – الاقتصادية – التنظيمات السياسية للمجتمع، ونموذج الإدارة الإجتماعية)، وإنما أيضا بأفعال العوامل الذاتية المتعلقة بتنظيم العمل ودرجة التأهيل وقدرة الصحفيين على ذلك. وهناك مجموعة من المسائل الملحة من الضروري إبرازها و التي تسمح باستكشاف التأثير المتبادل للحوار الفكري، والمواقف الحزبية، وطرق النشاط الصحفي، وإمكانية تثبيت القناعات الوطنية للصحفيين، وإتباع جملة من الطرق المهنية التي تضمن المستوى الضروري لإتقان المهنة والتعامل مع مضامينها بصدق وإخلاص. هذه المسائل ينظر إليها على أسس النظرية العلمية للصحافة، والتي على أساسها تعد وسائل الإعلام الجماهيري أداة للحوار السياسي والعامل المساعد لتكوين الرأي العام والتأثير في الممارسة الإجتماعية.

وهكذا، تتطلب المهام الإجتماعية الهامة إعداد طرق مناسبة للنشاط الصحفي، تتجاوب مع حجم الأهداف الصحفية وطابعها، آخذة بعين الاعتبار خصائص صلاتها المتبادلة مع الجمهور.

وقد أكد الباحث الروسي والأكاديمي المعروف فاراشيلوف (على الصحفي الملتزم ولو قليلا أن (يمتلك قناعة محددة)، ونوايا حسنة وصوت واضح، وهذا يتطلب منه أن يمتلك عقلا كبيرا، ووضوحا في أفكاره وآراءه، وأسلوب جذاب، ومعرفة عميقة) هذه الخصائص تساعد على التوجه في نظرية الصحافة التي تسلط الضوء على منهجية وطرق الإبداع الصحفي التي ظهرت في الأعوام العشر الأخيرة، في بحوث عالمية متنوعة)، أرست وأقرت مبادىء الصحافة العالمية التي تتحقق في أعمال معرفية دقيقة وفي وسائل التأثير والإقناع الفكري والأيديولوجي والإجتماعي والنفسي على الجمهور. فالصحافة، تستخدم نظريا وعمليا وأمبيريقيا بشكل خاص طرق التحليل وتضمن التأثير المتبادل للطرق النظرية وطرق التصوير الفني للواقع.

في هذا البحث العلمي المثمر، كان الهدف ليس فقط الحصول على نتائج إيجابية، وإنما تبيان الجوانب غير المبحوثة (المدروسة) للمادة نفسها.

إن برنامج عملنا هذا، يتطلب الأخذ بعين الإعتبار المستوى النظري وحاجات الممارسة. وهذه الطريقة تعطي إمكانية: أولا - تحقيق الحل الشمولي لمسائل فاعلية وتأثير الكلمة الصحفية، ثانيا: تأكيد (أسس الإرتقاء والتطور) النظرية العلمية وتبيان الجوانب المستقبلية للمعرفة العلمية عن الصحافة، والإعلام، التي تسمح في المستقبل استنباط الجديد، ومعطيات نظرية -تطبيقية - عن طرق الابداع الصحفي. وقد أخذ بعين الإعتبار في سير البحث، إن الصحافة تشكل النشاط الإجتماعي و السياسة الراقية تتطابق مع حالات النشاط الإبداعي المشروط بمصادر الإبداع الإجتماعي -التاريخي الذاتي السيكولوجي.

وينظـر إلى الـصحافة المعاصـرة كعنـصر إبـداعي في نظـام العلاقـات الإجتماعيـة -الـسياسية الـتي تـؤثر علـى عمليـة إعـادة البنـاء وتحـديث النشاط الإعلامي.

وتتحدد ملامح الصحافة العلمية قبل كل شيء بالأهداف السياسية الماثلة أمام المجتمع، والحاجة لكل المهام المعاصرة، التي تحتاج لطريقة إبداعية حقيقية لتناول الأحداث والظواهر في (التاريخ المعاصر) إن الطبيعة الإبداعية للصحافة يجب أن تجاوب على الأسئلة الماثلة بشكل نوعي وأن تلبي الحاجات الإجتماعية في الإعلام الإجتمـاعي ((أي الحاجـة للمعرفـة، والمعـايير، والقـيم، وزيـادة وعي المواطن)) وأن تبرز القـرارات الـتي تـضمن ضبط النشاط الحياتي للفـرد، وللشرائح والطبقات الإجتماعية في المجتمع بـشكل كامـل وان الـصلات المباشـرة لإبـداع الـصحفي بالـسياسة (لـيس فقـط علـى الـوعي الـسياسي، ولكـن علـى الممارسة السياسية)، تشير إلى البيعة الروحية لهذا النوع من الإبـداع، وتـشهد علـى وجود مجالات مختلفة ومستويات للإبداع، التي تشمل لـيس فقـط قطاعـات الحيـاة الروحيـة، كـالعلوم، والفـن، وإنمـا نـشاطا تجديـديا. محـددا في قطاعـات الإنتـاج والثقافة والإدارة بشكل عام، والإدارة الإجتماعية والسياسية الإيديولوجية بـشكل خاص. إن البدايـة الإبداعيـة للـصحافة -توجـد لـيس فقـط في كتابـة النـصوص وإنما أيضا في إختيار الموضوع.

إن العمل مع رسائل المواطنين، العمل من أجل موضوعية الخطـب النقديـة، والعمل الجماهيري لهيئة التحرير، النشاط التنظيمي للـسيكرتاريا، القيـام بحمـلات إعلامية طويلة الأمد مسائل ضرورية للصحافة في مجال الإبداع.

فالإبداع في المعني الواسع للكلمة يمكن وصـفه كاكتـشاف اجتمـاعي جديـد بشكل كامل، مثل هذا النشاط يطلب منه العثور علـى طـرق تطبيقيـة عمليـة غـير معروفة في هذا النشاط، الذي يقود إلى نتائج أصلية وإلى نوعية عالية لنتاج العمـل. لذلك، تعد مسألة الإبداع، من الطرق التكوينية لنظريـة الإبـداع الـصحفي الأكثـر

حيوية ودقة علمية وعملية تطبيقية، ومن الطرق المهنية الحيوية الدقيقة فهي تخصصية في نماذجها الإجتماعية (الجانب الإجتماعي- التاريخي للمسألة)، و في الوقت نفسه بعمقها الذاتي المتكيف مع سيكولوجية متنوعة للصحفي المعني (الجانب السيكولوجي للمسألة). فبقدر ما تكون المقدمات الإبداعية الإجتماعية - التاريخية في المقدمة، بقدر ما تبدأ البحوث بشكلها المتنوع بالمسائل و بالطرق التطبيقية التي تعمم التجربة العملية لكثير من الصحفيين. وهذا بشكله الكامل لا يعني التقليل من قيمة الإبداع السيكولوجي بتحليل الإجراءات المعرفية، والبحث في المراحل الأساسية للإبداع، وتحليل الأفعال التطبيقية للصحفي.

و عند الحديث عن طرق الإبداع، من الضروري ربط التداخل بين المعاني الفلسفية الهامة، والنظرية الصحفية بمفهومها المنهجي ذاته. فالمنهج العلمي، يظهر كعلم فلسفي عن طريق المعرفة، و تكوين الواقع حيث يطبق المبادىء العقائدية على عملية المعرفة، و الإبداع و الممارسة. وهو يأخذ إقرارا و تطورا في مناهج عامة و خاصة للنشاط(النظري -العملي) و يكون الأسس الفلسفية العقائدية للإبداع الصحفي. (إن المبادىء المنهجية للدعاية المطبوعة لا يمكن أن تكون مبعدة أو مهمشة) خارج التطورات المجردة أو ببساطة (موجودة) في الواقع الموضوعي. فهي تعكس العملية الإبداعية للمارسة الدعائية للصحافة المعاصرة، وتعد بشكل علمي متطورة على أسس تحقيق هذه الممارسة.

إن مبادئ الصحافة الحضارية- الشعبية- الديمقراطية- هي المبادىء المنهجية وتبرز كأساس ثابت في عملية الإبداع نفسها.

وعندما تحقق الصحافة الوظيفة الإجتماعية للصحفي المنظم الجماهيري تملك مادتها وشكل منشوراتها وبدون شك تقدم لنفسها طرقها العضوية التي تسمح في أهدافها الإجتماعية عمليا تحقيق مستوى الفاعلية للكلمة الصحفية. وهنا تجب الإشارة إلى أنه من الممكن مساواة الطرق المنهجية بالأفعال التطبيقية المبتذلة فقط مع ظهور " الفكرة الصحية".

فالطرق المنهجية تعد نتاج للتصميم وتتجسد في أسس الموضوع المطروح وفي طبيعة العلاقات الإجتماعية التي تولد الصحافة.

والتي في دورها تخدمها، إن طرق الإبداع الصحفي مرتبطة بالايديولوجيا وبالتوجه السياسي وبعقيدة الصحفي وهي تملك مقدمات فلسفية ومنهجية فالصحافة عندما تملك خزينة قوية من الطرق الإبداعية تتجدد بشكل دائم وتتحسن مع التغيرات في الواقع الإجتماعي وفي عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية.

إن التفكير واتخاذ العبر من الممارسة الصحفية -تعد إحدى المهام الأساسية لنظرية الصحافة. وأكثر من ذلك، تعني هذه التجربة بشكل خاص وبنشاط في مجالات المناهج والطرق المهنية لممارسة الصحفيين.

إن بنية هذا الجزء من الكتاب تتحدد بأهداف: البحث في الباب الأول: يتفحص الأسس العقائدية للإبداع ويؤكد الصلات بين خصائص الإبداع الشخصي الصحفي وطرق نشاطه كما انه يتحدث عن "تكنولوجيا" محددة للعملية المعرفية في الصحافة.

وفي الباب الثاني يعار الإنتباه الأساسي للطرق الامبيرقية "الملاحظة، التحليل، والتوثيق" وللأفعال المتبادلة للطرق والفنون وللعوامل التي تؤثر على فاعلية الخطاب الإعلامي.

وفي الباب الثالث، يدور الحديث عن الطرق التنظيمية الإبداعية للنشاط الصحفي التي تضمن عملا امثل لهيئة التحرير والمراقبة من أجل فاعلية النشر الصحفي وتعزيز صلات هيئة التحرير مع المراسلين خارج إطار هيئة التحرير.

الفصل الأول

الأسس المنهجية لإبداع الأدب الإجتماعي



الأسس المنهجية لإبداع الأدب الإجتماعي

يتم البحث في الأعوام الأخيرة عن عمليات ابداعية في نظرية الأدب الإجتماعي، وتدريس طرق الحصول على نتائج جديدة لتزيد من فاعلية النشاط الإبداعي. ويقترب مؤلفو الأعمال العلمية من المسائل المنهجية من عدة جوانب وهي:

- ❖ من التجربة الابداعية للأستاذة.
- ❖ من التفكير المنطقي العلمي الفني.
- ❖ من مطالب الجمهور.

إن هذه القوى والإتجاهات المختلفة للبحث تبين أهمية المسائل النظرية للأدب الإجتماعي

وبهذا الخصوص يمكن الحديث عن مستوى نضوج العلوم ، وعن أوضاع المسائل المنهجية، لأن التراكم (ضروري وكاف) من أجل المعرفة النظرية، وعلينا إدراك ضرورة الانتقال أو التحول إلى اللاحق، ذا المستوى العالي من الممارسات البحثية.

وعند الإجابة عن السؤال:

كيف يتكون الإنتاج الأدبي الإجتماعي ؟

لا يحل العلماء المهمة التالية للعلوم فحسب، بل يأخذون إمكانية تطبيق المعرفة المأخوذة من التجربة، التي تساعد على النشاط الفعال للأدباء الإجتماعيين.

. والسؤال هو: هل من الضروري توفر نظام فعال وتصورات دقيقة عن منهجية الإبداع في الأدب الإجتماعي؟ وبالإجابة عن هذا السؤال يتعزز رأي الباحثين المهتمين بحل مهام معينة، مما يسمح بالتحرك بسرعة لتحقيق النتائج

العلمية المنهجية المطلوبة ولكل قطاع من قطاعات الأنشطة نظام خاص مؤلف من مجموعة من الأنظمة والطرق القابلة للتطبيق وتضمن بشكل كامل حلول صحيحة لجميع المسائل التي تقف أمام هذا النشاط.ويعد المنهج واضحاً ومفهوماً عندما يتعلق بطرق تطورالمنهج نفسه بما فيه الإبداع الأدبي الإجتماعي .

وعند تحليلنا لجوهر ((المنهج)) (ميتودس) بمعناه الحقيقي، فإنه يعني: الطريقة أو الطرق للدراسة والعرض والرؤية).

إن مسألة المنهج في نهاية الأمر مرتبطة بشكل عضوي مع العلوم مع الأدب الإجتماعي كنوع ابداعي. وتقوم أنظمة الحالات العامة لهذا النوع الإبداعي بدورها (الوظيفي المادي المنهجي كذلك المحتوى، الشكل) تضم مجموعة من مواصفات المنهج، ولذلك فإن إعداد المسائل المنهجية للإبداع الأدبي الإجتماعي تكتسب صفة الشمولية، هذه إحدى النظريات المكونة للإبداع الأدبي الإجتماعي. وفي هذه الحالة المنهجية تشغل أوضاعاً (وسطية) بين الحالات (الوظائف – المادة)، ومن جانب آخر (المحتوى والشكل).

وبفضل مكانته فهو مدعو لأن يلعب دور العامل الانتقالي من الوظيفة والمادة إلى المحتوى والشكل

تحليل المنهج =: إن تحليل منهج الأدب الإجتماعي يتطلب حل المسألة عن ما هو ضروري معرفته بالنسبة للكاتب الإجتماعي، ووفقا لذلك فإن المهام التي تقف أمامه هي تكوين إنتاج موحد في المحتوى والشكل لتجسيد الوظيفة والمادة من خلالها. ويحدث تقسيم واضح في مفهوم المنهج معطيا قسمين: منهجية الدراسة، ومنهجية الرؤية.

منهج الدراسة =: هو نظام من طرق إدراك ظواهر الواقع وفهمها، يطبقه الكاتب الإجتماعي في تناوله لفهم الظاهرة المنظور إليها في ملامحها الجوهرية وخصائصها ويكشف طبيعتها وملامحها الحتمية وحركتها ووظيفتها وتطورها

وصلاتها وعلاقتها مع ظواهر أخرى على أسس منهج الدراسة فإن الكاتب الإجتماعي يقيم الظاهرة على ضوء ميوله. ويعد اقتراحات ونصائح وطرق ووسائل بلوغ الأهداف المرجوة وبكلمة أخرى، منهج الدراسة يسلح الكاتب الإجتماعي بطرق الإعداد الواعي والتي تحوي أخباره الضرورية.

منهج الرؤية: هو نظام من أنظمة تصورات الجمهور المأخوذ في سير ادراك المادة، هذا النظام يضم المعرفة والخبرة في البراهين والسرد والتوسع في الإثبات وعرض الوقائع وكذلك طرق العمل المتبادل مع الجمهور الذي يضمن الإنتباه ومصالح الجمهور، ويساعد على اليقظة والوضوح والرضى والتصورات الفعالة.

في إطار منهجية الإبداع في الأدب الإجتماعي، تعد مناهج للدراسة ومناهج للرؤية، وتكتسب أهمية خاصة للعلاقة الوثيقة بين الجانبين، ومن المهم معرفة المناهج التي يستخدمها الكاتب الإجتماعي وكيفية الحصول على مناهج فعالة تطبيقية في الممارسة. لكن التناقض الظاهري ينحصر في أن توجه العلوم عن الأدب الإجتماعي إلى مسألة تطبيق الأسس العلمية المستقلة في المنهج يمكن أن تكون ذات فائدة قليلة، في حال إذا نظر لهذه المسألة من منظار الإستقلال عن الحالة الوظيفية والمادية والمحتوى والشكل في الحقيقة، عندما يتوقف الباحث هنا لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار الحالات المتنوعة للأدب الإجتماعي من جانب الوظيفة والمادة والمحتوى والشكل أو يحذفها ويضعها في المكان الثاني غير آخذ بعين الإعتبار المنهجيات، أو يرفض التصورات العملية عن هذه المفاهيم النظرية طالما تتواجد وجهات نظر مختلفة ولذلك فهو بشكل حتمي يبدو عام وليس لإبداع طريقة خاصة في المنهج.

وعليه: في مثل هذه الحالة (الإنتقال على أرضية المعرفة الإجتماعية) عن المناهج التي أعدت في علوم أخرى، وقبل كل شيء في العلوم الفلسفية (منهجية الفهم العلمي، ومنهجية المعرفة الإجتماعية)، وكذلك في مجموعة أخرى من العلوم

التي تتعامل بدراسة هذه أو تلك من الظواهر الإجتماعية (علم النفس، المنطق، علم الإجتماع، علم الفقه، علم الآداب، علم التاريخ... الخ).

نتائج هذه العلوم لا يمكن أن تكون مفيدة بدقة، لأن أي منهج يطبق في علوم إجتماعية مختلفة بهذا الشكل أو ذاك يمكن أن يكون مستخدما في الأدب الإجتماعي. على سبيل المثال: مبدأ التاريخية أو مبدأ الرصد أو المراقبة والمطالب الدقيقة أو قانون الاستثناء هل يطبق في الأدب الإجتماعي؟ مع ذلك بحجم كامل، بوضوح الجواب الأكيد ليس عليه أن يولد الوهم من المسألة نفسها. استخدام المناهج المعروفة في مجالات أخرى مؤهلة لان تحدث فائدة في الأدب الإجتماعي، ولكن هل يمكن أن تتحد في هذا الإنتقال؟

عن هذا السؤال يجب أن نجيب بشكل سلبي. في الواقع، إن هذه الحالات (الإنتقال البسيط) تملك أساسا ليس حتميا محددا يعتمد على براهين وحجج دقيقة، ولكن على حجج بديهية أولية قائمة على الرصد والمقارنة وعلى فرز الاحتمالات، والتحدث لمصلحة البحوث الإضافية. ما عدا ذلك المنطق العقلي يمكن ببساطة أن يعطي مظاهر متنوعة:

أولا: أن يقود نحو الإختيار الناقص لمناهج علوم أخرى، بقدر ما يستند البحث ليس الى البحث الحر (وإذا كان ذلك...)

ثانيا: امكانية الفرز – اضافة إلى العدد المطلوب استخدامه من المناهج في الأدب الإجتماعي، والذي يستطع أن يطبق في الأدب الإجتماعي مع تحديدها أو رفضها.

ثالثا: وحتى في ظروف الإختيار البديهي تلك المنهجية للأدب الإجتماعي حيثما تتحول إلى خليط وليس بشكل أنظمة لتنظيم المعارف عن مناهج الإبداع في الأدب الإجتماعي.

وفي النهاية لا يمكن أن تحل المسألة عن خصائص منهجية الأدب الإجتماعي بقدر ما هي مستعارة، ولكن دور الباحث سيقود إلى تحليل مناهج مجالات أخرى من الإبداع.

ومن هنا نقول: رغم أن (الانتقال) مهم ومفيد ويمكن أن يكون في المرحلة الأولى لإعداد منهجية الإبداع في الأدب الإجتماعي، وضروري رغم أن النقص واضح فيه. ومن الأفضل فهم هذا في بداية الطريق والعمل على تصحيحات موافقة في البحوث المنهجية أكثر من انتظار التجميع أو التكدس، والتي تعطي عن نفسها معارف التناقضات الداخلية في أنظمة الوعي المكونة لها.

المنهج مع هذا يمكن أن يكون (متحولا وتكيفا وتعديلا واشاعة الأنظمة..) كنتيجة متكدسة للمعرفة من أجل الحركة اللاحقة في هذا القطاع.

المعنى المنهجي والأهمية في هذا الجانب: تملك أي معرفة عن حتمية الأدب الإجتماعي الذي يستخدم في سير الإبداع من تشكيل الفكرة الأولى حتى التصحيح النهائي، فإذا كان ذلك فيمكن التحدث بأن منهجية الأدب الإجتماعي تملك جانبان:

جانب داخلي (معارف نظرية عن حتميتها)، وجانب خارجي (المعرفة عن جوهر المناهج والطرق وإستخدامها في سير حل المهام الإبداعية المعرفية). مع ذلك فإن الجانب الخارجي يترابط مع الجانب الداخلي بشكل دقيق بالإضافة إلى انه يتشكل على أساسه ولنفسه. وهكذا

منهجية الإبداع في الأدب الإجتماعي هي نظام مستخدم في العمليات الإبداعية للمعرفة عن حتمية الأدب الإجتماعي الذي يجد لنفسه تعبيرا دقيقا في العلوم عن الجوهر والأنظمة والطرق وتطبيق مناهج الدراسة التي تقود إلى حلول فعلية للمهام الإبداعية، هذا التحديد بالطبع لا يمكن أن يدعي الكمال. تكمن أهميتها في الإشارة لحيوية المعرفة المنهجية، ومواصفاتها ذات المحتوى في البحوث اللاحقة.

المعرفة النظرية عن الأدب الإجتماعي (وظائفه ومادته محتواه وشكله) تقف بمثابة مقدمة منهجية لإبداع الأدب الإجتماعي، الذي يشكل توجها ابداعيا ويحدد طابع نشاط الكاتب الإجتماعي ويظهر في كل خطوة من خطوات النشاط. فإذا ألحقنا التصور عن الإبداع في الأدب الإجتماعي و اسقطناه على اعمال ممثليه الكبار: مكسيم غوركي، نجيب محفوظ، وأرنست همنغواي، وحنا مينة... فاننا نرى في ممارستهم الإبداعية سهولة في الحصول على الترابط أو التناسق الدقيق بشكل كامل.

إن الصلة الوطيدة للتصورات النظرية والممارسة الإبداعية تملك ليس جانبا نظريا فحسب، ولكن اهمية عميقة في تطبيقه من أجل تشكيل مفاهيم واضحة عن القواعد والحالات التي تكشف جوهر الأدب الإجتماعي. فهم الحالات النظرية الأساسية وبالتالي تقديم منهجية أساسية للإبداع في الأدب الإجتماعي، وإذا بنيت النظرية الأدبية الإجتماعية على قاعدة التوجه الإبداعي فإن نظرية الإبداع في الأدب الإجتماعي بعناصرها المختلفة تعطي توجها للبحث والفرز البحث عن مناهج وطرق للتحليل، تطبق هذه أو تلك من المناهج في الأدب الإجتماعي والطريقة لإظهار الطابع الخاص لنشاطها في الأدب الإجتماعي، وأساسا من أجل تشكيل تصورات عن أنظمة المناهج وكذلك أساسية لتطبيق المناهج في سير الإبداع، وبهذا المعنى فالمعرفة النظرية تكون منهجية للإبداع في الأدب الإجتماعي.

المهمة الأساسية للأدب الإجتماعي تنحصر في تشكيل الرأي العام، ومن خلال وسيلة تأثير على الممارسة الإجتماعية، وعندئذ الرأي الصادق ينتشر بشكل واسع ويقود نضالا ضد الأفكار غير الصادقة بخصوص الظواهر غير الواضحة، وبهذا الشكل تستمر المطاردات و هنا على الباحثين أن يقوموا ببحوث منهجية لكي يسلحوا الكاتب الإجتماعي بمجموعة من المناهج لتحقيق هذه المهام وبالصلة مع هذه البحوث المنهجية تدخل دراسة جوهر الرأي العام، بشكل حتمي، كظاهرة

إجتماعية معرفية. كنظام للوعي الجماهيري انطلاقا من الفكرة التالية ((النشاط الفعال يمكن أن يكون فقط في ظروف المعرفة المتعددة الجوانب والأخذ بعين الاعتبار جوهر وتركيب موضوع التأثير، أي على أساس مبدأ الحتمية)) لذلك شرح أو تفسير كيفية تشكل الرأي العام ، وما هو تركيبه وعلاقته وأنظمة الوعي الإجتماعي، يشترط ملامح متطابقة منهجية للإبداع في الأدب الإجتماعي فكما أن الرأي العام هو لوحة للمعاصرة وبانوراما لحياة المجتمع الجارية (أحداث، عمليات، ظواهر، مسائل، أفعال، مواصفات...) قائم على تماسك كامل في فهم العالم، وبفضل ما يوجد في هذه اللوحة من تشابك عناصر عقلية مفهومة واستعارات تأثيرية فإنه، بشكل كامل وواضح، ضروري ولدرجة كبيرة لتطبيقات مناهج البحوث العلمية في الأدب الإجتماعي، وكذلك الفهم الفني للعام. مع ذلك وبالطبع هذا التصحيح عليه أن يأخذ بعين الاعتبار خصائص هذه الظواهر المتنوعة كظاهرة الرأي العام. إن التحول الميكانيكي المتوافق مع جوانب المنهج العلمي والفهم الفني للحياة كان حقيقة غير مفيده على الإطلاق رغم أن التطبيق المبدئي للطرق العلمية والفنية في وحدتها وبالصلة بالتركيبات المعرفية الخاصة للرأي العام لا يمكن أن لا تتعرض للشك. لذلك عند دراسة المسائل المنهجية للأدب الإجتماعي لا يمكن تجاوز المسألة عن الصلة الوظيفية للأدب الإجتماعي بالرأي العام.

من وجهة نظر الكثير من الباحثين لوحة الحياة التي تتكون من الرأي العام وفقا لموضوعية الواقع الحالي متحركة بشكل كبير ومرتبطة في التغيرات والظروف المعاصرة. وفي هذا الخصوص الأدب الإجتماعي بشكل حتمي يصبح تاريخا للمعاصرة.

التاريخ في هذا المعنى: مجموعة الإنتاجات الأدبية الإجتماعية المتعاقبة والمتلاحقة تظهر حركة الحياة كأعمال إجتماعية مختلفة، مع ذلك الأدب الإجتماعي

في إطارات الفهم العلمي للحياة يتجه ليس نحو التحليل النظري للظواهر الباقية فحسب، بل نحو المنهجية التاريخية لدراسة (النشوء، التغير، التطور).

في أي حجم وبأي صلة وبأي شكل تطبق، في هذا الخصوص، المنهجية التاريخية؟

الجواب عن هذا السؤال، يمكن أن يؤخذ من نتائج بحوث خاصة لكن الضرورة تكمن في تنفيذ خطوات سريعة نحو البحوث المنهجية التاريخية، بشكل واضح، لا سيما في العلاقة مع المهمة الأساسية للأدب الإجتماعي.

وتلعب المعرفة من مادة الأدب الإجتماعي دورا فعالا أيضا، والتصورات واضحة لأي شكل من تاريخ المعاصرة، مما يعد طريقا للكاتب الإجتماعي (رغم أن المعاصرة موضوع لمجموع من العلوم النفسية والتاريخية والإحصائية والديمغرافية والبيئية...).

والسؤال هو: كيف ترى المعاصرة في الأدب الإجتماعي(وفقط فيه)؟.

إنه نقطة الانطلاق الهامة من أجل التوجه لحو الأهداف للبحث المنهجي، فهناك نلاحظ العلاقة بين ما يقام به وتلك المنهجيات المعرفية. ولكي يتم (خدمة النشاط الإبداعي المعرفي على المنهج أن يكون جامعا لمادة المعرفة وشاملا لما يحيط بها بشكل ضروري وكاف لعكس تلك (اللقطات والجوانب والمقاطع) المعاصرة، التي تكون جزءا من قطاع مادة علم الأدب الإجتماعي، ومهما يكن، فإن جميع تقسيمات المعاصرة في أي موضوع تجعل المادة تحافظ على أسسها الطليعية.

لذلك عند تأسيس إنتاجات متعددة في إطارات النوع الأدنى الإجتماعي للإبداع بهذا الشكل أو ذاك تطبق أنظمة مناهج الأدب الإجتماعي في مجملها، رغم تفاوت الأنواع المختلفة، واختلاط الصلات المختلفة، وتغير العلاقات مع المهام المحددة وخصائص القطاع المادي وموضوعه والفنون وأشكالها ولذلك فان الإبداع الذاتي للمؤلف...الخاصة الأساسية لمادة النشر كتاريخ للمعاصرة ذات الرؤية

الحداثية للحياة، هذه الخاصة متعلقة بوظائف الخصائص، ومرتبطة بشكل مباشر مع الرأي العام، الذي يسجل (الكمال، الأجزاء) للحياة في كل تنوعاتها الكثيرة الداخلية. وبفضل هذه الخاصة التي تظهر بالطبع في ركائز متنوعة يصبح ضروريا بشكل كبير. بالنسبة للكاتب الإجتماعي له أن يمتلك منهجية التحليل المنتظم للظواهر الآجتماعية وأصولها ووظائفها وتطورها، وأن يملك تفكيرا نفسيا وكذلك الخلط السياسي والجمالي والاقتصادي والأخلاقي والحقوقي والطرق الفلسفية لتحليل ظواهر الحياة، وهذا كله مطلوب أن يتواجد لدى الكاتب الإجتماعي يحافظ عليها بغض النظر عن أي تأثير ينطلق من الاقتصاد أو الأخلاق أو الفلسفة في دراسة هذه أو تلك من الظواهر...

عند تأليف الإنتاج فإن الكاتب الصحفي لكي يحقق فاعلية عالية من التأثير لدى الجمهور فمن الضروري إستخدام تلك الطرق التي تضمن تأثيرا أمثل وتسهل الفهم والإدراك مع الأخذ بعين الاعتبار قوانين الفهم والاستذكار والإنتباه... لذلك وبشكل خاص الأدب الإجتماعي محسوب حسابه للجماهير الغفيرة، والمنهج الخاص للرؤية التأثيرية والحركة من البسيط إلى المعقد وطرق التكرار الإحتمالي أو التركيزي والتوجه نحو الأشكال الحوارية والسرد...

وبكلمة أخرى يمكننا القول: إن منهجية الرؤية متعلقة بقوانين فهم الإنتاج الأدبي الإجتماعي، مثل منهجية البحث من خاصة هذا النوع المعرفي الإبداعي للنشاط. وهكذا فالمعنى المنهجي وأهمية المعرفة النظرية الإجتماعية بشكل كامل واضحة، والفهم الواضح لجوهر الأدب الإجتماعي يقوم به العامل الحتمي للصياغة في العلوم عن منهجية الإبداع، وتعتبر النظرية أساسا من أجل إنتاج المنهج، وكل الطرق الأخرى: الحدسي والأولي والميكانيكي..

في ظروف إمكانية النجاحات الخاصة (الإصابة المباشرة لا يمكن أن تقود إلى توسيع الأنظمة الكاملة للمناهج بدون تحريف كبير أو حتى أخطاء.

ومن هنا فمن الضروري التوسع اللاحق للبحوث والنظرية الإجتماعية ومن المهم لتحليل مختلف المجالات، ومن الضروري محاولة العثور على حلول تساعد على شرح الحقيقة وتعمق قاعدة البحوث المنهجية اللاحقة).

ومن الضروري اختزال ملامح قطاع المعرفة المنهجية فهي بشكل تركيبي مرتبطة ببعضها البعض. بقدر ما يخضع علم الاجتماع لقوانين عامة للمعارف الإجتماعية العامة فإنه من الضروري أن يحتاج لمعرفة عامة تضم في نفسها أوضاعا خاصة علمية فلسفية اقتصادية سياسية... وكذلك بالطبع نظريات خاصة للمعرفة الإجتماعية التاريخية مثل (نظرية الفرد، المنطق الديالكتيكي، العلوم السياسية والأخلاقية والجمالية، ونظرية المعرفة الفنية...)، أي: كل ما يعطى لفهم الواقع والتوجه المبدئي ذا الطابع العقائدي العام وضمان الوعي العلمي في عكس تاريخ المعاصرة.

ليست صدفة بأن الكتاب الكبار في كل عصر أصبحوا مفكرين بارزين.

ولكي نفهم أي دور في النشاط الأدبي الإجتماعي لأن تلعب "المعرفة المنهجية العامة دورا هاما فيه".

- إن التوجه المبدئي للممارسة العلمية للأدب الإجتماعي مفيد عندما تكشف العلوم مفاهيمها وتنتشر وتستخدم في الوظائف المنهجية بشكل خاص (القانون أو معيار) في إطارات النشاط الإبداعي الواعي، وبشكل خاص: معرفة قانون الديالكتيك لقانون الوحدة وصراع الأضداد حيث يصبح أداة للمعرفة عندما يتفحص الكاتب الإجتماعي المقطتفات المقروءة للواقع ويجد ويحلل التناقضات الموجودة، ويعثر على حلول مبدئية للمسائل والحالات التي تظهر.

إن عدم القدرة على إستخدام النظرية العلمية يعرقل التوجه الإبداعي الأساسي ويقود إلى السطحية، وبالتالي إلى نتائج سخيفة. فالوعي الإجتماعي التاريخي الشامل ليس ببساطة احتياط لسعة الإطلاع للكاتب الإجتماعي، فهو أساس للمنهج الإبداعي، لذلك لا بد من إعداد خاص لمسائل منهجية عامة للإبداع الإجتماعي.

وسط هذه المسائل يعتبر من الضروري إعداد منهجية التحليل الإجتماعي لظواهر الحياة الإجتماعية ومبادىء النشاط الإبداعي (الحزبية، الشعبية، الموضوعية، الإنسانية العامة).

فهي تقف كأساس نظري منهجي للممارسة الإجتماعية في كل جوانبها.

المجال الثاني للوعي المنهجي هو منهج الوعي العلمي الفني للواقع الذي يطبق في الأدب الإجتماعي. إن تطبيق هذا أو ذاك من العناصر المستخدمة في العلوم أو الفن من المناهج يتحدد بشكل نظري على قاعدة المطالب المنهجية للأدب الإجتماعي بطرق (المقارنة) لإمكانية المنهج وحاجات دراسة الحياة الإجتماعية، لكن بدون التحقق التطبيقي لقدرات العمل للمنهج في الأدب الإجتماعي واضافته إلى نظام منهجيات الأدب الإجتماعي غير ممكن. مع ذلك كل المناهج العلمية العامة (الرصد، المقارنة، الإستبيان، الإستفتاء، دراسة الوثائق، التركيب، التعميم، التحليل، التصنيف، الإستنتاج، الإستبدال...) تعيش وتعمل في الأدب الإجتماعي على قاعدة وعلى صلة وثيقة مع المبادىء التاريخية والدقة وقوانين المنطق (الجدلية - والشكلية).

تفحص كل واحدة من هذه المناهج في التطبيق في الأدب الإجتماعي وصلاحية كل المهام الإجتماعية في ظروف التوجه نحو المادة الخاصة بشكل حتمي يقود إلى تلك المواصفات لكل منهج في إطارات المنهجيات الإجتماعية التي فيها تنكشف طرق تطبيقها لا سيما في الأدب الإجتماعي المسح (الاستبيان أو المعلومات المسجلة). فحياة المنهج في الإبداع الإجتماعي تتميز، بشكل عام، عن تطبيق اجراءات الإستبيان في الممارسات الفقهية والطبية، وفي البحوث السوسولوجية. لكن الملامح الحقيقية لهذا المنهج ثابتة وتحفظ بشكل غير إحتمالي لأنها تعمل على أسس القوانين العامة للمنهجية العلمية.

وهكذا في سير البحوث المنهجية في العلوم على الأدب الإجتماعي من الضروري مراعاة، على الأقل، مجموعتين، من المطالب:

(المطلب الأول مرتبط بالمنهجة العامة، والثاني بالمعرفة النظرية الإجتماعية)، وإلا تظهر مصاعب لا تسمح بالحصول على نتائج مرضية، وبكلمة أخرى: إن تطبيق أية صلاحيات في المناهج الإجتماعية عليها أن تقام: من جانب على مبادىء المنهجية العلمية. ومن جانب آخر على الإعتراف بخصائص الأدب الإجتماعي كنوع خاص للنشاط الإبداعي المعرفي. وفي الختام يجب الإنتباه الخاص والأخذ بعين الإعتبار الملامح الخاصة للأدب الإجتماعي، مثل التماسك المعرفي الذي يشترط إستخدام مناهج المعرفة التي تقود إلى التراكم عند الباحث الإجتماعي لتلك المعلومات والتصورات والرصد، مما يضمن الإتحاد الضروري لمفاهيم وأشكال ومقتطفات مكملة لبعضها البعض في لوحة كاملة للإنتاج ولنقل إن منهجة الرؤية أو الرصد مؤهلة لأن تحضر معطيات علمية للتعميم العلمي وللتفكير الفني وبنفس الوقت فإن التحليل العلمي والفني يتطلب بشكل دائم وحدة (التحليل العلمي) و(التحليل الفني)، والدراسة تظهر بأن التحليل العلمي في المنهجية الإجتماعية والتحليل الفني بالإضافة لمنهج الإختيار المعد وتفاصيل وأعداد- مثل هذه المسائل تظهر بشكل مركب نسبيا ومن المهم عند إعداد نظرية المناهج الوقوف على مطالب الأنظمة، لأن الكاتب الإجتماعي مطالب بالإدراك الكامل للموضوع المتجه نحوه، وبالطبع نجاح عمله ونشاطه (من وجهة نظر إستخدام المنهج) مرتبط بملكية تلك الضرورات ولاسيما بالوسائل المنهجية، لذلك عدد المناهج عليه أن يكون منظم ومحدد إستخدامها في كل حالة وأيضا أن تخضع لمطالب النظام نفسه في تطبيق مجموعة الوسائل المعرفية الكاملة عندئذ يمكن الحصول على نتائج ضرورية.

المجال الثالث للمعرفة المنهجية: هي الأسس المنهجية للإبداع الإحتمالي للنشاط المعرفي. ويمكننا الحديث، بشكل خاص، عن عدم وجود خصائص للمناهج المطبقة في الأدب الإجتماعي فقط، إن خاصة المنهجية للنشاط الإجتماعي تنحصر

ليس بما هو موجود بشكل خاص بالممارسة الإجتماعية الخاصة وغير الخاصة كنماذج أخرى للنشاط الإبداعي للمناهج، وإنما كل المناهج التي يملكها الكاتب الإجتماعي في نماذج أخرى للإبداع وتستخدم في العمليات الخاصة الإجتماعية والعمليات الإبداعية المعرفية، وبتكيفها وفقا لهذه الخاصة تكتسب خاصة محددة متعلقة بخواص القوانين الداخلية للأدب الإجتماعي. وعلى هذا الأساس، من غير الممكن التقليل من الدور المنهجي للمعرفة النظرية الإجتماعية، فهو معترف بحتمية هذا النوع من الإبداع، ويعطي صحة وحقيقة الإختيار الخاص والتكيف والتركيب والعمل المتبادل لمناهج معرفة الحياة العلمية والفنية العامة.

ومن المفيد جدا ذكره ضرورة المعرفة المنهجية والمعرفة النظرية للإبداع الإجتماعي، ودورها المنهجي (الرائد). وهكذا فإذا توسع النشاط الإبداعي وفقا لتصورات الكتاب الإجتماعيين عن هذا الموضوع، يوضح الدور الرائد والموجه للنظرية في عملية عمل الكاتب الإجتماعي. من هنا فإن ما تقدمه العلوم يعد أساسا هاما للكاتب الإجتماعي تزيد من قدراته الذاتية وخصائصه وتعمق أنظمته المهنجية المفضلة و طرق إستخدامها في الممارسة الإبداعية ، وبهذا المعنى فإن المهمة المثيرة تمثل دراسة التنوعات بملامحها المنهجية لكتاب اجتماعيين مختلفين وإعداد مسألة تناسق منهجية الأدب الإجتماعي والتنوع الإبداعي للكاتب الإجتماعي.

المبادىء المنهجية لمنهج الرؤية واحدة، والمجال الرابع للمعرفة المنهجية في العلوم عن الأدب الإجتماعي، والمأخوذة في سير البحوث الإجتماعية، عليها أن تكون (معقدة) في الإنتاج.

وهذه العملية تقودها منهجية الرؤية و بالطبع تأليف الإنتاج لا يمكن أن يكون بشكل مبدئي إنتاجا آخر، أكثر مما يولد صياغة معرفية للواقع. وبهذا المعنى مناهج الدراسة، بشكل مباشر، تظهر في مناهج الرؤية لكن من غير الممكن ترك هذا المعنى بأن الإنتاج صمم واقعيا، ويحل المسألة الإجتماعية المطروحة، ويحتوي تعميمات تعكس الواقع من موقع محدد وتحضر للجمهور مجموعة من الأفكار

المحددة. ولكي نضبط هذا المجمل من المعلومات لا سيما إذا أخذنا بعين الإعتبار تفكير الجمهور وكل غنى ومحتوى الإنتاج، فمن الضروري للكاتب الإجتماعي أن يقدم أنظمة من المناهج تساعد على حل المهام التي تظهر. إن مناهج الرؤية، مثلها مثل مناهج الدراسة، تتطلب من أجل أن تعطي ثمارا، فهما واضحا للعوامل التي تظهر، تلك المطالب التي تخرج من قوانين التأثير الأمثل للأدب الإجتماعي على الجمهور.

أن الطابع أو النظام الذي يولد عوامل منهجية الرؤية تتحدد بقوانين عمل الرأي العام، وبيسيكولوجية المصطلحة، وبأسباب ادراك (الإنتباه، الفهم، التذكر...) بهذا الخصوص إن مهمة دراسة حتمية عمل الأدب الإجتماعي في أواسط الجماهير ممتعة جدا، ومع ذلك من غير الممكن التأكيد على الحصول على كمية محددة من النتائج التي يمكن إستخدامها عند إعداد مسائل منهجية الرؤية.

وبخصوص خصائص الأدب الإجتماعي، فليست كل طريقة للرؤية معروفة للإختصاصيين وتصلح للأدب الإجتماعي. من السهولة العثور عليها من خلال منهجين متشرين بشكل واسع: الإستدلال، والإستقراء، للأدب الإجتماعي: المنهج الإستدلالي هو عضوي في جانب محدد للإنتاج يستخدم في نقاشات الكاتب الإجتماعي منطلقا من عوامل محددة، نحو (الحدث، التفكير والرؤية) اما الطريقة الإستقرائية تكتسب ملامح خاصة بفضل التعميم الذي يظهر بمعايير كشف كلية الحدث، وليس ببساطة الحقائق.

فبقدر ما يكون الإنتاج مؤثرا تأثير جدياً عندما يملكه الجمهور، بقدر ما أن الكاتب الإجتماعي عليه أن يعثر على تلك النقاط التي تلتصق بالجمهور،عندئذ ستضمن له مسألة الإهتمام ومن أجل ذلك من الضروري معرفة الجمهور وطرق اتحاده مع مصالحه، وهنا تقع مسألة أخرى منهجية إبداعية ويمكن القول عن قدرة إستخدام قوانين الإنتباه والفهم والتذكر، وبشكل خاص معرفة الخصائص التلقائية للانتباه والتذكر، وإذا استخدمت هذه المعرفة لأهداف تحديد طرق فاعلية التأثير

للأدب الإجتماعي فإنها مؤهلة أن تصبح قاعدة لإعداد طرق الجذب وجر الإنتباه، وبشكل عام معرفة القوانين السيكولوجية عند إعداد الأخبار و المعلومات و هذه تعد قاعدة غنية من أجل البحوث المنهجية.

وهكذا إذا حاولنا القيام بجمع بمثل العلاقة بين المجالات المنهجية التي أشرنا إليها في هذا البحث (والبحوث اللاحقة نصل فيها إلى استنتاج مجالات أخرى على سبيل المثال: مناهج التجلي أو الإيضاح)، يمكن إستخدام الرسم التخطيطي الواضح: المنهجية العامة - منهجية الأدب الإجتماعي – مناهج الرؤية في الأدب الإجتماعي – المناهج العلمية العامة والفنية.

من النظرة الأولى يمكن العثور على قيم محددة لهذا الرسم التخطيطي فبقدر ما تظهر تصورات هامة عن الصلات بين مجالات مختلفة في المناهج الإجتماعية و الرسوم التخطيطية بقدر ما تتضح الرؤية لدى إعداد عملية الإبداع، التي تكون مسألة خاصة لمنهجية الإبداع الإجتماعي.

القطاع الخاص الهام بشكل مبدئي لمنهجية الإبداع الإجتماعي يكون دراسة مسائل العملية الإبداعية، وعلى ما يبدو ومع النماذج أو الأنواع المتنوعة للعملية الإبداعية في هذا القطاع من الضروري تقديم مطالب الإعتراف بالجوانب المفصلة للعملية الإبداعية وعناصرها الأساسية والتركيب الذي يمكن أن يكون متنوعاً.

دراسة حتمية العملية الإبداعية بشكل عام والأدب الإجتماعي بشكل خاص تقود إلى نتيجة عن ضرورة إعداد مسائل منهجية مطابقة وفهما للجهاز مطابق وبشكل شرطي يمكن تقسيم العملية الإبداعية إلى ثلاثة مراحل أساسية:

- مرحلة صياغة الفكرة.
- مرحلة الدراسة المباشرة.
- مرحلة تأسيس الإنتاج.

شرطية هذا التقسيم تنبع من أنه بين هذه المراحل لا يوجد حدود قاسية إضافة لذلك الجوانب الهامة هي صفة لهذا أو ذاك من مراحل الإبداع عليها في

شكل محدد أن تتواجد في مراحل أخرى. لنقول (جمع الحقائق) هذا مبدئياً جانب ثاني من المرحلة البحثية للإبداع لا يحدث (جمع الحقائق) والأولية افتراضياً ففي المرحلة الأولى عند صياغة الفكرة ولكن صياغة الفكرة ممكن أن تظهر بدونها مع ذلك تأسيس الحقائق لا ينتهي في المرحلة الثانية العمل البحثي للكاتب الإجتماعي ليس مواصفة بالنسبة لها، وواضح أيضاًأنه في المرحلة الأولى والمرحلة الثانية تظهر مقاطع للإنتاج التي في المرحلة الثالثة بشكل مباشر تدخل في تركيبه، وبكلمة أخرى: تقسيم العملية الإبداعية إلى مراحل عليها أن تسير باشارة أولية وبالمحتوى الأساسي، وعند الإعتراف في التداخل المتبادل بين المراحل ليس كإمكانية وإنما كضرورة.

مع ذلك إعداد المسائل المنهجية للعملية الإبداعية تقود إلى الكشف عن حاجات الأدب الإجتماعي وعن تلك الحالات مثل مسألة (الفرضية، الاستدلالية، البرهنة، الثبات، الإقناع،...) وكذلك مجموعة أخرى تصور جوانب متنوعة لعمليات الإبداع.

إن المهمة المثيرة والهامة يمكن أن تصبح تناسق لمناهج البحث المطبق في علم الإجتماع وبهذه الحالات ينكشف فيها جوانب متنوعة للإبداع.

هل هذه الجوانب مرتبطة ببعضها البعض؟ وهل المهام الإبداعية تولد في مرحلة محددة؟

هذه المسالة أو مسألة أخرى تكون الشيء الهام من الجعبة المنهجية للكاتب الإجتماعي، الضرورية والكافية من أجل حلها بوسائل معرفية، ومن ثم اتخاذ هذا أو ذاك من الأنظمة التصحيحية. وبهذا الخصوص في كثير من المسائل الأخرى التي تظهر بشكل نسبي داخل تنظيم العملية الإبداعية، يتواجد فقط فرضيات لكن المسائل المنهجية للإبداع مهمة والعمل عليها يصبح ضروريا جداً ومن هنا يرى قطاع البحث بدقة تجلي الصلة بين إتجاهات مستقلة ويتعلق الاتجاه في إعداد مسائل حيوية للمعرفة الإجتماعية النظرية.

الفصل الثاني
شخصية الصحفي ومنهج الصحافة



شخصية الصحفي ومنهج الصحافة

تأخذ شخصية الصحفي وطرق الصحافة، في الوقت الراهن، تصوراً منطقياً في العلوم الصحفية المتقدمة. ويتناولها الباحثون من مختلف الجوانب ومن وجهات نظر مختلفة، وينظر اليهما في البحوث الإعلامية كمادة إعلامية إبداعية.

وتنقسم هذه المسألة في أغلب الأحيان: فبعض الباحثين يعير انتباهاً كبيراً الى شخصية الصحفي، وبعضهم الآخر على الطرق والمناهج التي يستخدمها الصحفي.

من وجهة نظرنا، تفسر هذه الحقيقة في (نظرية الصحافة) حيث لم يلحظ حتى الآن أي عمل يبحث بترابط هذين المفهومين المحددين، لذلك مطلوب الآن البحث في جوهر ((الإبداع الشخصي للصحفي)).

وحتى نفهم ماذا يعني الإبداع الذاتي (الشخصي) للصحفي -وكيف يصاغ، وكيف يعكس نفسه وإمكانية تحقيقه في ظروف محددة نحتاج إلى ثلاثة طرق متداخلة:

أولاً- التحليل السيكولوجي لشخصية الصحفي.

ثانياً- التحليل السوسيولوجي لدوره.

ثالثاً- دراسة المنهج النظري لنشاطه و ليس من مهامنا الآن شرح وتفسير هذا التداخل، بل نريد الإشارة إلى أحد الإتجاهات الممكنة لحل هذه المسألة.

((حتى تحقق الصحافة أهدافها- كما أشار الباحث داتيس.آ. والباحث ميريل. د. من الضروري وقبل كل شيء أن لا نرسم لها الخطط من الخارج وأن لا نعيش حالة الإملاء،.. من الضروري الإعتراف بدورها، كما هو الإعتراف بدورنا،... يجب الإعتراف بأنها تملك قوانينها الداخلية التي لا نستطيع بشكل

تعسفي استثناءها)). من خلال هذا الفهم، نخرج بنتيجة واحدة: تتحدد فاعلية عمل الصحافة ونشاط كل صحفي على حدة، ودرجة نشاط الصحفي المسؤول، وموضوعيته في طرح الحقائق. وهذا يعد قانون داخلي يظهر فقط في نتائج البحوث النظرية، وفي الممارسة الصحفية الواقعية، ويبرز بمثابة إرشادات وفروض مختلفة.

ومطالب موجهة إلى ذاتية العمل الصحفي، أي إلى تحقيق هذه الذاتية بعمليات جمع الأخبار والمعلومات وتفسيرها وتفعيلها، والى طابع النتائج الحاصلة. إن صياغة هذه الفروض أو الإرشادات تحدث في إطار الوسط الإبداعي الصحفي، الذي بمساعدته يتم دعم وإنتاج نموذج محدد للنشاط، يعد الأمثل في هذه الحالة.

ما هي هذه الفروض والمطالب والإرشادات؟.. قبل كل شيء يدور الحديث عن البرنامج المعطى للصحفي وفقاً لخطة هيئة التحرير بمسائل النشاط الصحفي ووفقاً لنظام القرارات الحكومية. ويظهر التحليل في بعض الدراسات العلمية أنه في الوثائق الحكومية لا يتحدد فقط الاتجاه الأساسي للنشاط الصحفي، وإنما تحدده أيضاً وثائق المنظمات الإجتماعية والحزبية داخل البلد. إن المسائل الأساسية والموضوعات الإجتماعية الهامة من الضروري أن يعار إليها انتباه خاص، ففيها توجد أنظمة الإرشادات والتوجهات والعروض، التي تحدد الملامح المهنية للصحفي نفسه وعلاقته بالأخبار والمعلومات المعكوسة والعاكسة عبر وسائل الإعلام، والمصاغة بمجالات أساسية لتقويم نتائج العمل الصحفي، وتوجهات وإرشادات لوسائل مثلى وطرق التأثير على الجمهور والواقع الموضوعي.

فإذا وضعنا إبداع الصحفي في شكل نظام للتأثير يتم بمساعدة وسائل خاصة على الموضوع الخاص، فإنه في النتيجة تظهر الأسس التالية للبنية أو (المكونات)، موضوع التأثير، ذاتية النشاط، والنشاط نفسه كعلاقة بين الذاتية والموضوع. قائمة بين وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، وبالتالي سيكونان أكثر فاعلية في هذه الحالة، وعندها سيشملان بكل تأثيراتهما كل هذه (المكونات).

إن مجمل المطالب الخاصة والفروض والإرشادات تكون اقتراحات إبداعية مختلفة، معدة في الوسط الصحفي المهني على أسس الإرشاد أو (الأوامر) الموجهة. وفي محتواها، يمكن أن تكون تفاضلية، أي حسب درجة تعقيدها، وحسب درجة تعميمها واستنتاجها، وتحوي بداخلها درجة إلزامية وطرق التعبير عنها وانعكاسها. وحسب درجة التعميم (الإستنتاج)، يمكن للإرشادات أن تكون إما شاملة بتأثيرها على كل عملية الإبداع الصحفي، في كل مرحلة وفي كل أشكالها، أو أن تنظم نشاط الصحفي بشكل جزئي في مرحلة واحدة من مراحل الإبداع.

وعندما أشار الباحث الروسي شاتونوفسكي إلى التباين بين العام والخاص والى أصول (وقواعد) النشاط الصحفي كتب: ((كل صحفي سواء كان كاتباً للمقالات الهجائية أو كاتباً للتحقيقات، أو عاملاً في قسم الرسائل، أو مراسلاً خاصاً..الخ، عليه بشكل مماثل وبذكاء التحقق والتمحيص، وإبراز المخطئين والمحقين- وهذه مطالب عامة لا بدّ منها.

وهكذا، يتم التصرف بالمواد المتراكمة (المجمعة)، وباختلاف تنوعها، وبالإمكانيات الشخصية، والصيغ الإبداعية، فكاتب التحقيق على الأغلب يعد تحقيقاً أخلاقياً عن الضمير والواجب، عن الصراع بين القديم والحديث. والمراسل يرسل رسالة نقدية، والعامل في قسم الرسائل على الأغلب ينشر رسائل مع تعليقاته، وكاتب المقال الهجائي يعد مقالاً هجائياً)).

إن طابع ودرجة الواجب تسمح لنا تمييز الفروض والإرشادات التي لم تنفذ والتي تعني الخروج عن خطة النشاط الصحفي الخاص، من إقتراحات ومطالب مختلفة..الخ. وهذا يعطي إتجاهات نموذجية مرنة للفعل المرغوب القيام به.

مثال: الإرشادات أو الفروض (النموذج الأول)، يمكن أن تعبر عن الصحافة كمهنة تعلن عن مطالبها لنفسها وهي مطالب خاصة. أما بالنسبة للصحفيين يجب أن يبرز بشكل مميز العمق الفكري، المبدئية، الهجومية، عدم

التعايش مع أفكار العدو، والعادات والتقاليد البالية، والقدرة على تطبيق المنهجية العلمية لتحليل ظواهر الحياة الإجتماعية، والتحليل الفعال للأحداث الخارجية، وكشف أسباب الحقائق والمواقف، وتحليل الوثائق، وفي النتيجة حسب كلمات الباحث الروسي بابوف.ف.ي: ((سرعة الإمساك في أدوات وجوانب الأحداث الجارية)).

تتميز الإرشادات أيضاً بطرق التعبير، فهي يمكن أن تظهر في شكل نظام من الاقتراحات دقيقة مترابطة منطقياً بأوضاعها، أو في شكل نماذج تحوي في نفسها - أشكال سرية- كالطرق المقترحة للعمل، أو تقويم الطرق المستخدمة نفسها. نحو النموذج الأول- تظهر الإرشادات المصاغة في نتيجة التحليل النظري، ونحو النموذج الثاني- يتم الاعتماد على الشهرة والخبرة الشخصية لهذا الصحفي أو ذاك في الإثبات النظري وفي النصائح. وهكذا تفرز الباحثة الروسية إيلياسافا.ب.آ: جملة من المطالب الموجهة نحو الصحفي الذي يكتب من مواقع الالتزام:

- التحليل الشامل لمجمل الحقائق المرتبطة بالموضوع وبالشأن العام.
- ربطها مع النظم العلمية- العقلانية للتطور الإجتماعي.
- تقويمها من وجهة نظر مصالح الأغلبية التي يعكسها العلم- وتكثيفها وتطبيقها في الزمان والمكان المناسب.
- وحدة الكلمة والعمل في النشر، ومظاهر العلاقات الإجتماعية لكل صحفي التي تضمن إبداعاً حقيقياً.
- توحيد نوعيات التعبير العميق الصحيح للأحداث مع النشر الشامل الموجه للجماهير الواسعة، وفهم الإنتاجات الصحفية المتنوعة.

وتظهر بشكل آخر اقتراحات الباحث كانط ((مرنوا أنفسكم في وقت الفراغ- حاولوا التعبير عن الفكرة نفسها مرة أخرى وفي احتمالات متعددة. صحح ملاحظتك بنفسك، ومقالك مرات عديدة قبل أن تقع على طاولة المحرر..

فالصحفي الذي لا يتمرن على اللغة والكتابة لا يستطيع أن يكتب بشكل حي وبشكل إبداعي، فمن الأفضل له، أن يغير مهنته.. ففي العمل الصحفي لا يمكن أن يستمر)).

من الضروري الإشارة أيضاً إلى جملة من المطالب التي تحدد السلوك الإبداعي للصحفي، والتي تكون ثوابت مختلفة أعدها الصحفيون أنفسهم من خلال ممارستهم للنشاط الصحفي. وهنا نتذكر نصيحة الباحث كانط التي ليست ملزمة لكل الصحفيين، فبالنسبة له، هي نصيحة طبيعية، طبقت خلال عشرات السنين وأصبحت تكنولوجية خاصة للنشاط الصحفي.

أن كل ما تفحصناه من تصورات، ينقسم بشكل موضوعي إلى ثلاث مجموعات: مبادئ معايير،قواعد.

ففي نظرية الصحافة، كما هو الحال في علوم أخرى، لم يتكون بعد بشكل كاف فهم واحد ذو معنى واحد لهذه الحالات، لكن منطق إستخدامها يقود إلى فكرة يقصدون بها نماذج مختلفة من المطالب: فالمبادئ تظهر (كرسم-إرشاد)، وهي الشكل الأكثر عمومية يتحدد من خلالها إختيار الأهداف للنشاط، ورسم الطابع المنظم لنتائج النشاط، وكمية الإنتاج تتحدد كمعيار: لكن الرسم - الإرشاد، الذي ينظم الجانب العملياتي للنشاط الصحفي، يعتبر قاعدة أولية للمعايير وتكون علاقتها مع القواعد مشروطة حيث تظهر المعايير تنوع خاص للمثل، كتفاؤل كمي للنص الصحفي (أو نتيجة فاعليته بشكل عام).

بالطبع، الجزء الكبير من المعايير والقواعد، التي يعمل وفقها الصحفي تملك طابع خاص، إحتمالي. فقط عندما يختفي مفهوم المرونة والمعايير والقواعد النشرية يسقط الطابع الابداعي لمهنة الصحفي. ورغم أن المرونة والتغير تحدد بدقة مجال النشاط، إلا أن الخروج البعيد خارج حدود الصحافة يجب أن لا يبتعد عن المبادئ القواعد والمعايير، وهذا انعكاس للحتمية الموضوعية للنشاط الصحفي.

إن التحليل (السابق)، أظهر أنظمة معقدة متنوعة لمطالب مختلفة تؤثر على العملية الإبداعية للصحفي.

فالمعايير الكثيرة تتطلب من الصحفي علاقة واعية بإختيار طرق نشاطه. فمن أجل إعداد إنتاجاً صحفياً واضحاً من الضروري ليس معرفة المعايير والقواعد فقط، ولكن القدرة على إستخدام قوة ومرونة العقل، النقد وتتابع التفكير، الفنتازيا والتصور الواضح..الخ. كل هذا يتوحد في مفهوم ((الشخصية الإبداعية)).

هنا لا بدّ من تحديد التباين بين مفهومي ((الإبداع الشخصي)) و((الإبداع الذاتي)). بغض النظر عن إستخدام هذين المصطلحين في أغلب الأحيان كمصطلحين مترادفين، إلا أنهما غير متساويين، كما أنهما يعكسان جوانب مختلفة لظاهرة واحدة.

إن **مفهوم (الإبداع الشخصي)**: يعني أي إنسان يملك قدرة وتأهيل للدخول في عملية تحقيق النشاط- خارج إطار التجربة الجماعية المتراكمة. أما مفهوم (الإبداع الذاتي)- يعني الإنسان الذي يظهر جعبته الإبداعية (قدراته) في إطار نشاط محدد دقيق.

وهكذا، **(الإبداع الذاتي)**: تراكم خاص لإنسان فاعل، وليس ولادة ما للقدرات. فالقدرة وخصائص أخرى للشخص تظهر بهذا المعنى كتأسيس موضوعي لظروف صياغة الإبداع الذاتي، ظروف تحدد أشكال وطرق وديناميكية عملية الإبداع، وتغيراتها تحت تأثير الطرق المكتسبة للنشاط. ففي عملية الصلات المتبادلة للخصائص الشخصية ونوعية الإنسان، وفي ظروف موضوعية للنشاط الصحفي (الصلات المتبادلة تتحقق في سياق واسع لكل الأفعال الإجتماعية المتبادلة الأخرى)، و العناصر الأساسية للإبداع الذاتي للصحفي - المعرفة- القدرة- الرغبة.

المواصفات العامة للمعرفة، يجب أن يمتلكها الصحفي المعاصر، وقد أشير إلى ذلك في دراسات كثيرة. إذ أكدت ضرورة اكتساب الصحفي للنظرية العلمية والتجارب التاريخية، وطرق العمل الفكري - الإيديولوجي. وعليه بشكل دائم، دراسة المسائل الملحة للاقتصاد الوطني، والتقدم العلمي التقني، وتنظيم عمليات الإنتاج، وأسس البناء الحضاري المدني المعاصر. وعليه أن يملك فنون الإقناع السياسي للجماهير، والقدرة على ربط الدعاية بالمثل الإنسانية ويساهم في حل المهام العملية، وأن يقوم بشكل دائم بنضال ضد الأفكار المعادية والتقاليد البالية.

وإضافة إلى ذلك، ضرورة الاتحاد العضوي مع نظام المعلومات والمعارف الثقافية، وبالعلاقات المتفائلة للأفكار النظرية والحقائق الامبيريقية، التي تعد انعكاساً للواقع الموضوعي، وهذا بشكله المعياري يغني طرق تغيره.

أما العنصر الثاني للإبداع الذاتي -القدرة - على البحث وهذا الجانب لم يدرس بشكل كامل. حتى الآن لم نجد تحديداً مرضياً لمفهوم (التجربة) (الجديد) (القدرة)، وهذه المصطلحات لم تتعرض بعد إلى تحليل عميق، ولم تتعرض أيضاً لتحليل قدرات الصحفي.

هنا لا بدّ لنا من أعمال بحثية كبيرة. ولكن المفهوم الأكثر سعة في هذا السياق يعد مفهوم (التجربة).

فهو يضم في نفسه ما هو موجود في ذاكرة الصحفي من ملاحظات عن الأفعال المتبادلة السابقة وعن الواقع الموضوعي.

تتكون تجربة الصحفي عن الأشكال والنماذج المعرفية المحددة للواقع الموضوعي، ومن الأفعال الثابتة المستقرة في انعكاساتها وإعادة تشكيلها. أول شكل للتجربة ممكن أن نسميه ذو مضمون، أما الشكل الثاني يمكن أن نسميه - الشكل الجراحي. تتعزز التجربة المهنية للصحفي في الخبرة والعادات والقدرات الخاصة.

وتحت مفهوم **الخبرة** - نحن نفهم قدرة الصحفي في التوجه بشكل عميق في حالات معروفة وبسرعة، ونجد بشكل واع معطيات متناسبة لنموذج الفعل المتبادل لحلول أو (قرارات) أو طريقة للنشاط. ويتطلب تكوين الخبرة ملكية مادة النشاط وملكية طرق انعكاسها وتغيرها.

العادة - هي نشاط مؤتمت لردود فعل الصحفي على حالة معروفة، دون علاقة نقدية بها. العادة ممكن أن تعمل من الصحفي عبداً لرسوم وجداول وبرامج محددة للنشاط.

القدرة (المهارة) -صفة رائعة من صفات التجربة الصحفية، تقدم توجهاً في الحالات المعروفة وغير المعروفة.

قدرة الصحفي ممكن أن تكون متباينة وفقاً لمراحل العملية الإبداعية (جمع المعلومات، إعادة صياغتها، توضعها).

الرغبة: هي شكل خاص للظهور في وعي الإنسان حاجة ما. الحاجة نفسها تظهر كمحرك حقيقي للإبداع الصحفي.

الحاجة مشروطة (دوافع للنشاط) و يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: (الإيحاء) و مرتبط بضرورة الحصول على الطعام، والسكن، الخ. و(الحس الداخلي) (الباطني)- الحصول على تسمية (حاجات إنسانية خاصة)، منها الحاجة في التعبير الذاتي الإبداعي. وعند المرور عبر العالم الداخلي لشخصية الصحفي، ممكن أن تظهر الحاجات نفسها بمثابة أشكال مختلفة للعلاقات بموضوع النشاط - الواقع الموضوعي، موضوع التأثير - الجمهور، وبالنشاط الصحفي نفسه. ويمكن فرز أشكال العلاقات كالإهتمام، والرغبة، والشغف، وهي مصطلحات تتميز بعضها عن بعض. فالإهتمام يعتبر ببساطة حاجة قدرته، والرغبة تظهر نفسها قوي نشيط لعلاقات واعية للإنسان بموضوع هام يلبي الحاجة، أما الشغف هو طموح حيوي يتجه نحو مادته بفعل القوى الجوهرية للإنسان. ويمثل الشغف درجة عالية من التمركز للقوى الحقيقية للفرد.

وفي الممارسة الصحفية الحقيقية (نطاق) العلاقات تغير (وتنوع) وإهتمام بالشغف. ووفقاً لذلك، تفهم المهنة كحرفة، كموهبة أو رسالة. بيد أن قوة هذا المصطلح (العلاقة) لدرجة كبيرة محايدة، بينما مصطلحات (الإهتمام) و (الشغف) خاصة جداً، يمكن إستخدامها من أجل شرح الفروع المبحوثة للإبداع الشخصي، أما مفهوم (الرغبة) يمكن إعطاؤه أهمية تعميمية.

إن الصحفي المهتم يصور مجالاً حيوياً متنوعاً تدخل فيه الرغبة لتحقيق أثراً أجتماعياً محدداً بأفعاله، وطموح للتعبير عن نفسه في هذا النشاط. وبفضل ذلك، فإن أي إبداع يمثل عملية يحقق الإنسان في سياقها هدف ما، وبالوقت نفسه يحقق نفسه ويوسع قواه الجوهرية.

فالصحافة تظهر بالنسبة للصحفي ليست فقط أداة للتأثير على الواقع المحيط، وإنما طريقة لتحقيق شخصيته، وهذه الطريقة تحقق له الرضى. إن المكان البارز في المجال الحيوي الدوافعي للصحفي يشغل وعليه أن يشغل طموحاً لتغيير شيء ما في الواقع الموضوعي، إن فاعلية النشاط الصحفي، هي درجة عالية من المظاهر الذاتية الإبداعية، تكون في الاغلب متعلقة بقوة اتحاد وعي الصحفي مع الرغبة في تحقيق أهداف محددة، بمساعدة التأثير الصحفي، والرغبة بشكل إبداعي لإظهار نفسه في هذا المجال.

وهكذا، إن تعميم ما قلناه، يقدم لنا نتيجة عن عمق النظام المعرفي للصحفي عن المجتمع والطبيعة والإنسان، والقدرة المتنوعة (المهارة) التي يملكها، ونشاط موقفه، أي التفكير، والطموح الهادف، بتوجيه الرغبة وتحديد الاستقرار والجدية، و الإهتمام، والإبداع، والشجاعة، والنشاط في حل المسائل الإجتماعية الهامة، والمبدئية في النتائج، والتجديد في المحتوى والشكل في نهاية الأمر.

ويخرج من التحليل الذي أوردناه، أوضاعاً هامة: مجمل المبادئ، والمعايير، والقواعد، التي من خلالها تتحقق العملية الإبداعية للصحفي، أي المضامين

والممارسات والطرق والأساليب والإجراءات للحصول على المعلومات وإعادة صياغتها وتفعيلها، وهذا لدرجة كبيرة، يتعلق ببنية شخصية الصحفي، وبمعارفه وقدراته ورغباته.

وبكلمة أخرى- إذا كان النظام الموضوعي الذي ينظم النشاط الصحفي مفهوماً، مدركاً، ومنظماً، يظهر في نتائج البحث النظري في شكله المنهجي الإبداعي للصحافة، أي في الممارسة الحقيقية لصحفي محدد. هذا النظام الموضوعي يتوسط معارفه المنتظمة، وقدراته ورغبته في صياغة أسلوبه الشخصي للنشاط. إنه في إطار الأسلوب الخاص للنشاط، يظهر كبنية مستقلة متميزة (وتبرز بدقة تكنولوجية نشاط الصحفي)، وبشكل خاص (طريقته الإبداعية)، وبشكل عام موقفه النظري العلمي كمنهج عام للمعرفة والنشاط.

أما مفهوم (الأسلوب الشخصي للنشاط) - حتى الآن لا يملك حالة محددة في نظرية الصحافة. لذلك يتطلب شرحاً إضافياً. وقبل كل شيء من الضروري الإشارة إلى أننا نعني بهذا المفهوم ليس فقط، وصفه لهذا الصحفي أو ذاك، بشكل خاص للتحقيق الشخصي لأفعال عامة مطبقة، وإنما مجمل الوعي المعياري والمبادئ والقواعد التي تحدد الأفعال المتبادلة للصحفي مع الواقع الموضوعي: (الناشرين -الجمهور..) الخ.

و رغم أنه يوجد في أساليب خاصة مختلفة للنشاط كثير من الأشياء العامة، مع ذلك تبقى قوة الخصائص للنشاط الصحفي التي تسمح بأخذ نتائج مطلوبة بمساعدة وسائل مختلفة عند كل صحفي، وإعطاء إمكانية صياغة أسلوبه الخاص للنشاط من خلاله يعكس نظاماً متميزاً من المبادئ والمعايير والقواعد، متفق عليها في الصحافة التي تتجاوب مع فروض ومواصفات وسيلة إعلامية محددة، أو إصدار محدد. وكذلك طرق النشاط المتوفرة التي يستخدمها صحفي محدد.

إن الأسلوب الخاص للنشاط هو في النتيجة (تداخل الفرد والنشاط، حيث يظهر بشكل كامل في مطالب محددة).

وقد أشير في العلوم الإعلامية إلى حقيقة التخصص المتنامي المستمر للصحفيين الذي يظهر بشكل واضح صلاته المتباينة في مطالب سيكولوجية ويظهر الخيارات لهذا الاختصاص أو ذاك مثلاً(من الالسكرتير المسؤول يتطلب تنظيم خاص ودقة في العمل، نشاط ودقة وقدرة بشكل منطقي لأن يضع لنفسه خطة العدد القادم للصحيفة لا سيما عندما تكون مواده ليست بعد موجودة وكذلك القدرة على إخراج وتجهيز الصحيفة.. الخ.

و بالنسبة للصحفي، فمن الضروري ملاحظة المشاعر وتحديد دقيق للفاعلية، والقدرة على الدخول في صلات مع الناس (التحدث) معهم، كي يأخذ أخباراً ومعلومات هامة، كما أنه يتميز المراسل الخاص بتنوع مواده - وعليه تحقيق مهام مختلفة تطلبها هيئة التحرير، باختصار: يتميز الصحفيون من كل الاختصاصات بملامح ومواصفات وأمزجة خاصة. ومن أهم هذه الخصائص القدرة على تنظيم العمل والإهتمام.

وعند الإشارة لوجود مطالب موضوعية تخص الصحفي من الضروري تذكر جملة من المطالب بشكل نهائي تتحدد في عملية التفاعل المتبادل بين إنسان محدد والعمل الصحفي المتنوع. لذلك من غير الممكن الإشارة إلى مطالب (تخص الإنسان بشكل عام)، فالصياغة النهائية لهذه المطالب ممكنة فقط في ظروف تحديد الشخصية الثابتة لإنسان محدد الذي يفرض الإعلان عن هذه أو تلك وعن المطالب.

و يوافق الكثير من الباحثين بأن مهنة الصحفي تتطلب وحدة من نوع ما (انفراد)، والأكثر نجاحاً ذات النموذج المتكيف للفرد، وعدم الأخذ بعين الاعتبار الانسجام العالي للعالم الروحي للإنسان الذي يسمح له بالتعويض عن نوعيات

النقص وخصائص الآخرين الموجودة في تركيبته. وقد أشار نيلوف. إلى أنه في أساس التحقيق الناجح لأي نشاط يمكن أن يجسد الاتحاد المتنوع للقدرات.

وهناك وجهة نظر مشابهة أدلى بها ديمين.م.ف، فقد أكد بأن نتيجة وأهمية النشاط متعلقة ليس فقط بالسعة الكبيرة العادية للقدرات،.. فهذا يتواجد بقدر ما بهذه القناعات بهذا أو بذاك من أشكال النشاط.(14)

تؤكد العلوم المعاصرة، أن الإنسان لا يولد مبدعاً أو منفذاً. فهو يأتي إلى هذا العالم بعدد محدد من الصفات التي تكتسب توجهاً خاصاً بفضل التربية والدراسة واللعب. و بناء هذه التركيبات.

الفصل الثالث

طريقة العمل المعرفي (الإدراكي) للصحفي



طريقة العمل المعرفي (الإدراكي) للصحفي

لا يمكن للصحفي أن يصبح محترفاً إذا لم يستوعب «مفتاح» الإدراك العملياتي لأكثر الحالات الجديدة تنوعاً في ميدان النشاط، وإذا لم يستوعب طريقة النشاط المعرفي الصحفي الخاص والمميز في سياق العملية الإبداعية، من حيث الجوهر يتحدث ف. أغرانوفسكي عن هذا الأمر بالذات في كتابه «من أجل كلمة موحدة». توصلت إلى قناعة مفادها: جميع الصحفيين الشباب والمبتدئين يعملون بصورة أساسية بطرائق مختلفة، أما الكبار فهم أصحاب الخبرة يعملون بصورة واحدة مع بعض التعديلات. أعتقد أن ذلك بديهي؛ فالحياة تُملي الطريق الأكثر عقلانية، ونحن جميعنا، عاجلاً أم أجلاً، سنخرج إلى هذا الطريق.

هل ثمة حاجة كي نبرهن أن من الضرورة بمكان البحث عن إمكانات وفرص، من أجل تسريع عملية الصيرورة المهنيَّة، من أجل تكثيف تطور ونمو الحرفية الصحفية في ظروف تبرز أمام العمل الفكري والسياسي لامتنا، فيها مهام جديدة، وتبرز المطالب من الصحافة العربية إلى «رفع المستوى الفكري وفاعلية تأثيرها» بجميع الوسائل.

إحدى هذه الإمكانات- التعلم النظري والعملي الخاص لطريقة النشاط الصحفي المعرفي في فترة التأهيل المهني أو إعادة التأهيل. و التعليم والتدريب الذي يسمح بدقة رؤية «الطريق الأكثر عقلانية»؟ وبوضوح اكتساب مهارات محددة لإستخدامه.

تتجلى نقطة انطلاق مثل هذا التعلم – في التعرف على طبيعة العمل (النشاط) المعرفي للصحفي وملامحها الأساسية. و هذا أصبح متعارفا عليه بالمراحل الأولية للعملية الإبداعية في الوسط المهني الصحفي«لجميع الحقائق». لكن من الجدير وبصورة دقيقة العودة إلى مخبر أي صحفي خبير وعندها سيبدو من

الواضح: أن كلمات «جمع الحقائق» لا تفيض عما يحصل في هذه المرحلة من النشاط. لنتعرف على سبيل المثال على رواية أحد مراسلين صحيفة «تشرين السورية» حول كيفية قيامه بتنظيم عمله على مادة «يجب المحافظة على السمعة» ... تم استلام مهمة إعداد رسالة نقدية عن الحياة الداخلية لنقابة الفنانين السوريين والنظر في المشكلات الملحة في هذا المجال.

((أصبحت أختار المنظمة الأكثر ملائمة بحكم إنني مطلع بصورة أفضل على عمل الرسامين بين أقسام النقابة. اتصلت بمراسل وكالة انباء سانا وطلبت استشارات. قال إن الحالة في فرع حلب لنقابة الفنانين معقدة وتحتاج إلى تحليل وذكر الأفراد الذين كان باستطاعتهم إعطائي معلومات مبسطة أكثر تفصيلاً. وهكذا تحدد العنوان)).

عند الوصول إلى حلب توجهت مباشرة إلى المسؤولين في المحافظة. للأسف لم يكن متواجداً في مكانه الشخص الذي من شأنه أن يشرف على الرسامين بصورة مباشرة، ولم يتسنى لي الحصول على المعلومات المطلوبة فإن المعلومات المسبقة لدي لم تكن كافية. كما أنني أيضاً دخلت الى شخص لأتحدث معه، وكان المراسل قد تحدث عنه كمالك للمعلومات، وهو أيضاً لم يتمكن من إعطائي الكثير، إذ اضطررت للتعرف على أوضاع القسم مباشرة في المكان. فبعد الحديث الأول مع السكرتير المسؤول رئيس القسم، فهمت بأن النقابة في الاتحاد لا تمثل في المدينة تلك المكانة التي كنت ارغبها، ولا تلعب ذلك الدور الذي بإمكانها أن تلعبه، قررت أن استطلع السبب، أخذت محاضر الاجتماعات النقابية لعام واحد، والوثائق المتبقية، وجلست أدرسها، جلست حتى منتصف الليل، أدركت الخاصية التاليةان مسائل الإبداع والتأليف – تقع خارج الساحة البصرية للنقابة تماماً. برز افتراض: إذا كان مسؤولو القسم لا يهتمون بحالة أوضاع التأليف والإبداع، فأي شعبية يمكن أن تكون لدى النقابة الإبداعية في المدينة؟ بدأت المراقبة والتحقق. التقيت أعضاء

مجلس المحافظة - كان حديثاً طويلاً جماعياً أكدوا في مواضيع كثيرة صحة افتراضاتي، والأهم في كل ذلك - أظهر المشكلات الّتي كانت تحتاج إلى (الهم الرئيسي - حول «الطلبات المربحة»، من ناحية، حول «المواظبة على صعيد الترتيبات» في المدنية - من ناحية أخرى.

«أما القدرة الإبداعية للفنانين الرسامين ومستوى الحرفية وتنظيم إقامة المعارض- هو ذاك الأمر الذي تقوم من أجله اتحادات الإبداع والتأليف، ولا تتوجه أبداً من قبل النقابة. وإن حياة القسم «الملاحظة» بشكل عام كلها مرتبطة بعلم الإدارة، لكن أبداً ليس بجهود النقابة.

يتحدد موضوع البداية، والآن يجب إيضاح التفاصيل والوقائع الملموسة مع مراقبة المشكلات التي تبرز في سياق العمل الأفضل.

ذهبت سوية مع رئيس الإدارة جولة إلى الورشات، تعرفت على إبداع الرسامين وتحدثت مع الزملاء حول أمور إجتماعية وإبداعية تأليفية، وحول الخطط والعلاقات مع المشاهدين. وبكلمة واحدة، حاولت إيضاح وجه الإنسان الفكري الأخلاقي والإجتماعي الإبداعي لنفسي، وفي الوقت ذاته - الوقائع والآراء والتقييمات المتعلقة بقضايا النقابة.

اشتغلت بصورة علنية مطلقة، تكلمت عن انطباعاتي وفرضياتي وقلقي ومهماتي، والناس تواصلوا معي بسهولة إلى حد كبيرو المسائل الأولى، طبيعي لم تكن دوماً «استطلاعية»: فما هي اللهجة، النغم في الحديث الذي يناسب المتحدث أكثر، ما هي «طبقة» الحياة الأهم بالنسبة له و في أي «مفتاح» يفكر هو؟ حسب الردود الأولى كنت أتوجه نحو المسار التالي للحديث. على العموم كان النّاس يردون على الإخلاص بالإخلاص، وعلى الإهتمام بالإهتمام. لاشك في أن المعرفة ساعدت كثيراً، المعرفة الّتي زودتني بها المحاضر. أدرك المتحدثون أنني مطلعة بما فيه الكفاية.

وهكذا زرنا عددا من الورشات وفي ختام الجولة اتضح كل شيء: قام فرع نقابة الفنانين في مدينة حلب بجد بتسليم مواقع إبداعية في السنوات الأخيرة وكان الحديث ان قادة النقابة لم يوجهوا تطوره الإبداعي، ولم يهتموا بالنمو الإبداعي لكل رسام، ولم يمارسوا عملية خلق الجو الإبداعي. و بالنتيجة تكوّن وضع كان في ظله ممكناً خرق الانضباط المالي في الصندوق، «ولادة - إحداث» تلوث لسمعة نقابة الفنانين في المدينة.

بقي اختبار فرضية (الأصح - «إتمام الاختبار» والتأكيد مرة أخرى على أنه لا توجد وقائع تتحدث عن عدالتها)، وأن القليل من الإهتمام إلى هذا الجانب من الأمر في النقابية للمنطقة والمدينة والمحافظة، مُكتفين فقط «بالقيادة العامة» وحتى «بجذب الرسامين للمشاركة في هموم المدينة». التقيت مع النقابية والمدينة كما زرت مرة ثانية لجنة المحافظة. المسائل التي كانت لدي قليلة، هل جرى تحليل للمنجزات الإبداعية لقسم فرع الرسامين؟ هل حصل تحليل بروتوكولات ومحاضر الاجتماعات النقابية؟ كيف تجلى الإشراف على نشاط وعمل القيادة النقابية في الفرع؟

كانت الإجابات عن هذه التساؤلات تؤكد بما فيه الكفاية صحة وجهة النظر هذه، التي تكوّنت لدي.

لقد استوضحت في قيادة النقابة بالمحافظة مسألة أخرى، بعد أن تلمست مسبقاً العلاقة نحوها في لجنة المنطقة والمدينة، هل بالإمكان تقسيم النقابيين في الصندوق والفرع بعد تشكيل لجنتين، بدل واحدة؟ تصورت ذلك بمثابة حل لهذه المشكلة التنظيمية. لأن الحديث حاداً بما فيه الكفاية، لكنه كان بناءً: ارتأى المسؤولون في القسم أن من المناسب الإقدام على مثل هذا التقسيم.

والآن أصبح لدي وضوح كامل بالنسبة للوضع في الفرع، وحتى في الكثير بما يتعلق بالمادة المستقبلية. لقد تولدت بعض «المشكلات الفرعية». خلال أيام

خمسة، قضيتها في مدينة حلب تحدثت بصورة إجمالية مع 30 فنانا. شاهدت، استمعت وسألت وتأملت وافترضت وسألت مرة ثانية وتأكدت ثم فكرت وفكرت ...».

كما يتبين من الحديث استرشدت الصحفية في واقع الحال ليس فقط بضرورة «جمع الوقائع». إن التصرف المهني عنده كانت توجهه مهمات وقضايا أكثر تعقيداً. وكان الهدف من البحث معرفة الحالة التي تشكلت لدى رسامي حلب وحول طرائق تحسينها - المعرفة التي بدونها لم يكن بالإمكان وبصورة نهائية تحديد لا الموضوع ولا الهدف الملموس المادي. وكان الصحفي قد أرغم نفسه بما فيه الكفاية على تحقيق هذه الغاية.

مثل هذا البحث المدرك والهادف عن المعرفة حول الحالة الجارية لهذا القطاع أو ذاك من الواقع، موجود بكل تأكيد في أي عمل إبداعي يقوم به الصحفي. وهو يجري دوماً في حدود فضاء زمن محدد (يتثبت أحياناً في وثائق المهام)، التي تسبق كتابة النص، ويتشكل دائماً من مراحل مستقلة تهدف إلى معالجة المهمّات المعرفية المدركة، والذي يحتاج دوماً إلى أعمال معرفية خاصة. كل ذلك يعطي المبررات والأسس: أولاً لدراسة البحث الصحفي كمرحلة مستقلة نسبياً في الإبداع، وثانياً وصف هذه المرحلة كمرحلة من مراحل العمل المعرفي.

وحول أن المعرفة والإبداع مرتبطان بصورة وثيقة - أمر معروف، فالطابع الإبداعي للمعرفة والأسس المعرفية للإبداع (الصحفي تحديداً)و يبحث منذ زمن طويل وبصورة شاملة غير أنه حتى الآن، فإن العلم لم يكتشف الجانب الإعلامي من النشاط الإنساني، وإذن من الصعب إمعان النظر في أن المعرفة، محلياً في جميع أشكال الإبداع، ليست فقط عبارة عن مقدمة وجانب، بل ولحظة خاصة ومرحلة مميزة في العملية الإبداعية، والتي تتحقق في سياقها. ونتيجة «استقبال» المعلومات

من العالم الواقعي- معرفة الواقع - الأداة الضرورية اللازمة لاستكمال تكوُّن الهدف النهائي والعمل الإبداعي من أجل تحويله من هدف مجرد إلى هدف ملموس، إلى خطة / منهج/إنتاج محدد (علمي، فني، تقني، صحفي، دبلوماسي وغيره). فالمقاربة الإعلامية تسمح بإدراك ذلك. وبالإضافة إلى ما سبق فإنها تكشف عدم تساوي المرحلة المعنية في أجناس مختلفة من الإبداع والإنتاج. إنها تتجلى قبل كل شيء في درجة مختلفة من الإدراك والوعي والمحدودية والتعبير عن السياق المعرفي.

إن مساحة الاحتمالات واسعة وعريضة: تقريباً من المعرفة غير الواعية، غير المتجلية تقريباً في أفعال معرفية خاصة، والتي تلتقي تقريباً مع الخبرة والتجربة اليومية لوجود المعرفة العفوية التجريبية في الشعر الذي يتحقق في الحدود المكانية والزمانية المُخطَّط لها الذي يعتمد على اللوغاريتمات المدروسة بصورة خاصة وعلى الوسائل الخاصة بالنشاط والعمل المعرفي في العلم.

إن البحث الصحفي على درجة التوجيه والتحديد والتعبير عن العملية المعرفية وعلى درجة إدراك ووعي المهمات المعرفية والأفعال المعارفية تقترب من البحث العلمي. غير أن وجود فوارق بينهما هو أقل أهمية من ذاك الذي يوجد بين البحث الصحفي والمعرفة العفوية التجريبية. هذه الفوارق، إذ تكشف ذاتها، إنما تدل على أنه كما الصحافة والعلم وبالمقدار نفسه بالنسبة للصحافة والأشكال الأخرى للإبداع، توجد مواصفات مميزة وطرائق متنوعة للعمل المعرفي.

إن مفهوم «أسلوب العمل المعرفي» معتمد إستخدامه كمفهوم بديهي حدسي واضح. أكثر الأحيان يتماثل هذا المفهوم مع مفهوم «طريقة العمل المعرفي». وهنا لا يعنيان الشيء ذاته مطلقاً. تحت فئة «طريقة» تعني النظرية الحديثة للمعرفة ذاك الشكل من إدراك الموضوع، الشكل المبني على نتائج دراسة القوانين نظرية المعرفة أولاً، والقوانين التي تميز من الناحية المبدئية الفئة المقصودة من المواضيع ثانياً، هذه

النتائج تبرز على شكل قواعد ترسم للذات مسبقاً هذا الاحتمال أو ذاك من المعرفة، الذي يقود إلى معالجة المسألة المعرفية ذات العلاقة. يمكن القول بأن الطريقة هي الفعل المعرفي المبرر والمعلل علمياً، أو منظومة الأفعال الصالحة لحلول ناجمة للمهمات المعرفية المناسبة أو لمنظومة المسائل.

الشيء الآخر - أسلوب المعرفة. إنه أولاً يُميز خُصوصية العملية المعرفية الملازمة لهذا الشكل أو ذاك من الإبداع. الخصوصية التي تبرز إلى جانب الشكل المعني من الإبداع والذي يتجلى عن طريق جانبين اثنين: البنية المتكونة لغوياً للأفعال المعرفية والطابع المتحدد عفوياً لتنظيمها. وبمقدار ما يتطور هذا الشكل من الإبداع يتطور أيضاً بالنسبة له أسلوب المعرفة وبصورة رئيسية على حساب استبدال البداية العفوية التجريبية بالعناصر المعللة علمياً (الطرائق تندرج في هذا الإطار).

لكنه لا يُبدل جوهره الخاص به: التطور يجري على أساس الاستكمال والتحسن في أطر خصوصية محددة بطرائقه. هذه الخصوصية تُقدم من خلال ظروف ثلاث: من خلال هدف المعرفة وغايتها، من خلال طبيعة موضوعها ومن خلال طبيعة الظروف التي تتحقق في ظلها.

ما جوهر هذه الخصوصية؟

تقريباً ليست الخصوصية الأكثر جوهرية لأسلوب الاستيعاب الصحفي وإدراكه للواقع تتلخص في طبيعة تنظيم الأفعال المعرفية والمهمّات المعرفية. القضية تتلخص في أننا نصطدم هنا مع وحدة في الزمان وفي المكان للمستويات التجريبية والنظرية في علم المعرفة. تصطدم مع شمولية المهمّات المعرفية التي يعالجها الصحفي في كل مرحلة. هذه الشمولية هي المبدأ الأهم في تنظيم العملية المعرفية الصحفية. ففي هذه الشمولية يتجلى تحديداً إحدى الميزات الرئيسية لأسلوب المعرفة الصحفية، والتي تميزه عن أسلوب العمل المعرفي في العلم، حيث يمكن أن

تكون معالجة المهمّات التجريبية والنظرية في الزمان: جمع الحقائق هنا يبرز أكثر الأحيان كعملية مستقلة نسبياً تسبق تفسيرها النظري. إن ظروف العمل المعرفي للصحفي لا تعطي هذه الإمكانية. هنا جمع المعلومات التجريبية وإدراكها وتفهمها- عمليات غير متلاحقة وحتى غير متوازية. إنها تتقاطع كثيراً، وبهذا الشكل، فإن المعرفة التجريبية ترتبط بالناحية النظرية، والنظرية بالناحية التجريبية، وبحكم ذلك تحصل الحركة المتقدمة الشديدة للفكر، هذه الحركة التي تسمح خلال مدة قصيرة بتحقيق وإنجاز عدة مستويات معمقة لاحقاً للتغلغل في الموضوع. بديهي أن هذا التغلغل ليس عميقاً بدرجة تغلغل الباحث، لكنه عملياتي بحده الأقصى ويسمح بصورة حديثه تثبيت هذه الحقبة أو تلك من تطور الموضوع، وهذه الحقبة أو تلك لتناقضاته الحركية، والذي يتجلى كحالة راهنة - إيجابية، إشكالية أو صراعية خلافية، في هذا بالذات يتلخص التحديد - التعيين الوظيفي للمعرفة الصحفية التي تُعَدُّ كما هو معروف لدينا أداة تتكون بفضلها علاقة أيديولوجية -فكرية محددة بين الجمهور والأحداث الجارية المتسارعة في الواقع، وبرنامج العمل المحدد.

بهذا الشكل وفي سياق استيعاب الموضوع وإدراكه، فإن الصحفي لا يجمع الوقائع «بل يبحث الحالة ويدرسها» النظام الموضعي للوقائع والأحداث الإجتماعية المتفاعلة فيما بينها والتي تشكل وحدة كاملة، والتي تمثل حالة الواقع في الواقع الراهن، كما أنه يدرس الحالة في ثباتها زمانياً ومكانياً في الحدود الواقعية في وحدة العام والخاص والفردي وفي وحدة الجوهر والظاهرة، حيث يحصل بالنتيجة على الأحكام الاصطناعية المأخوذة من تجربة التفاعل المتبادل مع الموضوع حول الواقع، هذه الأحكام التي كان قد درسها بمثابة «سعة المعرفة».

المقاربة الوضعية الملموسة، المؤرخة زمنياً تجاه الواقع المدرك هي إحدى المبادئ المحددة في المعرفة الصحفية. إنها تُميز جميع أشكال الإبداع الصحفي. وكما بينت الدراسة التجريبية الخاصة المخبر الصحفي الإبداعي، فإن هذه المقاربة من الناحية الفعلية لا تتعرض للخلل والاختراق في أي من الأفعال الإبداعية.

وبصرف النّظر عن التساؤل هل يُعدُّ الصحفي مراقباً للأحداث أم لا؟ والّتي على أساسها تتكون الحالة الخاضعة للدراسة، وهل باستطاعته أن يكون شاهداً في المادَّة على ما حصل أم لا؟ فإنه يأخذ على عاتقه مسؤولية تصوير الحالة في زمانها ومكانها المحددين، وهذا ما يشترط دقة متناهية في مراقبة واختبار «حدود الواقع»، حتى إذا ما كانت تمتد بعيداً إلى الماضي، وإلى أحداث الزمن الغابر التي تكون بمثابة أساس اليوم الحاضر للموضوع واليوم الحاضر للفرد. من هنا تنطلق التصورات حول توجه الإبداع الصحفي نحو التصوير الوثائقي للواقع، التي طورتها ف.ف. أتشونوفا حتى فهم الوثائقية كطريقة إبداعية في الصحافة.

وإذ يتحقّق مبدأ المقاربة الوضعية الملموسة المؤرخة زمنياً نحو إدراك العالم يجد الصحفيون أنفسهم في بعض الحالات أمام ضرورة العمل المتبادل مع بعض المواضيع. وهذا ما يرتبط بالتنظيم المنظم للواقع الإجتماعي كموضوع إجمالي في المعرفة الصحفية، لنقل الحالة الراهنة التي تُميز موضوعاً ذي بعد كبير إلى حد ما، والتي تبرز بالنسبة للصحفي بمثابة مادة الدراسة الموجهة، تمر بصورة حتمية عبر مواضيع أقل بعداً، وبهذا الشكل تحولها إلى قطاعات ومناطق المادة. في الممارسة الصحفية يمكن مشاهدة ذلك مرات عديدة. لكن الهام هو اعتبار أن حدود مادة الدراسة الموجهة يمكن أن تكون في علاقة تناسبية معروفة أوسع من حدود مادة منفصلة، باعتبار أن هذه المادة المنفصلة تقع في علاقة منتظمة مع المواضيع الأخرى من المستوى ذاته، أو من غيره، ومن هذا البعد أو ذاك، ومن هذا الوسط الواقعي أو ذاك.

عند دراسة قطاعات المادة غير الخاضعة، للمشاهدة والمراقبة المباشرة، فإن المقاربة الوضعية المحددة والمؤرخة زمنياً من جانب الصحفي تجاه معرفة الواقع تتجلى في التوجه نحو مصادر المعلومات، حيث تتجمع المعلومات الأولية «الجديدة» حول الأحداث ذات الطابع الموضوعي أو الذاتي والمرتبطة بالحد الأدنى من القنوات. بين هذه المصادر – الشهود على الأحداث والمشاركين فيها، الوثائق

والوسط المادي العيني الذي يحمل أثار ما حصل. إن سلامة المعلومات وصحتها تبدو بصورة مباشرة متناسبة مع معرفة الصحفي تنظيم العمل مع المصادر بشكل تتوفر فيه إمكانات اختيار «وفرز» المعطيات الواردة، وفصل ما هو معرفي وذو قيمة فيها من العناصر - الوقائع والآراء كما هو شائع و لا شك أن أي حدث أو واقعة يتضمن شوائب «الواقع الذاتي» - طابع شخصية من استقبل بصورة مباشرة الإشارات الإخبارية من المصدر الأول.

إن المقاربة الوضعية المحددة المؤرخة زمنياً تحتاج من الصحفي إهتماماً إلى هذا الذي «يشكل» الواقعة الحدث، جميع مصادر المعلومات، وبهذا الشكل وفي بعض الحالات تصبح هي ذاتها عناصر مادة الدراسة الموجهة.

أخيراً من الضرورة بمكان الإشارة أيضاً إلى خصوصية أخرى تبرز كمبدأ في تنظيم العملية المعرفية للصحفي. إنها تتلخص في أن جميع الأفعال المعرفية التي يقوم بها الصحفي وبالدرجة الأولى التجريبية، ترتبط بأعمال تنظيمية عمليَّة، يكون حجمها كبيراً جداً، أما طبيعتها فمتنوعة الأنماط، حيث يبدو السياق الظاهري للمعرفة في كل عمل إبداعي غير مكرر ولا يتكرر. وبالتجاوب مع الوضع الديناميكي المتبدل، يصطدم الصحفي بمجموعة كبيرة بما فيه الكفاية من المهمَّات المنطقية غير المرتبطة بصورة مباشرة بنتائج المعرفة، لكنها حتمية، ولابد منها أثناء تحقيق هذه النتائج، والتي تترافق بهذه الحلول، التي يحتاج تحقيقها أحياناً، أن اكثر من معارف ومهارات مهنية.

(لنتذكر على سبيل المثال الصحفي الإبداعي السيد هشام بودي، وكيف يجري تصويره في العرض). الأهم في الأمر يتلخص في أن الجزء الأكبر من هذه الأفعال التنظيمية العملية مرتبطة بصورة وثيقة مع ما هو معرفي، بحيث يُصور في نهاية المطاف معها في نتاج العمل المعرفي باعتباره يحمل أيضاً معلومات محددة، إن العملية المعرفية في الصحافة لا تنفصم عن عملية معاناة الواقع. لقد لاحظنا إعلان

:وليمة على اعشاب البحر للكاتب حيدر حيدر، كيف تنشأ عند الصحفيين ردود فعل انفعالية ذاتية تلقائية على هذه الوقائع أو تلك، على هذه الجوانب أو تلك، من الحالة المدروسة تاركة أثراً ملموساً على نفسية إدراك المعلومة وعلى وضع الحلول وتصرف وطبيعة التقييمات. وفي الوقت ذاته لا يجوز عدم ملاحظة أن الوعي الذاتي عند الصحفي كمنظم وضابط لسلوكه المهني «يقوم في دقة بتشغيل» الميكانيزمات الإرادية التقويمية، التي توفر أولاً الكشف الأمثل للعواطف والانفعالات، وثانياً دورها «الداعم» الخاضع للمبدأ العقلاني، وذلك في جميع مراحل العمل المعرفي. إن درجة القدرة على الإدراك الذاتية من هذا النوع وعلى الرقابة الذاتية خلال دراسة الواقع، ليست واحدة، وتشبه مباشرة، بشكل متناسب، درجة المسؤولية المهنية.

ما يتعلق ببنية الأفعال المعرفية وتركيبها، فإننا هنا نكتشف في الممارسة الصحفية مجموعة من النقاط الممتعة والطريفة جداً. وكما تُبين الدراسة، فإن جميع أشكال المعرفة من ناحية تبدو في هذا المجال متشابهة مع التحديد ومن ناحية أخرى- تحتوي على فروضات واختلافات محددة ليست أقل. لتشاهد أولاً أين يكمن هذا التشابه والتماثل وهذه الاختلافات في بنية الأفعال والحركات المعرفية.

وكعنصر من عناصر التماثل يجب أن نُثبت حقيقة أن الطرائق التجريبية ذاتها تُستخدم من الناحية العملية في الأعمال الإبداعية جميعها: دراسة المصادر المكتوبة والمطبوعة، الملاحظة، الحديث، المقابلة. في هذه الحالة لم نتحفظ بعد استعمال مصطلحات «حديث» و«مقابلة» ليس كمرادفات.

تبين الممارسة الصحفية أن التقليد العلمي الإجتماعي المعادل لمواضيع هذه المفاهيم بالاستناد إلى تطابق أحد معاني الكلمة الإنكليزية INTERVIEW والكلمة العربية «حديث» لا يبرر عندما يدور الحديث حول الأفعال المعرفية التجريبية للصحفي. واستناداً إلى الكم الهائل المدروس من الأعمال الإبداعية يوجد في الحياة

اليومية للصحفيين اليوم نوعان من التواصل المهني بهدف جمع المعلومات: الشراكة المتساوية للفرقاء المتواصلين وعندما يكون الجانبان غير متساويان باعتبار أن التواصل يجري حسب مخطط «سؤال - جواب»، الأول يكمن في أساس الطريقة التجريبية التي تحدد بحق بمثابة حديث. الثاني يشكل جوهر طريقة المقابلة، وفي أي شكل كان فيما بعد (مقابلة غير مشكلة وتحديداً يوجد فقط تقليد للحديث الذي لا يحصل فيه مطلقاً «معادلة لحقوق الفرقاء المتواصلين».

إن التشبع بالطرائق التجريبية المذكورة للأعمال الإبداعية الرامية إلى أحداث وخلق أنواع مختلفة من المواد الصحفية ليس واحداً، لكن هذا لا يُبدل وضع المشكلة: من الناحية المبدئية تستخدم أي نوع من هذه الأنواع في أي عمل إبداعي.

النقطة الثانية في التشابه تتلخص في أن الأعمال الإبداعية جميعها، تحتوي بصورة إلزامية في قوام الأعمال النظرية المعرفية على طرائق شاملة في الغنوسيولوجيا العلمية. أما في بنية أعمالها المنطقية غير المباشرة - طرائق المنطق المعتمدة عموماً.

وإلى جانب ذلك فإن دائرة الأعمال والأفعال المعرفية النظرية في غالبيتها الساحقة كثيراً ما تتضمن في بعض تركيباتها طرائق العلوم الإجتماعية المحددة - وعلى هذا التشابه والتماثل تنتهي، متنازلة للاختلافات:

ما هي طرائق العلوم الإجتماعية المحددة بالذات التي تأخذها المعرفة الصحفية بمثابة سلاح بيدها - يتوقف على مجال الواقع، الذي يبرز بمثابة موضوع. وبحكم أن العنصر الأساسي لأي موضوع - الفرد فإن إستخدام مثل هذه الطرائق النظرية التي توضح سلوك الناس وتسمح «بالنظر» إلى جو بواعثها وتعطي فرصة تفهم الميكانيزمات داخل المجموعة الصغيرة وميكانيزمات السلوك الجماعي وغيره يحمل طابعاً جماهيرياً أكثر - وبكلمة أخرى طرائق علم النفس في علم النفس الإجتماعي. مثل هذه الطرائق كالطريقة الاقتصادية والثقافية العلمية والأخلاقية

والجمالية والتحليل الاصطناعي، تستخدم بصورة أساسية في إطار التخصص اللازم والمناسب. وهذا ما يشترط بعض احتمالات المعرفة الصحفية من وجهة نظر الأفعال المعرفية.

أن التماثل في تركيب الأفعال المعرفية يتلخص في أنها من الناحية العملية وفي أي عمل إبداعي تتوحد في مجموعات تستبدل بعضها البعض بصورة متسلسلة.

هذه المجموعات، كل منها يتوجه بمهمات معرفية ملائمة، ويمكن أن تُدرس كعمليات ضرورية لمرحلة الإبداع الابتدائية - الحلقات الإلزامية للعملية الإبداعية، هذه الحلقات التي تُختتم بنتاجات بينية. يبلغ عدد العمليات أربع: اختبار موضوع المعرفة، الإعداد المسبق للتواصل المباشر مع الموضوع، التعرف الأولي المباشر على الموضوع الموجه نحو دراسة مادة المعرفة.

غير أن وجود هذه العمليات في أي عمل إبداعي لا يعني حتى الآن بأنها تتحقق دوماً في تسلسل محدد. وكما تبين نتائج الدراسة والخصوصية داخل الجنس لأشكال الإبداع الصحفي يقود إلى أنه في جملة من الحالات يبرز تغيير في نظام العمليات، أي أن التغيير مشروط موضوعياً. تبين أن خصائص أهداف الإبداع، وخصائص موضوع التصور وطبيعة النبض الأساسي لعمل إبداعي محدد هي عبارة عن عوامل مثيرة لهذه التغيير. لقد أتاحت هذه الدراسات فرصة تثبت ثلاثة احتمالات مشروطة موضوعياً في البنية العملياتية لمرحلة المعرفة في الإبداع الصحفي.

الاحتمال رقم 1: النبض الأساسي (المنطلق) - إختيار فرضية الموضوع (مادة التصور) - التعرف المسبق على الموضوع - فرضية الحالات الممكنة (المعرفة المادية) - التعرف الأولي المباشر على الموضوع - فرضية - مادة الدراسة - دراسة الموضوع الموجه - الاتجاه (النّظريّة).

الاحتمال رقم 2: النبض الأساسي (المنطلق)-إختيار الموضوع -فرضية الموضوع(مادة التصور)-التعرف المسبق على الموضوع -فرضية الحالات الممكنة (المعرفة المادية)-التعرف الأولي المباشر و دراسة الموضوع الموجهة-الاتجاه (النظرية).

الاحتمال رقم 3: التعرف الأولي المباشر وإختيار الموضوع - فرضية الموضوع - الدراسة الطويلة المبسطة للموضوع - النزعة (النظرية) الموسعة- دراسة المادة الموجهة - النزعة (الاتجاه).

إن بعض تبسيط البنية العملياتية الملاحظة في الاحتمال الثاني بالمقارنة مع الأول يصبح ممكناً بحكم شروط الإبداع المحددة وبالذات بحكم أن المعلومات التي تبرز كنبض أساسي لحو الفعل الإبداعي، تضيء بصورة محددة وكافية الهدف النهائي للاحتمال الأخير، وطبقاً له تشير إلى مادة التصور قبل أن يدخل الصحفي في علاقة غير مباشرة مع موضوع ما من الواقع.

التبدل الجوهري للبنية العملياتية في الاحتمال الثالث يرتبط بخصوصية جو الواقع الذي يتطلب من الصحفيين تخصص مستقر وعميق.

يُمثل الاحتمال الأول تيار أكثر تسلسلاً وكمالاً في العملية المعرفية، لكن لا يجوز النظر إليه كمعيار لأسلوب المعرفة الصحفية للواقع، لأنه لا في الظروف الملائمة للأعمال الإبداعية في الاحتمال الثاني، ولا في الظروف المتطابقة مع الأعمال الإبداعية في الاحتمال الثالث، لا يمكن أن يكون مثالياً.

بهذا الشكل وبصرف النظر عن أن تحليل الصحفي الإبداعي يسمح بتحديد كافٍ بإبراز الصفات العامة للعملية المعرفية التي تبرز كملامح أساسية لأسلوب المعرفية الصحفية للواقع، فإنه ينبغي علينا التوصل إلى أن هذه الملامح في الأعمال الإبداعية الواقعية تتجاوز مع تلك التي تتكشف فيها خصائص أنواع مختلفة من الإبداع الصحفي. إن الاتجاه في الحالة الراهنة يتلخص في أن أسلوب المعرفة

الصحفية للواقع يوصل ذاته إلى درجة الكمال حسب خصوصية مثل أو نوع الأعمال الإبداعية.

لم يَجْدِ احتمال آخر يتجلى في الدراسة أيضاً تصوراً في المخطط. ويُفسّر ذلك في أن البنية المحددة للأعمال الإبداعية التي كانت تشكله، لا تخضع لعملية التخطيط: إن التبدلات فيها لا تحتوي على أي أسس موضوعية، ولذلك فهي غير مستقرة. في الحالة الأولى تنزل إحدى العمليات، وفي الحالة الثانية - عملية أخرى وفي الثالثة تغيير موجود عفوي للعمليات. بالنتيجة العملية المعرفية تبدو غير مُنظمة: خطوات لا غير منجزة في الوقت المناسب ولابد من تعويضها بأعمال معرفية عابرة أو يحصل الأمر دون معطيات ضرورية، الأمر الذي يقود إلى تخفيض نوع الإنتاج وجودته.

كل ذلك يقود إلى خلاصة مفادها أن علاقتنا هنا مع أعمال إبداعية تدل على وجود مثل هذا الاتجاه في الممارسة الصحفية الذي يمكن أن يتحدد كاتجاه أو نزعة نحو خرق أسلوب خصوصي للمعرفة الصحفية للواقع، ونحو استبداله بعملية معرفة عفوية تجريبية مبتذلة، والذي يَحُد جوهرياً من عمق التغلغل في مادة الدراسة وفي الموضوع. طبيعي أن هذه النزعة خلافاً للنزعة المثبتة قبل ذلك لا يمكن أن تكون مقبولة بالنسبة لنا في ظروف الثورة العلمية التقنية، في ظروف النمو الثقافي العاصف في زيادة السكان في بلدنا، حينما تضع الدولة أمام الصحافة مهمة- تشديد وبكل ما أمكن (التأثير على تطور الاقتصاد والعلم والثقافة وعلى مجمل الحياة الإجتماعية) مقدمة العون لتحقيق «الهدف السامي للدولة - بناء المجتمع الحضاري-المدني المعاصر.يُعتقد أن ظهور هذه النزعة مرتبطاً تحديداً في أن الوعي المهني الصحفي حتى الآن لم يعكس بالشكل الكامل الحالة التي نشأت في الممارسة وربما وصفت على الشكل التالي: إن نجاح العمل الصحفي عموماً مرتبط بدرجة عالية من امتلاك الأسلوب الخاص للنشاط المعرفي، الملازم للصحافة بالذات.

وبكلمة أخرى فإن أسلوب المعرفة الصحفية للواقع الموجود في الواقع حتى الآن لم يجر إدراكه واستيعابه كشيء عام وفي متناول الدراسة ومستخدم في أعمال إبداعية محددة باعتباره يحمل خبرة مثالية لتحقيق مرحلة معرفية في العملية الإبداعية. يعيق مثل هذا الإدراك والوعي المغالاة والمبالغة الثابتة لدور النواحي الفردية غير المتكررة في العملية المعرفية والتي تتحدد وأكثر ما يكون بتنوع الأعمال التنظيمية العملية بالقوانين الخاصة المعرفة. إن المبالغة في دور الفرد تكشف عن ذاتها بشكل أفكار قديمة ثابتة والتي بموجبها لا يجوز تعليم مهنة الصحفي طالما أن هذه المهنة - إبداعية. «لا يجوز نقلها» - يعني ذلك أنه لا شيء يمكن تعلمه، يعني أن في المهنة لا يوجد عناصر تمتلك طبيعة إجتماعية وتمثل تجلياً للقوانين العامة لهذا النوع من النشاط. تأكيد سخيف تماماً مثل ما هو ممنوع تصور فنان لا يمتلك ريشة للرسم، شأنه شأن الموسيقي الذي لا يعرف ألف باء النوطة الموسيقية (أليس أولئك من ممثلي المهن الإبداعية). لا يجوز تصور صحفي معاصر لا يعرف وغير مضطلع على المبادئ والطرائق العامة للصحافة.

لكن معرفة المبادئ والطرائق بحد ذاتها، ولو أنها تبرز كشرط إلزامي في الحرفية الصحفية، وكعنصر من عناصرها لا تُحَدِّد مستواها، تُقاس درجة الحرفية بدرجة امتلاك أسلوب المعرفة الصحفية، ولو حصل عدم إدراك لهذا لسبب مُعيَّن- لا يُدرك حتَّى النهاية واحتياطات رفع الحرفية - تتوفر فرصة تنكسات الديالكتيك.

ما يعني ذلك - إدراك أسلوب المعرفة الصحفية كتجسيد لأساسه ومنطلقه الخاص؟ فهو موجود في التطبيق، ليس بالشكل النظيف: إن مظاهره تتكشف إلى جانب مظاهر خصائص أنواع مختلفة من الإبداع الصحي. وكما كتب في حينه أ. إي. غيرتسين «في الحياة كل شيء يتكون من مكونات وترددات وتقاطعات واستلابات واعتراضات وليس من قطع مكسرة»، يبدو أن المخرج هنا في تكنكة المرحلة المعرفية للعمل وفي وضع مجموعة من التقنيات المتوافقة مع شروط أنواع

محددة من الإبداع الصحفي، وفي الوقت ذاته تلك الّتي تحمل ملامح عامة نوعية لأسلوب المعرفة الصحفية للعمل.

إن اصطلاح «تقني» المستخدم في الصحافة، لا يستعمل للمرة الأولى. إنه موجود حتّى في برنامج مقرر «النّظريّة والتطبيق في الصحافة العالمية (الصحافة الدورية). غير أن مضمونه غير محدد أبداً: إنه شبيه بما يفهم منه كطرائق فردية في العمل. يُفسر تقريباً هكذا أيضاً في مصطلح «الصحفي» وهذا ما يؤكد مرة أخرى وجود تقييم مبالغ فيه في الوعي المهني لمعنى الفردي في المرحلة الأولية للإبداع الصحفي: التقنية المرافقة للإبداع - عملية حساسة، فردية للغاية، ولا تحتمل النسخ الأعمى».

وفي أجناس أخرى من النشاط وفي مجالات أخرى من المعرفة، فإن مفهوم «تقنية» يخدم عملية نقل المضمون المعاكس قطرياً: إنه يعني ذاك الجانب من العمل الذي يتوقف أقل ما يكون على الخصائص الفردية للشخصية. لنفترض أن الحديث يدور حول تقنية صهر الفولاذ: لا يبرز أي شك عند أي فرد بأن المقصود ليس الخصوصية الفردية لصهر الفولاذ من قبل فريق عملها أبداً أو بالمقابل فريق اخر. المقصود تلك الدلائل والسمات الثابتة التي تميز عملية صهر الفولاذ من عملية إنتاج أي مُنتج آخر وتظهر نفسها كنظام موضوع بصورة خاصة تقنياً لأفعال أفراد غير مباشرة - نظام إلزامي أيضاً بالنسبة لاخرون لأن أي خرق له يقود إلى هبوط نوعية المنتج أو بشكل عام يضع نتيجة العمل في دائرة الاستفهام.

وحتى وقت قريب كان يُعَدُّ أن الحديث عن التقنية في هذا المعنى مشروع فقط عند الإستخدام في مجال الإنتاج المادي. إن حركة الفكر العلمي المعاصر تُبين بأن الأمر ليس كذلك. إن إبراز الجانب الإعلامي في النشاط الإنساني يفتح فرصة البحث في الإنتاج المادي والروحي على أسس عامة وبالذات كعملية إنتاج مُنتج - عيني قدراتي أو إعلامي. أما المقاربة المنظمة تجاه دراسة هذه العملية فتسمح

بالتثبت في هذه الحالة أو في جملة من خصائصها العامة. إحدى هذه الخصائص تتلخص في أن إنتاج منتج في المجالين مُقسم إلى أعمال منفصلة، الخاصية الأخرى - في كلتا الحالتين هذه الأفعال مُنظمة بشكل محدد أي أنها تبرز على شكل بنية مُعنية تتميز بثبات معروف. هذه الأفعال وهذا التنظيم يشكلان الجانبين، حيث أصبحتا تعرف أن أسلوب هذا الخبر الفني أو ذاك من النشاط يتكون منها. إن أشكال هذا الأسلوب تتجه إلى اعتبار الشروط المحددة من النشاط وتحمل اسم تقنية، وتخضع للاستيعاب في سياق التأهيل المهني كما تخضع للمراعاة في سياق الممارسة المهنية. التطور اللاحق لأسلوب العمل مرتبط بتحسن مستوى التقنية في ضوء المعطيات العلمية الجديدة. وفي إدراك هذه العناصر يكمن معنى أفكار الإستخدام الشامل لمفهوم «تقنية» التي انتشرت بصورة واسعة في السنوات الأخيرة.

كان من الظلم التأكيد بأن الأفكار المذكورة - هي بصورة كاملة وشاملة إلهام عصرنا. ففي فترة ظهور كلمة «تقنية» أضفى اليونانيون القدماء على هذه الكلمة معنى شاملاً عاماً: ففي الترجمة تعني هذه الكلمة «علم الحرفية والمهارة والإتقان». لكن حقيقة أن البشرية تاريخياً كانت بالدرجة الأولى منشغلة بالمهارة والحرفية في مجال الإنتاج المادي، هذه الحقيقة اشترطت التطوير السريع «علم المهارة والإتقان» وخاصة في هذا المضمار. إن إنتاجية تكنكة مجال الإنتاج الروحي خلال الفترة التاريخية الهائلة لم تُدرك من حيث الجوهر: لا متطلبات ممارسة الإبداع الروحي الذي كان حكراً على النخبة ولا مستوى تطوره، لم تُثر هذه الظروف في الحياة. هذه الممارسة دخلت جدول أعمال عصرنا - عصر الثورة العلمية التقنية، وتشهد على ذلك الأبحاث والدراسات الواسعة التي قام بها العلماء في مجال التنظيم العلمي للعمل الذهني وظهور مثل هذا التيار العلمي كالتقنية الإجتماعية والدراسة الإنتاجية لمجموعة من التقنيات المحددة مثل تقنية العلوم وتقنية العمل الإداري وتقنية التعليم.

وكما يؤكد بإنصاف العالم البلغاري المشهور والزعيم الإجتماعي ستيفانوف فإن «تكنكة العلوم الإجتماعية ليس لها أي شيء مشترك مع عدم أدلجة علم الاجتماع الذي يُعَدُّ هدفاً لبعض المفكرين الغربيين المعاصرين. ففي ظروف التعارض السياسي والفكري بين الناس الإيديولوجي بين نظامين اجتماعيين لا يمكن معالجة أية مسألة من مسائل التطور الإجتماعي خارج المقاربة الإجتماعية والتوجه العلمي الواضح والموقف الفكري». أثناء وضع التقنيات فإن المقاربة الإجتماعية في مجال الإنتاج الروحي تتجلى من ناحية عبر تفسير علاقات الوجود والوعي العيني - القدراتي والمعلوماتي المادي والمثالي والوجود الإجتماعي والوعي الإجتماعي، ومن ناحية أخرى عن طريق تفسير أهداف العمل والنشاط في علاقة مباشرة مع مصالح هذه الجماعة أو تلك. تبرز الفلسفة العلمية كقاعدة للفكر التقني الطليعي وتحديداً النظرية العلمية للعمل والنظرية العملية للانعكاس ونظرية المعرفة.

إن تكنكة الإنتاج الروحي ليس له أي شيء يجمعه مع إلغاء أساسه الإبداعي. تتألف خصوصية الإبداع قبل كل شيء من أن هدفه خلافاً لهدف العمل المعاد إنتاجه يوجد مبادرة مثالية ينتجه، كهذه التي لا شبيه لها مطلقاً في الواقع المحسوس. غير أن ذلك لا يعني أبداً أنها معزولة عن الواقع وعن التجربة السابقة للعمل. إن بنية هدف الإبداع جذابة، حيث تُعَدُّ وتمثل وحدة ديالكتيكية لأبعاد دائمة ومتقلبة بالنسبة لهذا النوع من الإبداع. تدخل في إطار الأولى بعض المواصفات العامة لجميع منتجات هذا النوع من الإبداع التي تتصف بوحدة الأساليب المستخدمة في العمل... إلى المجموعة الثانية المتقلبة تنتمي المواصفات التي يجب أن تتحقق وتنجز كرد على الحاجات الإجتماعية الملموسة في لحظة محددة بالشخصية الإبداعية المعنية، ويمكن أن تتطلب وسائل جديدة وغير معروفة.

إن تكنكة العملية الإبداعية لا تخفض بأي شكل من الأشكال دور القدرة الإبداعية للشخصية. بالمقابل توفر التقنية الإستخدام العقلاني للاحتياطات الإبداعية بتجنب الحالة النفسية من ضرورة «اختراع» الدراجات - البحث عن طرق معروفة لمعالجة بعض المهمّات والمسائل. بفضل ذلك تنشأ ظروف من أجل تنشيط الجهاز النفسي للشخصية وبالذات في سياق العمليات التي تخدم تماماً خلق الجديد الذي لم يكن سابقاً يمتلك مكاناً في الواقع.

ويمكن تقييم التصور العلمي حول عملية الإبداع الصحفي كتجربة أولى في تكنكة الإبداع الصحفي. في رسالته إلى ف.م. كاسباروف المرسلة في حزيران عام 1999 توجد شهادة ليس لها معنى آخر ومفادها أن العملية الإبداعية أدركت وجرى استيعابها من قبل الباحثين كوحدة ديالكتيكية للحظات إلزامية متكررة عاملة تستوعب إدراك الواقع وجعل نتائجه موضوعية. هذه الشهادة - تقييم مقالة أحد الباحثين التي تمثل من حيث الجوهر ملاحظات على سير العمل. «الموضوع برأيي مأخوذ بشكل جيد ومدروس بصورة صحيحة، - لكنه غير معقول بصورة كافية وأدبية». يكتب أحد الباحثين مُبرزاً على شكل افعال بعض عمليات الإبداع التي استخدمت بمقدار مختلف من النجاح، وطبقاً لذلك جُمعت في النص (باعتبار أن أي نتيجة للعمل «تجمع في ذاتها» مسيرته).

وكما تشهد ن.ك. كروبسكايا فإن مقاربة كهذه بالنسبة للباحثين ليست بمحض الصدفة، فقد استرشدوا بها أيضاً في ممارساتهم اليومية الصحفية والكتابية كمحررين: إن إختيار الموضوع ودراسته وإعداده الأدبي - ثلاث نقاط أَوْلوها الباحثين إهتمامهم لقد استغل الباحثون تصوراتهم حول العملية الإبداعية كمخطط تقني من نوع خاص، كان من الممكن الاستعانة به كموجه أن يرفع مستوى حرفية ومهنية الصحفيين.

في الوقت الحاضر، في ضوء الأفكار العلمية التي تناولناها أعلاه تتوفر إمكانات جديدة لتكنكة الإبداع الصحفي. ما يتعلق بتكنكة المرحلة المعرفية لعملية الإبداع، فإنها اليوم تمثل ضرورة ملحة لأنها تبدو وسيلة تجيد في التطبيق الصحفي لاتجاه غير مستحسن يستبدل الأسلوب الخاص للمعرفة الصحفية للواقع من خلال عملية المعرفة العفوية التجريبية المبتذلة.

هل بالإمكان اعتبار أن إختيار التقنيات التي يتحقق فيها أسلوب خصوصي مميز من المعرفة الصحفية ينصب بأشكال واحتمالات العملية المعرفية المثبتة أعلاه كاحتمالات فعالة؟ بالكاد. لم نضع أمامنا مهمات إبراز وعرض التقنيات جميعها الممكنة هنا. فمن أجل ذلك يتطلب الأمر كماً هائلاً من الأعمال الإبداعية – أكثر تنوعاً وتمثيلاً ومنهجية أخرى في البحث. كان هدفنا أكثر تواضعاً: تعليل ضرورة تكنكة النشاط المعرفي للصحفي كإحدى طرائق رفع فاعلية المراحل الأولية للإبداع. غير أنّه كأسس يمكن اعتبار أنّه يوجد في الصحافة المعاصرة بعض الاحتمالات وأشكال التقنية لأسلوب المعرفة الّتي أصبحت مستقرة: ونشير إلى ذلك ببلاغة كبيرة اعترافات مجموعة من رواد الفن العالميين يستخدم إ.م. شاتونوفسكي بوعي مخططاً خاصاً ومميزاً في العمليّة المعرفية في سياق إعداد «المقالات الهجائية أيّام الأحد». هذا المخطط ربما يمكن دراسته والنظر إليه كأحد الأشكال التقنية لأسلوب المعرفة الصحفية. فالصحفي بداية اتجه نحو تصوير المشكلات الّتي تخرج عن إطار موضوع واحد محدد، ولذلك يدرس المادّة في عِدّة مستويات كجانب لمواضيع مختلفة والّتي تمر عبرها الحالة الإشكالية البعدية، و بحكم ذلك تُدرس العمليّة في الزّمان، وظاهرياً تبدو بمثابة تراكم طويل إلى حد ما للمادة.

إن حقيقة أن مراسلين آخرين في قسم المقالات النقدية الهجائية في بعض الصحف العالمية الكبرى يعملون بهذا الشكل في «مقالات هجائية» في «النيويورك تايمز واشنطن بوست» إنما تشهد في صالح التقنية كنوع من مستوى المعرفة المهنية،

حيث تتجلى بواسطتها النظرية في التطبيق، وليس بمحض الصدفة يقوم الباحث الروسي ف.غ. أفاناسيف متحدثاً عن دور التقنية الإجتماعية بتجديده كوسيلة لترجمة القوانين الموضوعية إلى لغة الممارسة الإجتماعية، لممارسة الإدارة الإجتماعية. إنها ترجمة لغة العلم المجردة الذي يعكس القوانين الموضوعية لتطور المجتمع وإلى لغة ملموسة للقرارات والمعايير والتوجيهات الناظمة والمشجعة للأفراد ولكل فرد على حده ليقوم بإنجاز أفضل للأهداف المرسومة.

نعتقد أن التحسين اللاحق للمراحل الأولية لعملية الإبداع الصحفي وتعاظم فعالية العمل الصحفي في هذه المرحلة يتوقف كثيراً على نجاح وضع تقنيات ملموسة للمعرفة الصحفية وتعلمها في سياق تأهيل الكوادر الصحفية.

الفصل الرابع
طريقة الملاحظة (المراقبة) في الصحافة



طريقة الملاحظة (المراقبة) في الصحافة

إن طريقة الملاحظة، وخلافاً للطرائق الصحفية المهنية الأخرى في جمع المعلومة الإجتماعية توفر إمكان الحصول على المعرفة المباشرة (المرئية والمسموعة والمحسوسة). حول موضوع الواقع الحقيقي.

يشكل الإحساس⁽ الإدراك (الاستيعاب والتصور) أساس أي ملاحظة علمية طبيعية ونفسية وإجتماعية وصحفية وغيرها. ففي سياق الإدراك تتجمع بعض الأحاسيس المجزأة في صورة على شكل مادة كاملة للموضوع، فيما يسمى بالصورة الشعورية. فعلى أساس التفاعلات المتبادلة بين الإنسان والعالم المحيط يضم الإدراك دائماً نواحي مشتقة ونواحي مُعاد اشتقاقها للتفاعل المتبادل بين الإنسان والعالم المحيط. فالصورة الشعورية تمثل أنموذجاً خاصاً للظاهرة المدركة. تنعكس التجربة السابقة للإنسان في الحالة الراهنة عن طريق معرفة بعض ملامح الماضي فيها، فالمعرفة تساعد على إدراك ووعي المادي وإيجاد السمات الحسية المحدودة فيها، فبفضل الإدراك والاستيعاب فإن الإحساس يتعمم في الإدراك أي يتناسب مع المفاهيم العامة.

إن المعرفة مرتبطة بصورة مباشرة بالتصور الذي يعد أنموذجاً أصلياً للمفاهيم، ويبرز بمثابة شكل انتقالي من الإحساس إلى التفكير.

إن دائرة تصوراتنا تتوسع دون انقطاع مع كل إدراك جديد ويحصل تكديس في الخبرة الشخصية اغتناء لخبرة الماضي وتجربته. وفي الوقت ذاته ومع التكديس والاغتناء تجري عمليات تصحيح التصورات غير الدقيقة. ومع العلم بأن التجربة السابقة للشخصية تنشط في الإدراك، فإن الإنسان يستوعب ويدرك الواقع الفعلي ليس فقط بفضل خبرته الفردية (وأحيانا ليس بالقدر ذاته) لكن بشكل رئيسي عن طريق ستار الخبرة الإجتماعية (المعارف التي كدستها البشرية). كلما كانت الخبرة

الحياتية الماضية والخبرة المهنية أغنى كلما امتلك الفرد كمية كبيرة من المعارف وكلما أصبحت نتائج الإدراك أكثر امتلاءً وصدقاً. فالشرط الأكيد للإدراك يتجلى في الفئات المنطقية- التخيل والفهم.

بمساعدة المفهوم يقوم الإنسان بصورة منطقية بإعداد المعطيات الشعورية التي تم الحصول عليها ويفهم المادة الخارجية أو الحالة بصورة صحيحة. ينفذ المفهوم الوظيفة المنظمة والموجهة، فضلاً عن أنه لا يحدد وجهة النظر الأساسية فحسب بل ويساعد في تصور ما هو غير مرئي وغير ملاحظ. إن تنظيم الإدراك، إدارته وحتى استقراء الوقائع الجديدة- تلك هي وظائف فئة المفهوم. على هذا المستوى تظهر علاقة المفهوم والتخيل. فإذا كان المفهوم يبرز نوعياً بشكل جديد للانعكاس بالمقارنة مع التصور، فإن التخيل هو الذي يشكل هذا المفهوم ويعطيه هذه الملامح النوعية.

إن عمل التخيل يُحدد الطبيعة النشيطة للإدراك ويضفي عليه الطبيعة الإبداعية الخلاّقة. فالتخيل إذ يتعامل بالصور الشعورية للتصورات إنما يُعمم هذه التصورات ويّترجمها- وينقلها إلى صور ذات مستوى أعلى- إلى صور معرفية. فالصورة المعرفية تتطلب شروطاً محددة للتكون وهي عادة تدخل في ميدان فعالية ما معينة حيث تبرز كنتيجة مرحليّة أو نهائية له.

بهذا الشكل يّعدُّ الإدراك تلك (الخلية) التي تتحقق فيها انتقال المضمون الشعوري إلى المضمون المنطقي وعبر الوعي والإدراك الشخصي للمادة (إبرازه بمثابة مادة ملحقة المصالح والحاجات والرغبات) تُلحظ علاقة الإدراك بالنشاط والفعاليّة وتحديداً بالفعاليّة المعرفيّة الصحفيّة. في سياق النشاط فإن الفرد (... ليس فقط يرى، بل ويشاهد، ليس فقط يسمع بل ويُصغي، وأحياناً فإنه لا يشاهد أحياناً فحسب، بل ويتدارس ويبحث، لا يصغي فحسب، بل ويتنصّت وحتى يسترق السمع).

توجد ثمة مجموعة من مستويات الإدراك. الإدراكات غير القصديّة والعابرة التي لا تتوقف على إرادتنا تُشكل مستوياته الدنيا وما يُسمى بالإدراكات "الاعتيادية". ففي الحالات التي تُضبط فيها الإدراكات وتتوجه بمهمة معرفيّة حينما تغدو "عملاً هادفاً" تكتسب الطابع القصدي فإننا نتحدث عن المستوى الرفيع للإدراك-الملاحظة.

إن مستويات الإدراك المحققة مع التعليمات والإرشادات الهادفة وذات الطابع التخطيطي المنتظم تغدو طريقة للملاحظة العلمية. فالملاحظة الصحفيّة تحتوي على أدلة وسمات جميع مستويات الإدراك. إن الإدراك "الاعتيادي-المبتذل" العابر يمكن فجأة أن ينشأ في الذاكرة وأن يصبح جزءاً أو عنصراً واضحاً في النص أو أن يعطي دفعة تجاه الملاحظة الهادفة مستقبلياً. إن الانتظام والمنهجية والسعي نحو الهدف التي تتلازم مع الملاحظة العلمية إلى حد كبير تساعد في إعادة بناء عملية الملاحظة الصحفية وإيصالها إلى درجة الكمال.

يمكن تحديد الملاحظة الصحفية كإدراك منهجي هادف في الحياة الإجتماعية المعاصرة، والذي يمتلك توجهات سياسية وأيديولوجية مُعبِّرة في دقّة والذي يتحدد مسبقاً بفعل المصالح الإجتماعية والحزبيّة وكذلك أهداف المؤلف الإبداعيّة والمعرفية والنفسية.

الملاحظة في الصحافة – عملية معقدة وإبداعية. تتحدد بنيتها بفعل الظروف الخارجيّة والداخلية على حد سواء. فالظروف الخارجية مرتبطة بموضوع -مادة- الملاحظة، أما الداخلية فترتبط بشخصية الفرد الملاحظ نفسه وأهدافه النفسية والمهنيّة أي برغباته ومتطلباته وغاياته ومهماته ونشاطه الذي يحققه هو. فالملاحظة الصحفيّة وبشكل متعدد الأنماط تجمع الأوصاف والمواصفات العامة والتي تميز الكثير من أنواع الفعاليّات والخاصة بالملاحظة وكذلك تجمع المواصفات الخصوصية التي أفرزتها الممارسة الصحفية.

إن خصوصية مادة وموضوع الملاحظة الصحفية مشروطة في حالات إجتماعية معقدة ومصائر إنسانية ملموسة وعمليّات تاريخية وحياتية وحاجات فردية ضيّقة تدخل في الساحة البصرية للصحفي. إن مادة وموضوع الملاحظة الصحفية ديناميكية وتتوسع باستمرار. فمع بداية عصر الفضاء يظهر في الصحافة تخصص فضائي وغيره. فالصحفي لا يستطيع عزل الموضوع الإجتماعي وتحديده في الزمان والمكان وخلق ما يسمى بالمجال الاصطناعي المعزول تماماً عن تيار الحياة الطبيعي. فمع تطور عمليّة التفاعل المتبادل ذاتها بين الصحفي والواقع القائم فإن عملية الملاحظة تتعقد. يوجد ثمة رأي غير معلل أبداً هو أن مادة الملاحظة لا يمكن أن تكون للعالم الداخلي للإنسان وجوهر هذا الحدث أو تلك الظاهرة.

تقدّم دراسات عالم النفس معطيات معاكسة: (التكونات النفسية المعقدة التي تمثل مجموعات متصلة يعاد تنظيمها من خلال العمل للعمليات والحالات تتجلى بصورة ديناميكية في الوجه الخارجي وفي سلوك الفرد على شكل جملة سمات وأدلة محددة يجري تنظيمها في هياكل مكانية وزمانية) فالمعطيات الخارجية المتعلقة شعورياً بتوصيف الموضوع تكون عموماً بمثابة إشارات للحالة الراهنة والتي تصبح نقاطاً للملاحظة.

إن طبيعة النتائج التي يمكن للصحفي أن يحصل عليها بفضل طريقة الملاحظة مختلفة ومتنوعة وواسعة – من التوصيفات المادية والعينية والمعطيات الشعورية الإيضاحية والتصويرية وغيرها حتى المظاهر النفسية متعددة المعاني للعلاقات المتبادلة بين الناس في الجماعة حيث تحتاج ملاحظتهم ومراقبتهم إلى معرفة وتكتيك متميزين.

ولا تقل تعقيداً ملاحظة الحالة الإجتماعية، فمن أجل امتلاء المشهد يحتاج الصحفي إلى الحصول على معلومات عن قوام المشاركين والبواعث الداخلية والدوافع والحوافز الخارجية التي خلقت الحالة وتركيز الإهتمام على هدفية

التحركات والأفعال الجارية أو على تناقضاتها وعلى أسباب نشوء هذه الحالة وكذلك على الاستمرارية والانتظام على الجو الذي يحصل فيه التواصل وغير ذلك.

يوجد جملة من الأنواع المتعددة للملاحظة الصحفية يمكن تصنيفها حسب أسس مختلفة: حسب مادة الملاحظة، حسب طبيعة المعلومات التي تهم الصحفي. إننا ندرس الملاحظة كطريقة في جمع المعلومات في المرحلة المبتدئة لدراسة النشاط الإجتماعي من قبل الصحفي ولذلك سوف نقوم بتصنيف الملاحظة الصحفية حسب طرق التنظيم وحسب موقع الملاحظة. وبهذا الصدد سنشير قبل كل شيء إلى الملاحظة المفتوحة والمخفية.

الملاحظة المفتوحة تتصف في أن الناس يعرفون حقيقة وواقعة الملاحظة والصحفي لا يخفي حضوره وهدفه ومحتوى عمله.

ففي الممارسة الصحفية تستخدم وبصورة واسعة الملاحظة المخفية، فكثيراً ما يستخدم الصحفيون الملاحظة المخفيّة عند دراسة حالة صراع معينة أي دون إخفاء حضوره وذلك زمن معين لا يعلنون عن الهدف والمضمون الحقيقي لعملهم.

يمكن أن تشترط طرائق تنظيم الملاحظة الصحفية درجة مشاركة الصحفي في الحالة المبحوثة. على هذا الأساس تبرز الملاحظة الداخلة والملاحظة غير الداخلة والتي بدورها تكون مخفية أو مفتوحة. فالملاحظة الداخلة مخفيّة عندما لا يعرف أعضاء الفريق-مادة أو موضوع البحث والدراسة أنهم خاضعون للملاحظة، والملاحظ يُعدُّ مشاركاً أو مساهماً نشيطاً في الحالة (عادياً أو عموماً). وحول الملاحظة الداخلية يتحدثون أكثر ما يكون في الحالات عندما يبدل الصحفي المهنة. إذ يبدل المهنة وعند دخوله إلى الحالة المدروسة يأمل الصحفي بالحصول وعلى العموم يحصل على معلومة مهمة جداً وغير خاضعة للملاحظة الجانبية. في هذا أفضلية كبرى للملاحظة الخفيّة الداخلة. فإستخدام

طريقة "تبديل المهنة" تعطي للصحفي القدرة على الدخول إلى المجموعة الإجتماعية التي تهمه بصورة غير ملحوظة. هذه الطريقة فيما بعد يمكن أن تنتقل أيضاً (تتحول) إلى ملاحظة داخلة مفتوحة والتي تحصل أيضاً في الممارسة الصحفية.

تتميز الملاحظة الداخلة المفتوحة بعلاقة -باتصال- أكثر قرباً وإنتاجية وعملاً بشكل بين الصحفي وبين شخوص ماسينشر مستقبلاً.

فالملاحظة الداخلة المفتوحة يبدو أنها تمتلك جميع سمات طريقة "تبديل المهنة" التلاحم الوثيق مع الوسط المدروس وإمكان الحصول على معلومة أكثر عمقاً وغيرها، ومع ذلك فإن ذلك يُعد طريقة أخرى تمتلك خصوصيتها المميزة.

إليكم ما يتحدث عنه الصحفي من القاهرة رئيس قسم المعلومات في صحيفة "الأخبار المصرية". في فترة الحصاد كان يعمل ميكانيكياً في المزرعة، وفي هذا الوقت كان يطبع عمله "يوميات من الحصاد".

"عندما عقدت العزم على الذهاب بمهمة قال أصدقائي: "مفهوم أن الصحفي يبدّل مهنته. لكنني لم أفكر بتبديل المهنة وذلك لأنه قبل كل شيء، صيغة (الصحفي يبدل مهنته) تقضي حسب رأيي بالعمل بكاميرا خفيّة." إنني لم أقصد أبداً التقليل من شأن هذه الطريقة الصحفيّة. أريد القول: في الواقع الحالي هذه الطريقة لم تتوافق مع مخططات النشر. في هذا الأمر لخّصت المسألة كي تحقق التواصل مع الجماعة وثقته الكاملة بالبقاء في مهنة الصحفي. فالصعوبة هي تجاوز حاجز نفسي محدد وبكلمات أسهل في إقامة ثقة متبادلة بيني وبين الناس الذين تقرر العمل معهم".

إن الاندماج الكامل مع الجماعة في ظل الملاحظة الداخلة المفتوحة يسمح بمعالجة مشكلة جدّية وإقامة علاقات ثقة متبادلة بين الملاحِظ -المراقِب- والملاحَظ -المراقَب- فالتعاون الوثيق يسمح بالحصول على معلومة توعية أكثر

بالمعنى العاطفي ومن حيث المضمون ويلعب دوراً إيجابياً في مجال مصداقية نتائج الملاحظة وانعكاسها في نص المطبوعة.

الملاحظة غير الداخلة - هي الملاحظة من الجانب والتي بشكل عام لا تُعد غير مشاركة. ففي أي شكل من أشكال الملاحظة بما في ذلك الملاحظة غير الداخلة يلعب إهتمام الصحفي المهني والإنساني وبناؤه العاطفي دوراً كبيراً. الملاحظة غير الداخلة تنظر إلى الصحفي قبل كل شيء بمثابة (شاهد) مهتم ومعني بالحدث وليس فقط كمسجل لهذا الحدث.

إن طرق تنظيم الملاحظة الصحفية تتوقف أيضاً على طبيعة المعلومات التي ينوي الصحفي الحصول عليها بواسطة الملاحظة، وفي نهاية الأمر على مادة الملاحظة. وحسب هذا الأساس تتميز الملاحظات المباشرة وغير المباشرة.

فالملاحظة المباشرة تعني الاتصال المباشر للصحفي مع الواقع القائم. يمكنها أن تكون مفتوحة وخفيّة (الخفية على سبيل المثال: تُجمع المعطيات عن الصفات الخارجية للفرد، تُثبّت تصرفاته وهلم جرى)، ويمكن أن تكون داخلة أو غير داخلة، لكن على أي حال يرى الصحفي نفسه المادة التي تهمه.

الملاحظة غير المباشرة تُمثل محاولة "تثبيت حجم غير ملاحظ".

إن هذه ليست الملاحظة لظاهرة إجتماعية الأكثر دراسة أو لعملية تجري دراستها أكثر من غيرها بل لمظهرها عن طريق وقائع وحقائق إجتماعية متعددة. في ظل الملاحظات غير المباشرة جميع الطرائق التجريبية - المقابلة الصحفية، تحليل الوثائق - تلعب دوراً مساعداً أي تستخدم لأجل جمع المعطيات التي ليست في متناول الملاحظة المباشرة. وتستخدم طريقة المقابلة الصحفيّة على سبيل المثال لأجل الحصول على معلومات عمّا يجري. ففي الحالات التي يكون من المهم فيها بالنسبة للصحفي ليس محتوى الوثيقة بقدر الواقعة ذاتها ووجودها، يتحدثون عن الدور المساعد في الملاحظة غير المباشرة لطريقة دراسة الوثائق.

تتميز طريقة الملاحظة غير المباشرة كذلك بالدليل الزماني، تنقسم إلى ملاحظة طويلة وملاحظة بعدد المرات. فالملاحظة الطويلة تفتح أمام الصحفي الطبقات العميقة في الحياة الإجتماعية وتساعد في تجنب الأمور السطحية. أنها تحمل في داخلها ملامح الملاحظة المفتوحة المدخلة أو غير المدخلة المفتوحة في الزمن.

"بعد أن كتبت عن الفرد أعود أحيانا إليه بعد خمس سنوات، عشر سنوات، خمس عشرة سنة، عشرين سنة، وأحياناً أكثر من ذلك" يقول ي. ريابتشيكوف كي نتحدث عنه ثانية وإظهاره وإظهار كل ما يتعلق به في التطور..".

الملاحظة الطويلة مرتبطة بالمشكلة الحياتية العامة لتخصص الصحفي: "يجب أن تعيش موضوعك باستمرار، سنوات طويلة يجب أن تكون جغرافياً مرتبطاً ومتعلقاً ليس بالريف بصورة عامة بل وبأرياف محددة كي تُلاحظ وتراقب باستمرار ما يحصل فيها من متغيرات". كان يتقاسم الخبرة والتجربة الصحفي والكاتب الإجتماعي غ. رادوف "بالنسبة لي مثل هذا التعلق الأولي يتجلى في كوبان وليس كوبان على العموم، بل في مجموعة من المناطق وتحديداً في كورغان، عندما أسافر من سنة إلى سنة. ملاحظة ومراقبة حياة المزارع و الحقول في كوبان، إن الملاحظة بالعين الخبيرة تعطي القدرة على مشاهدة الحياة في تطورها وآفاقها. إن إجادة إقامة علاقة متينة وطويلة الأجل مع الناس لا تقل أهميّة بالنسبة للكاتب والكاتب الإجتماعي من الأسلوب الأدبي الذي يميزه.

إن الملاحظة الصحفية الطويلة تتشابه مع الملاحظة العلمية المنتظمة وتتشابه كذلك مع الملاحظة الكميّة حيناً" في سياق هذه العملية بهذا الشكل أو ذاك تتجمع بصورة عابرة وبمحض المصادفة ملاحظات من شأنها أن تشير إلى اتجاه أو إلى فكرة البحث والدراسة" وتتشابه أيضاً مع الملاحظة النوعيّة التي "تتلخص في جهوزية ملاحظة الوقائع المهمة التي قد تظهر في المجال الملاحظ.".

علماء الاجتماع، وعلماء النفس والأطباء والمحامون والصحفيون أي جميع من يستعمل بهذا الشكل أو ذاك في عمله الملاحظة، بالتنويه بالتفرد وعدم تكرار المعلومات التي تم الحصول عليها بفضل طريقة الملاحظة، وفي الوقت ذاته يعبرون عن انشغال جدي بخصوص سلامة وصحة المعلومات الحاصلة بفضل ملاحظة ومراقبة المعطيات. عند إستخدام هذا النوع أو ذاك من الملاحظة تقتضي الضرورة دائماً بالأخذ بالحسبان خصائص متنوعة تبرز وتنشأ أكان ذلك عند الاستيعاب أو في ظل تفسير نتائج الملاحظة. فالصحفي لا يلاحظ أو يراقب هذا بكل بساطة، لكنها وعلى طريقه الخاصة وبصورة انفرادية أي يستوعب ذاتياً ويفسر معطيات الملاحظة "في ضوء خبرته السابقة وحالته العاطفية الانفعالية و تصوراته النظرية. يوجد لدى الملاحِظ - المراقِب- دائماً نظام تقريري معين حيث يُضمّنه الأحداث ويفسرها في إطاره. هذا النظام التقريري يترك بصورة غير واضحة بصماته على مضمون نتائج الملاحظة... وبهذا الشكل يدخل في مشهد موضوعي عنصراً ذاتياً معيناً وبالتالي القدرة على التحريفات الذاتية المرتبطة به.

يفترض الإبداع الصحفي مسبقاً تفسيراً لمعطيات الملاحظة عند جمع ولو جزء قليل من المعلومات والوقائع يحاول الصحفي تفسيرها وتعليلها كي يقدم توجّهاً للدراسة والبحث فيما بعد. إن تفسير النتائج المرحلية يدخل عادة في عملية الملاحظة ذاتها "ففي بعض الحالات يجلب مزج المعلومات والتفسير وتحديداً في مرحلة تحريك الفرضيات العاملة، يجلب نتائج كبيرة.

يُبنَى تفسير للوقائع في الدراسة الصحفيّة على قاعدة العلاقة التقييمية تجاه الموضوع الإجتماعي، الأمر الذي يقوّي ذاتية التفسير. لكن وفي أي تقييم دوماً وبهذا الشكل أو ذاك تترك القيمة الإجتماعية للظواهر انطباعاً ورسوخاً. في سياق معرفة الموضوع فإن الذات بواسطة التقييمات يتناسب في العلاقة مع المجتمع.

وبكلام آخر بالنسبة للفرد تجاه الموضوع يجري التعبير عن علاقة المجتمع تجاهه. وهذه العلاقة إذ تتشكل على أساس التطور التاريخي للممارسة إنما هي متماثلة مع نفسها.

بالإضافة إلى تفسير المعلومات الواردة فإن اللحظة الذاتية تنشأ أيضا أثناء إجراء الملاحظات غير المباشرة، عندما يستخدم الصحفي معطيات ملاحظة غريبة. يحصل هنا تصويرالمعلومات وكأنها في عرض ثنائي مزدوج للذاتية (التفسير الذاتي يتوضع على الإدراك الذاتي للحدث من قبل شخص آخر).

تقضي الضرورة وعند تحليل طريقة الملاحظة في الصحافة الأخذ بالحسبان تلك الحقيقة القائلة بأن 'الذي يقود الملاحظة هو أيضاً إنسان' بآرائه تجاه العالم وبعاداته، فهو نفسه يُعد جزءاً من الموضوع الإجتماعي الذي يراقب ويلاحظ حيث أن 'الحالات الحياتية كثيراً جداً ويقدر ما هي معروفة وعادية بالنسبة له، بحيث يصعب النظر إليها نظرة المتفرج'.

إن الوسيلة الوحيدة السليمة لتجنب خسائر حدة الرؤية الإجتماعية عند الصحفي تتجلى في وجود مهمة معرفية دقيقة ومواقف صحيحة ومبادئ قيميه التي بتقرب الصحفي منها نحو دراسة الموضوع. خلال العمل في ظروف الملاحظة المدخلة (الخفية والمفتوحة)، عندما يصبح الصحفي عضواً في الفريق الإجتماعي الذي يدرسه، تقضي الضرورة بأخذ زمن وجوده في هذا الفريق بالحسبان.

ينصح العلماء الملاحِظ -المراقِب- التواجد في الفريق لفترة طويلة كي يتم التعرف جيداً على الحالة، لكن ليس طويلاً لدرجة ضياع الإحساس بالذاتية. يندمج -ينصهر- الصحفي مع الجماعة ويستوعب ويفهم المعايير الإجتماعية القائمة فيها، الشيء الذي يقود أحياناً على تزوير وتزييف نتائج الملاحظة. من الضروري رؤية هذا الخطر في الإبداع الصحفي.

وبالإضافة إلى المشكلة المنهجية المذكورة، الخاصة بصدق وبصحة نتائج الملاحظة المتعلقة بذاتية الإدراك يمكن أن تنشأ مشكلة أخرى -مشكلة التأثير المثير للامتعاض والاستياء عند الملاحِظ على طبيعة الحالة- الوضع.

ففي الممارسة الصحفية "يتجلى التأثير" المثير للاستياء والامتعاض" في حالات معينة حينما لا يعرف الصحفي المشكلة ويتصرف بشكل مثير أو بالعكس بخجل مفرط، خجول وما شبه ذلك. أن موضوعية الصحفي وصلاحياته وعدم تحامله، تلك هي الصفات النوعيّة التي تسمح له بتجنب أحادية الجانب.

يُعد إلزامياً بالنسبة لنا يتذكر يفغيني ريابتشيكوف "أن نخبر القرّاء حول الطيران ورياضة القفز بالمظلات بشكل مؤهل مع معرفة العمل. فمن أجل ذلك تعلمنا نحن الطيران بالطائرة، قمنا بأنفسنا بالقفز من الطائرة بالمظلة. إن ما تخبر عنه في الجريدة أو من خلال مكبر الصوت (الميكروفون) للناس، ينبغي عليك أن تعرفه".

أثناء جمع المعلومات للنشر الإيجابي في سياق الملاحظة، يكون التأثير "المثير للاستياء والامتعاض" سطحيّاً وعابراً في أكثر الحالات: إن صعوبات محددة بداية يمكن أن تنشأ بسبب عدم رغبة الناس باستعراض نجاحاتهم. ففي حالات وضع صراع معين فإن الأمر يكون مختلفاً إلى حد ما، يمكن للصحفي أن يصطدم بتفاصيل مُدبَّرة تخفي اللوحة الحقيقية وتطمسها وبعدم الرغبة الواضحة بالتقرب منها وبالتالي بالمعلومات الكاذبة.

إن خطورة الحصول على معلومات كاذبة عن قصد حول الموضوع الذي هو قيد الدراسة والبحث يجبر العلماء والمختصين من مختلف الميادين والفعاليات ممن يستخدم الملاحظة في العمل البحث عن أشكال وطرق تحقيق نتائج أكثر سلامة وصدقاً. فمن أجل معالجة هذه المشكلة يجب إستخدام نظام المراقبة التأكد من المعلومات واختبارها، هذا النظام الذي حصل في الدراسات والأبحاث الإجتماعية

والنفسية على اسم "برامج المعنى الأحادي" تقود أحكامه الأساسية إلى الإشراف على المعلومة الواردة ومعطيات الملاحظتين الأخريين وإلى الإشراف بالطرق الأخرى لجمع المعلومة الإجتماعية وإلى التوجه نحو الملاحظة المكررة وإستخدام المصطلحات العملياتية واستثناء مصطلحات التقييمات بالمفهوم الواضح من جانب الباحث لنظامه وتقريره، حيث جرى تفسير وجمع الوقائع.

تتميز الملاحظة الصحفية بالإشراف الخصوصي من جانب جمهور القرّاء وما يسمى بالرقابة على النتيجة.

يو. بيريسونكو يشارك بأفكاره بخصوص المراقبة المتعلقة بالقراءة. "فإذا ما دار الحديث عن ردة فعل القرّاء على ما تفيد به الصحيفة أقول: لعل ذلك كان أحدى اللحظات الصعبة في العمل. من الصعب كتابة مادة وأنت تعرف بأن إلى جانبك يجلس أناس ويقرؤون المادة السابقة عن أنفسهم وعن رفاقهم.

... بعض الملاحظات والتلميحات الشفافة- وأنت تعرف أين وما الهفوة التي ارتكبت في التحقيق السابق. لذلك لو أنهم سألوني هل أتيحت لي فرصة التعبير عن رأيي دوماً بخصوص أحداث الحصاد، لكنت أجبت بالقول: لعل الأمر كان دائماً لكن هذا الرأي أحياناً كان جماعياً".

فالإشراف من جانب القرّاء وكذلك شخوص المطبوعات يخدم في الصحافة كوسيلة من الوسائل الأكثر نجاعة لإنجاز المصداقية والأمانة. تتم العلاقة المعاكسة عن طريق رسائل القراء وعن طريق الردود على هذه المطبوعة أو تلك والملاحظة الشفهية أو الاستحسان تجاه الصحفي (تنشر بصورة خاصة مثل هذه الردود الشفهية في الصحف التي تصدر في المدن والأحياء وبحكم قربها المتميز من جمهور القرّاء.

يحصل الإشراف في الممارسة الصحفية أيضا من خلال طرق أخرى في جمع المعلومات الإجتماعية. عند جمع المادة يستخدم الصحفي الطرق التجريبية كافة، وفي الوقت ذاته يتوجه بالأسئلة إلى محدثه ويلاحظ حركاته ويُثبّت التصرف ويُركّز انتباهه إلى طريقة التصرف والسلوك وغير ذلك ويعمل بالوثائق وغيرها.

إن الملاحظة المتكررة لأغراض اختبار المعطيات الواردة مرتبطة في الصحافة بصعوبات محددة: أدخل الزمن تصحيحاته ولذلك يلاحظ ويراقب ثانية موضوع متغير إلى حد ما ولم يعد تلك الحالة. لذلك من الصعب إجراء الملاحظة المكررة بشكلها النظيف في الصحافة.

يعبر تحليل الخبرة الإبداعية للصحفيين عن أن تسجيل الملاحظات والمعلومات التي تم جمعها يحمل طبيعة فردية جداً. ففي دفاتر الملاحظات عند الصحفيين يمكن أن نجد تسجيلات وتدوينات مختلفة الأنواع – من التسجيلات الوصفية التفسيرية التصويرية البحتة حتى التعابير الانفعالية والتقييمية وعبارات الإعجاب والكلمات الصائبة. تبدو بأشكال متنوعة دفاتر التسجيلات عند الصحفيين: بعض الصحفيين يحتفظ بجميع المعلومات في ذاكرته أما في دفتر الملاحظات فيسجل فقط المعطيات ذات الطابع الاستعلامي. والبعض الآخر يقوم بالتسجيلات التفصيلية انطلاقاً من أنه قُمت بالتسجيل اليوم، يجب أن يفكر بأنك يمكن أن تحتاجه غداً وربما بعد خمس أو عشر سنوات. "ولذلك اكتبوا ودونوا في دقة وبالتفصيل..." - تلك هي نصيحة يفغيني ريابتشيكوف.

إن نظام التقرير الذي يجري فيه الانتقاء الصحفي وتفسير الوقائع يقوم على وجهة نظر واضحة وعلى مواقف إجتماعية محددة. تدخل في هذا النظام أيضاً معايير الأخلاق والمعرفة الدقيقة والمفصلة لمجالات مثل -الاقتصاد والصناعة والزراعة والثقافة وغيرها- التي يتخصص فيها الصحفي.

يفترض إجراء الملاحظة الصحفية برنامجاً كاملاً من الفعاليات. فالمشكلات المتعلقة بمنهجية البحث العلمي من أجل الحصول على معلومة صادقة وصحيحة تحتاج قبل كل شيء إلى عد الظروف الملموسة المحددة للملاحظة وتنظيمها الصحيح وإجرائها.

عند التنظيم الصحيح بعملية الملاحظة يسبق العمل التمهيدي الرامي إلى إدراك ووعي المهمة الفكرية والمعرفية يسبق الاتصال المباشر مع الموضوع.

الشرط الضروري الأولي لفعالية الملاحظة -التعرف المسبق على الموضوع بفضل الطرائق التجريبية الأخرى لجمع المعلومات- دراسة الوثائق والمقابلة وربما نتائج الملاحظات الغريبة. أثناء الملاحظة يجب أن يكون الإدراك هادفاً وأن يمتلك طبيعة دقيقة من القصدية ويترافق بالإنتباه الثابت والمركز والإرادي العفوي.

إن التيار غير المنظم من الانطباعات يبدد الإنتباه ويجعل الإدراك سطحياً وغير واضح. أثناء إعداد وإجراء الملاحظة من المهم جداً عدُّ المضمون النفسي لعملية الإدراك. المهمة المعرفية الدقيقة تضفي على الإدراك هدفاً ضرورياً وتركيزاً ضرورياً.

إن وضع نظرية -اتجاه- عامله على أساس التعرف المسبق على الموضوع يشكل جزءاً أساسياً من العمل التمهيدي للصحفي وفي ظل ظرف التزام وصدق النظرية- يشكل جزءاً أساسياً من دراسة الموضوع.

بعد وضع الاتجاه -النظرية- يستحق الأمر التفكير بمخطط توجيهي للملاحظة. الاتجاه العامل والمخطط التوجيهي يساعدان في تسهيل تحديد هدف الدراسة وتعليل وتوضيح المهمة المعرفية والحد من ساحة الملاحظة. وبكلام آخر فمن أجل فعالية الملاحظة تقضي الضرورة بإبراز مادة الملاحظة.

توجد ظروف موضوعية وذاتية من أجل إبراز مادة الملاحظة، فالشروط الموضوعية تتوفر بتوصيفات ونوعيات وخصائص مادة الانعكاس ذاتها. وهذا في الصحافة طبيعته الإجتماعية والشعبية.

الظروف الذاتية لإبراز مادة الملاحظة تعود إلى الملاحِظ ذاته. إن المهمات والمسائل التي نضعها أمام أنفسنا في طريق دراسة الموضوع تمتلك أهميّة كبيرة بالنسبة لإبراز مادة الإدراك.

بالنسبة للصحفي تُعد أحداث أو ظواهر العالم المحيط التي تمتلك وتكتسب أهمية بالغة لفترة معينة بالنسبة لمجتمع ولجمهور القرّاء تُعَدُّ مادة الملاحظة الاختبار المهني للإدراك ينعكس تحديداً في هذا الانتقاء لمادة الملاحظة ذات الدلالة الإجتماعية.

تلعب السليقة والحدس والشعور بالمشكلة والتخيل الواسع والفرز الدقيق للإدراكات الغريبة والمستوى العام لتطور الصحفي نفسه وحالته الذاتية في زمن الملاحظة والهدف الإبداعي الأساسي دوراً غير قليل في إختيار مادة الملاحظة.

بالإضافة إلى الظروف الآنفة الذكر لفعالية الملاحظة التي تتوقف بصورة أساسية على المُلاحِظ نفسه-الصحفي يجوز تجاهل وعدم عَدّ ما يسمى بالظروف الطبيعية. يندرج منها الطقس والموقف المحيط (الإزعاجات التي تبعد إهتمام الصحفي، الضجيج وغيره) وكذلك الجانب الفني البحت - حالة الأجهزة (إذا ما استخدم الصحفي هذه الأجهزة أثناء جمع المواد- المسجلة، الديكتافون، السينما، الصورة والأجهزة التلفزيونية وغيرها).

في سياق جمع المعلومات يمكن إلى حد كبير أيضاً وجود حواجز ذات طابع نفسي بحت (رد فعل سلبي على إستخدام دفتر المذكرات والأجهزة وعلى طريقة التحدث والتصرف واللباس). يجدر الإنتباه إلى مثل هذا الظرف: إذا ما أصبحت هذه الحواجز أثناء إجراء المقابلة الصحفية أو في سياق دراسة الوثائق عقبة جدّية

الفصل الخامس

طريقة دراسة الوثائق في الصحافة



طريقة دراسة الوثائق في الصحافة

إن طريقة دراسة الوثائق - تُعدُّ إحدى الطرائق الأكثر انتشاراً والتي بفضلها يستطيع الصحفي الحصول على المعلومة الضرورية لممارسة الفعالية الصحفية.

إن كلمة "وثيقة" تنشأ من اللاتينية "Documentum" مثال تعليمي، طريقة للبرهان. وفي هذه النوعية وفي غيرها تستخدم بصورة واسعة في الصحافة. في الوقت الحاضر توجد آراء مختلفة حول ماذا تعني كلمة وثيقة. وهكذا إذا ما توجهنا إلى القاموس اللغوي فإننا سنصل إلى قناعة مفادها أن كل التفسيرات التي يتضمنها تأخذ بالحسبان الوثيقة المكتوبة:

ورقة العمل التي تؤد واقعة معينة أو حق بشيء معين.

ما يؤكد بصورة رسميّة شخصيّة المُمَثّل (جواز سفر وغيره).

شهادة مكتوبة حول شيء ما.

غير أن العلوم الإجتماعية المعاصرة وتحديداً علوم الاجتماع تقدم تفسيراً أكثر اتساعاً: الوثائق في علم الاجتماع تُسمى أي معلومة مثبتة في نص مطبوع أو مكتوب بخط اليد، على شريط ممغنط أو على صورة أو في شريط سينمائي.

فالكثير من علماء الاجتماع من حيث الجوهر لا يفرقون بين المصدر وبين الوثيقة. يكتب سنويان ميخائيلوف: "الوثائق بمفهومنا يمكن أن لا تكون مكتوبة- أدوات الإنتاج، الموجودات العامة اللباس، الصور، المواد الفنية وأدوات الزينة والأفلام والبرامج التلفزيونية المكتوبة والمحفوظة وغيرها".

يجري في العلوم الإجتماعية العالمية وبصورة دقيقة وضع حدود بين المصدر والوثيقة. نذكر على سبيل المثال كيف يجري تعليل هذه المسألة في العالم التاريخي العالمي: يُفهم تحت المصدر التاريخي أي نُصب وأي أثر من الماضي يدل على تاريخ

المجتمع البشري. فالمصادر التاريخية تتجلى في الوثائق والمخطوطات المختلفة والكتب المطبوعة ومواد الحياة العامة والعادات القديمة وغيرها. وبكلمة واحدة كل شواهد الحياة الماضية والمعاصرة للبشرية.

إن أي شهادة أو دليل عن هذه الجوانب أو تلك في النشاط الإنساني والمثبت في المادة المناسبة (ورق، شجر، ورق الرق، البردي، وغيرها) تُعدُّ وثيقة تاريخية بالمعنى الواسع للكلمة، بفضل الكتابة والرسم والتصوير وغيرها من وسائل التعبير وكذلك بفضل التسجيلات الصوتية.

بهذا الشكل وعند تحديد المصدر والوثيقة فإن المؤسِّس هو الهدف الذي يبتغيه مؤلف الوثيقة من تثبيت المعلومة بهذه لطريقة أو تلك. طبقاً للصحافة يمكن القول بأن الوثيقة بالنسبة للصحفي هي المادة التي وجدت بهدف تثبيت المعلومة المتجلية في أي نظام إشاراتي. أكثر الأحيان وفي ممارسة الكتابة يُضطر الصحفي إلى إقامة علاقة مع الوثائق المكتوبة ولاحقاً سوف نتوجه قبل كل شيء نحو هذه المجموعة من الوثائق لاسيما أن جميع منهجيات تحليل الوثائق القائمة تأخذ أيضاً بالحسبان وبالدرجة الأولى الوثائق المكتوبة.

في الأدبيات العلمية المكرسة للعمل الصحفي تقريباً لم يحصل وصف لطريقة دراسة الوثائق لا في المجال الإجتماعي ولا المنهجي. الصحفيون الممارسون عند وصف عملهم يلامسون هذا النوع من العمل بسرعة وفي أحسن الحالات يتوقفون قليلاً عند إعداد أرشيف خاص أو ملف. إنهم يتحدثون أكثر وبرغبة أكثر عن إجراء الأحاديث والمقابلات، ويبدو ذلك لأن هذه العملية أكثر "انشغافاً وجاذبية، وأكثر وضوحاً بالنسبة للقارئ". من أعمال الفترات الزمنية الأخيرة يمكن أن نأتي على ذكر مقالة لـ ب. بليخانوف يروي فيها المؤلف بشكل تفصيلي شامل تجربته في دراسة الوثائق القانونية. لكن حتى في مجلة (الصحفي) المهنية فإن نشر أمور من هذا النوع أمر نادر، والإهتمام الأكبر يولى لكيفية استعمال الوثائق في المادة

الصحفية مع العلم أن ذلك أيضاً يُعد أحد الوثـائق الـتي تشكل إستخدام طريقـة الدراسة في الصحافة.

تحتل طريقة دراسة الوثائق في الممارسة التي يقوم بها الصحفيون ومن حيـث المكان ليس أقل مما تحتله المقابلـة أو الطـرق مـن نـوع الملاحظـة والتجربـة. يمكـن للوثائق أن تلعـب دور المـصدر المستقل للمعلومـات بالنسبة للـصحفي ووسـيلة لاختبار وتدقيق المعطيات التي جمعت من خلال طرائق أخرى، وتخدم بمثابة طريقـة التعرف المسبق على الحالة والمشكلة والبروز بمثابة طريقة لجمع المواد في الإجمال مع طرائق أخرى، يمكن أن تعمل مادة نادرة دون الرجوع إلى الوثيقة بهـذا الـشكل أو ذاك حتى المقابلة الجيدة بدونها مستحيلة. ففي مقالة م. شاغينيان يستعرض بصورة إيضاحية كيف أن طريقة دراسة الوثائق الموضوعة في أساس التعرف المـسبق علـى موضوع العمل الصحفي الإجتمـاعي أعطـت معلومـات لتعمـيم اجتمـاعي أكثـر اتساعاً مما هو في عمل مؤلف آخر استخدم عنـد جمـع المعلومـات طرائـق أخـرى (الملاحظة والمقابلة).

يتحدث شاغينان عـن كتـاب يتـضمن مقـالات وتحقيقـات صـحفية حـول المدرسة التقنية المهنية: أود أن أشاطر الرأي واحداً من ثلاثة عـشر مؤلفـاً للكتـاب بملاحظتي الصغيرة عن المدرسة التقنية المهنيـة ذاتهـا والـتي بحيويـة بالغـة وبـصورة جذابة يصف في إحدى المقالات: (هناك حيث تلتقي الـسكك..) تقـول شـاغينان. إنها مدرسة تقنية مهنية في موسكو رقم 129 تُهيّئ وتعد بصورة أساسية مساعدين للمسؤولين عن الآلات والسيارات كما لو أن المؤلـف شـاهد كـل شـيء في هـذه المدرسة، أو توجه بعـد الحـديث مـع المـدير لمـشاهدة المتحـف المدرسـي والحديقـة والتحف المعروضة والورش، لكنه قبل أن يزور المدرسة بدأ من ملاحظـة الفعاليـة المهنية لمساعد ليس كراكب وإلى جانبه في غرفة القيادة في القطار الكهربائي. وصـف الرحلة إلى هناك حيث تلتقي، يبدو أن الـسكك تلتقـي- إنهـا لـشاعرية ومعرفيـة.

وها هي المخابر حيث تجري الدروس الثقافية العامة. هو لم يحضر ولم يُشر إلى حاجات هذه المدرسة الرائعة في الساحة الإضافية ومن الضروري بمكان فعل ذلك).

وصلت إلى المدرسة التقنية المهنية بعد المؤلف، اجتمعت قبل الحديث مع المدير المعلم المستحق والمحدث المثقف وفي لجنة الدولة للتعليم التقني المهني مع معاون الرئيس ف. آ. سايوتسيف، حصلت منه على مواد مطبوعة وقرأت تقريراً عميقاً أعطاني الكثير. تبين أنه الآن ينبغي النضال ضد الخصوم الذين يُعدّون التعليم العام تقريباً تعليماً زائداً ولاسيما التعليم الجمالي بالنسبة للعامل. إن تقرير معاون الرئيس قد أعطاني الشعور الحاد بإهتمامه العظيم بعمله وبالعمل الذي تشرف عليه اللجنة.

إن الباحث في العمل الصحفي الذي يعالج مسألة إستخدام طريقة دراسة الوثائق في الصحافة يضطر للتوجه للنظرية والتطبيق في الصحافة ذاتها وكذلك إلى منجزات العلوم حيث مشكلات البحث وتحليل الوثائق والنصوص بصورة أوسع مدروسة بصورة أعمق وغير قابلة للمقارنة. وقبل كل شيء إلى المقررات التي تمتلك تشابهاً منهجياً مع الصحافة. إنه علم الاجتماع وعلم النفس وعلم النفس الإجتماعي والتاريخ وعلم المصادر وعلم الآثار وعلم الأدب واللسانيّات وعلم الجريمة. وهكذا فبين الصحافة وعلم الاجتماع وعلم النفس الإجتماعي الكثير من الأمور المشتركة في مقاربة دراسة الوثائق التي يأخذون منها كمية كبيرة من المعلومات وتصنيف الوثائق في طرائق إثبات المصداقيّة وفي طرائق تحليل محتوى الوثائق فضلاً عن أن الصحفيين يستطيعون بصورة مباشرة إستخدام نتائج الأبحاث والدراسات المنجزة في علم الاجتماع وعلم النفس الإجتماعي والقائمة على دارسة الوثائق.

كما ويعمل علم المصادر وعلم الآثار وعلم الجريمة في مجال مشكلات مصداقيّة وأصالة الوثائق. فالعلوم التاريخية تقدّم لنا نماذج في إستخدام الوثائق كوسائل لإعادة إنشاء موضوع الدراسة.

إن علم النفس وعلم النفس الإجتماعي يُمثّلان إشارات منهجيّة استقرائية حول إمكانات دراسة شخصيّة مؤلف الوثيقة.

إن علم النفس يشرح ميكانيكية فهم النص وكذلك تفسير المعطيات الحاصلة.

تتضمن دائرة المشكلات المتعلقة بفهم طريقة دراسة الوثائق في الصحافة وضع المبادئ العامة في العمل بالوثائق ودراسة(وراسو) خصوصية أداء الوثائق في الصحافة ومقارنة إستخدام الوثيقة في الصحافة بأشكال أخرى من الإبداع وتحديداً بوثائق السينما والنشر، وتتضمن أيضاً دراسة علم تيبولوجيا الأعمال المؤلفة فمن أجل إحداثها وإبداعها من الضرورة بمكان دراسة الوثائق والبحث في حياة الوثيقة ونماذج تصوير الواقع في الوثيقة (الحالة الإجتماعية والشخصيّة). ومشكلة تصنيف الوثائق ومشكلة إستخدام الوثائق ذات الإتجاهات الإيديولوجية المختلفة وشرح الامتلاء الضروري للأساس الوثائقي للمؤلّف وتحديد معايير ومعدلات إستخدام مجالات أداء الوثائق وكذلك الوثائق التي تنشأ بفعل أنواع مختلفة من المؤسسات الإجتماعية وتحديد مراحل مختلفة لإستخدام الوثيقة في الصحافة والكثير من هذا القبيل.

إن المشكلات السابق تعدادها وضعت في نظام عفوي، لكن في عداد المشكلات الرئيسية حسب وجهة نظرنا يجب أن نذكر أربع مجموعات من المشكلات التي تحدد المبادئ العامة لعمل الصحفي في مجال الوثائق.

تصنيف الوثائق:

يضطر الصحفي للتعامل مع كمية هائلة من الوثائق وكل نوع من أنواع الوثائق يحتاج إلى مقاربة خاصة.

إن تصنيف الوثائق في مختلف ميادين النشاط الإنساني متنوع. والأكثر قبولاً بالنسبة للصحافة هو التصنيف الذي يعرضه علم الاجتماع: إنه يتضمن أسس التقسيم التالية:

طريقة تثبيت المعلومة - الوثائق المطبوعة والمخطوطة والسينما والأفلام السينمائية والأشرطة الممغنطة.

نوع العمل التأليفي ـ التأليف الشخصي والإجتماعي.

نظام الوثيقة ـ الرسمي وغير الرسمي.

طريقة الحصول على الوثيقة - العاملة بصورة طبيعية في المجتمع و(المثارة) أو (الغاياتيّة) التي تُحدث خصيصاً حسب طلب الباحث وفي حالتنا هذه حسب طلب الصحفي (بيان عن نشاط هذه الدائرة أو تلك، يُعد بطلب من الصحفي، وصف حياتي، يجري نتيجة طلب أسرة التحرير وهكذا دواليك).

درجة القربى من المادة التجريبية المثبتة - الأوليّة التي تتضمن معلومات أولية تعكس الوضع المباشر للأمور والثانية المكررة القائمة على أساس الوثائق القائمة حيث تصبح المعلومة مكررة.

التصنيف هو الخطوة الأولى في تحليل الوثيقة إن كل فئة من الفئات البارزة تضفي على الوثيقة خصائصها والتي سنتحدث عنها أدناه.

طرق تحليل الوثائق التي يجري إختيارها حسب أهداف الصحفي وغاياته وحسب طبيعة الوثائق المتوفرة تتمثل في نوعين: الأنواع التقليدية والأنواع

الشكلية (النوعية). يقوم بعض الباحثين بتقسيم مجموعة الطرق التقليدية إلى الفقرات أو الفصول التالية: العامة (الفهم، الحدس، الإدارك) الخاصة (المتعلقة بعلم المصادر والنفسية والحقوقية). ففي مجموعة الشكليات يبرزون التحليل الكمّي الذي يستخدم في علم الاجتماع تجاه الوثائق الجماهيرية المتجانسة من أجل التحليل الكمي لمضمونها لكن هنا يمكن الدخول في نقاش.

إن تصديق ما مفاده أن الطرق الشكلية (النوعية) لتحليل محتوى الوثائق نشأت في أعماق علم الاجتماع وبشكل رئيسي في علم الاجتماع الغربي بصورة غير منتظمة. القضية هي في أن العلوم الإجتماعية الأخرى مثل علم المصادر تتعامل مع وثائق على انفراد وكذلك مع وثائق جماعية متجانسة أو غير متجانسة والتي يمكن تجاهلها كما هو الحال تجاهل علم الاجتماع إستخدام الطرق الشكلية في تحليل المضمون. في عام 1915 نُشرت أعمال ندوة البرفسور كاوفمان عولجت فيها بالطرق والأساليب الشكلية كتب الناسخين أما إدراج الطرق المتعلقة بعلم المصادر في تحليل الوثائق وبصورة تامة في خانة الطرق التقليدية لم يكن ممكنا دائماً.

فالأرجح ينبغي التحدث عن طرق تحليل الوثائق متفردة ومتجمعة ومتجانسة وغير متجانسة. استخدمت تجاه الوثائق المنفردة الطرق الشكلية في التحليل أي الطرق النوعية أما تجاه الوثائق المجتمعة والمتجانسة فقد استخدمت الطرق الكمية في المعالجة ومن بينها التحليل الكمي التحليل كونتنت. تستطيع الصحافة اقتباس منهجية التحليل لنفسها ومن مقررات مختلفة تتعامل مع تحليل الوثائق. وعند التحليل النوعي للمضمون يبرز سؤال يتعلق بإمكان تفسيره ذاتياً.

تكمن في أساس هذه الطريقة آليّة نفسية لفهم النص وكذلك تأويل وتفسير المعطيات المدركة في نظام النظرية العلمية للمعرفة. هنا تبرز مشكلة توافق لغة الوثيقة مع المستوى الترميزي للصحفي واتساع مساحة هذا التفاعل المتبادل. رفيعٌ دور الحس والخبرة والمستوى العام للثقافة والتوجه العلمي للصحفي.

يعتقد الكثير من الباحثين أنه باعتبار المعلومات الواردة في الوثيقة قد وجدت بمعزل عن مصالح الباحث فإن المشكلة العاديّة في بحث التأثير المثير للاستياء لدى الفرد -الذات- على موضوع تُسحب من الناحية الفعلية هذا صحيح فقط في المعنى القاضي بأن الوثيقة ذاتها لا تتبدل تحت تأثير الباحث. غير أن المعلومة المأخوذة من قبله من الوثيقة وخاصة أثناء التحليل النوعي تتوقف إلى حد كبير على الغايات التي وضعها أمامه الباحث وكذلك على خصائصه الذاتيّة.

قبل كل شيء يمكن من الوثائق استخلاص معلومة مختلفة- (طبقة خارجيّة في متناول الإدراك أكثر) ويمكن القول (معلومة مباشرة) وشرائح أكثر عمقاً (معلومة غير مباشرة) تتدرج في إطار مثل هذه المعلومة العميقة دراسة شخصية المؤلف من خلال الوثيقة.

إن تجلّي شخصية المؤلف في الوثيقة وإشباعها بعلائم حيوية للزمن أحد أسباب توجه الصحفيين وليس الصحفيين فحسب بل والكتاب والسينمائيين نحو علم الوثائق. "منذ زمن بعيد شاهد الأدب في الوثيقة مصدراً للمعلومات وتأكيداً للنظرية الفنية ومفاتيح لأسرار الماضي وطاقة أمان نحو الحاضر"

إذ نتحدث عن شخصيّة المؤلف من خلال الوثيقة نأخذ بالحسبان ليس الوثائق الشخصيّة فحسب بل والوثائق الإجتماعية والرسمية وغير الرسمية مع العلم أن شخصية المؤلف تتجلى بصورة أوضح في الوثائق الشخصية وغير الرسميّة. فالابحاث المكرسة لهذا الموضوع متوفرة في علم النفس وعلم النفس الإجتماعي وفي علم الاجتماع.

ترتبط مشكلة مصداقيّة وصحة المعلومات الموجودة في الوثيقة وبصورة وثيقة بتحديد قيم وأهميّة الوثيقة وبهدف الإستخدام.

عند تجميع المادة لا يستطيع الصحفي دوماً بصورة مسبقة تصور أي الوثائق يحتاج كما يجب وما هو الدور الذي سيخصص لهذه الوثيقة أو تلك عند تحليل

الحالة، إن مشكلة قيمة وأهميّة الوثيقة ومشكلة تثبيت مصداقيّة الوثيقة المرتبطة بها بشكل وثيق لا يمكن أن تكون دائماً معالجة ومحلولة بالكامل حتى مرحلة التحليل الختامي وإدخال الوثيقة في نسيج الإنتاج. ومع ذلك فإن الصحفي الذي يعرف جيداً المشكلة والمادة التي ينوي الكتابة عنها قادر في وقت (العمل الميداني) على تصور طبيعة المادة المطلوبة بالنسبة له قبل كل شيء وإلى أي مدى يمكن تصديق هذه الوثائق أو تلك، وما هي طبيعة الاختبار والتدقيق التي يحتاجها بالنسبة لهذه الوثائق.

إن مشكلة مصداقية وأمان الوثائق - هي في الوقت ذاته مرحلة أخرى لتحليل والوثائق. فالملاحظات الشيقة في هذه المسألة موجودة في علم الاجتماع وعلم المصادر وعلم الجريمة.

يطور علماء الاجتماع مفاهيم (الأمن والسلامة) و(صدقية- صحة) الوثائق. الأمان... - هو التأكد والثقة أننا نتعامل مع المعلومة المخططة والثابتة والدقيقة. سلامة الوثيقة وصدقيتها- هي مشكلة قيمة المعطيات وتطابقها مع الأحداث الواقعية. يمكن أن تكون الوثيقة موثوقة ومع ذلك يمكن أن تحتوي على معلومات غير سليمة وغير صحيحة أبداً يكتب ف. آ. ياروف وبالعكس نضيف، يمكن أن تكون المعلومة سليمة وصادقة تماماً لكنها ليست موثوقة. فلدى ذاك نفسه ف. آ. ياروف نقرأ:"ف. إي. بيريفيد نيشيف عرض بأنه تبين أن إحصاء نزوح السكان التي تمتلكها الإدارة المركزية غير موثوقة لأنها مبنية على معلومات جزئية ولا تأخذ بالحسبان الكثير من العوامل الجوهرية التي يؤثر على النزوح".

إن متطلبات الثبات ودقة المعلومة وتطابق معطيات الوثيقة للأحداث الواقعة الفعليّة تكون صعبة التقسيم عملياً على أرض الواقع ولذلك نتحدث عن مشكلة السلامة والأمان والمصداقية بالنسبة للمعلومات التي يحصل عليها الصحفي عن طريق دراسة الوثائق كحديثنا عن مشكلة واحدة.

فالقواعد الأساسية لعلماء الاجتماع منذ تحليل الوثيقة لإثبات صدقيتها تقود إلى ما يلي:

1. من الضرورة تمييز وصف الحدث عن تقييمه (ففي الوصف عموماً توجد معلومة فعلية تسمح بإعادة بناء الحدث، والتقييم الصادر عن المؤلف ذاتي ويقدم أحياناً فرصة رائعة لوضع حكم عن مؤلف الوثيقة نفسه).

2. من الأهمية بمكان التأكيد على أي معلومة استخدمها معد الوثيقة وهل يمكن أن نُعد أن المعطيات الأولية أكثر سلامة ومصداقية من المعطيات الثانوية والوثيقة الرسمية حول الحدث أفضل من غير الرسمية (بمعنى الأمان والسلامة) مع العلم أنه لا يجوز عَدَّ هذه القاعدة مطلقة.

يمكن تصور حالة عندما يسمح فيها التحليل النقدي للوثائق الأوليّة إعادة إنشاء الأحداث أفضل مما هي عليه مقدمة في المصادر الأولية وعند ذلك يمكن للوثيقة الثانوية المعدة على أساس هذا التحليل أن تصبح أكثر مصداقية، ليست قليلة الحالات التي تكون فيها الوثيقة الرسمية غير دقيقة. ويدور الحديث حول ذلك على سبيل المثال في إرسالية آ. دولينكو التي يجري الحديث فيها على أساس محاضر التفتيش والوثائق الأخرى وكيف أن مراسل صحيفة المنطقة اتهم بصورة خاطئة طبّاخ المقهى في مجموعة من التصرفات الخدماتيّة. آ. دولينكو فقد بيّن بأن محضر-ضبط-التفتيش الذي عُدَّ بالنسبة للصحفي بمثابة مصدر للمعلومات عند إعداد الإرسالية النقدية كان باطلاً.

3. من الضروري بالنسبة للصحفي دائماً توضيح النوايا التي يسترشد بها مؤلف الوثيقة. ف. آ. ياروف، إذ يستشهد بعلماء الاجتماع الأجانب يدرس مجموعة من الشروط التي تحدد سلامة وموثوقيّة الوثيقة حسب نوايا المُعد. فالمعلومات الموجودة في الوثيقة تستحق الثقة:

1- إذا كانت لا تتناول مصالح مؤلف الوثيقة.

2- إذا كانت تلحق ضرراً بالمؤلف.

3- إذا كانت المعلومة معروفة عموماً في لحظة تسجيل المعلومات من قبل المؤلف.

4- إذا لم تكن جوهريّة من وجهة نظر المؤلف.

5- إذا كانت علاقة المؤلف بها غير مرغوبة وغير طيبة

6- ينبغي محاولة تحديد الوضع والموقف الذي أُعِدَّت فيه الوثيقة وكيف استطاع التأثير على مضمونها.

الطلب الأخير هام جداً بالنسبة للصحفيين، الذين يكتبون مواد نقديّة لكن يجب أخذه بالحسبان في أية حالة أخرى لأن التأثير على نوعية الوثيقة من قبل هذه العوامل كحضور الدخلاء والغرباء في فترة إعداد الوثائق، إمكانيّة أو استحالة اختبار ومراقبة المعلومات المعروضة وعدم الملائمة الفيزيائية البسيطة أو السرعة أثناء تأليف الوثيقة- هذا التأثير لا شك ولا ريب فيه.

يوجد عدد غير قليل من التوصيات القيمة في منهجيات المؤرخين وقبل كل شيء المختصين بعلوم المصادر. إنهم يقسمون تحليل الوثائق التاريخية أو النقد حسب مصطلحاتهم للنقد الخارجي والداخلي الأمر الذي يحصل بغية الوصول ليس إلى صدقيّة الوثيقة فحسب بل وقبل كل شيء إلى أصالتها.

(النقد الخارجي) مرتبط بالمعطيات الخارجية للوثيقة وشكلها وبالورق والحرف وباللغة والأسلوب والتأريخ... إلخ. :(عندما تأخذ الوثيقة، فإنك قبل كل شيء تطرح سؤالاً: من أي دائرة صدرت إذا كانت هذه الوثيقة رسمية أما إذا كانت وثيقة خاصة فكيف وصلت إلى أيديكم وهل هي أصلية أم (سجل) فإذا كانت سجلاً فهل نُفِّذ بشكل جيد وهل ثمّة أخطاء في الكتابة، وهل وصلت بالكامل أم يوجد فيها عيوب، وهل وصلت في شكلٍ مشوّه؟

هذه نصائح وإرشادات الأكاديمي س. ب. فيسيلوفسكي للمؤرخين الشباب وهي ليست دون معنى بالنسبة للصحفيين. إذا كانت الوثيقة غير مؤرخة فمن الضرورة وضع وتثبيت تاريخ لها.

ونفرد للنقد الخارجي أيضاً مسألة لغة الأثر التاريخي، فبالنسبة للصحفيين يعني ذلك قبل كل شيء ضرورة الفهم الدقيق لمعنى الوثيقة، الأمر الذي يخلق صعوبات أحياناً بعدم اطلاع الصحفي وبمكتبية الوثيقة ومهنيتها وضعف المؤلف لغوياً من أجل فهم شخصية مؤلفها.

(الأدلة الخارجية) موصوفة بشكل شامل في علم الجريمة لأن هذه الأدلة هناك تخدم قضية تثبيت أصالة الوثيقة من الناحية القانونية، بالنسبة للصحفي يمكن أن يكون مفيداً طرح مثل هذه الأسئلة مثل:

- هل يوجد في الوثيقة بعض الأخطاء؟
- هل للدائرة أو للجهة -الفرد- توجد صلاحية تأليف الوثيقة وتصديق المعلومات الواردة في محتواها؟
- هل توجد مثل هذه الدائرة، وهل أعيد تنظيمها وما اسمها السابق في ذلك الوقت عندما أعدت هذه الوثيقة؟
- هل يتوافق محتوى الوثيقة مع شكلها؟
- هل ثمة تناقض بين زمن إعداد وضع النموذج وتاريخ صدور الوثيقة؟
- هل يتوافق مضمون الوثيقة مع نص بصحة طبع خاتم الزاوية؟
- هل تتوزع بصورة صحيحة نصوص المطبعة والطابعة، ألا تعتبر غير عاديّة المسافات بين السطور وكذلك بين النص والتواقيع؟

- وهل هناك تشويه لأسماء الأشخاص المسؤولين، وما هو الشكل الخارجي للوثيقة (حالة الورق، درجة اهتلاكه، وجود أضرار، ثنيات وتوافقها مع مقاييس الوثيقة"

إن عمل من هذا النوع يكون ضرورياً بالنسبة للصحفي كما يؤكد. ف. بليخانوف الذي كان محامياً عسكرياً في الماضي والآن مراسل لصحيفة الجريدة الأدبية. "يكفي أن نأخذ من المحاضر أو وثائق أخرى ما أراه هاماً. وبكل تأكيد أشير هنا إلى جميع الإحداثيات المتعلقة بالوثيقة: التاريخ والرقم ووجود التوقيع والأختام" الاستهتار بهذه القاعدة كما تعرضه الممارسة الذاتية وهل تؤدي إلى خلل في عمل الصحفي: "وجّه النقد لتأليف وثيقة أحد الأشخاص دون التأكد من أن التوقيع في أسفل الوثيقة كان من قبل شخص آخر" لا يؤكد ب. ف. بليخانوف بمحض الصدفة: البحث من قبل الصحفي عن الوثائق قريب من عمل الحقوقي في مجال الكشف عن البراهين وتثبيتها. فبالفرق فقط في أن العمل عند الحقوقي عموماً ينتهي بتثبيت وتبيان والواقعة ذات المعنى القانوني. الصحفي يستخدم الوقائع المثبتة المبرهنة كي يعرضها في الصحافة".

"النقد الداخلي" للوثيقة هو إعادة إنشاء الحدث المصور فيها. وهنا أيضاً وقبل كل شيء يوجد الكثير مما له علاقة بتحديد صدقيّة وسلامة المعلومات الواردة فيها س. ب. فيسيلوفسكي يذكر المراحل التالية لهذه العملية:

"السؤال الأول الذي نطرحه - بالنسبة لمؤلف الوثيقة ليس من المهم لنا نحن بالذات وما هو اسم المؤلف. أحياناً وهذا طبعاً له أهميّة كبيرة. لكن المهم بالنسبة لنا هو أن المؤلف الذي ترك لنا الأثر كان شاهداً على الحدث وكان مشاركاً فيه أو أنه يكتب حول الشائعات بموجب روايات أو حسب مصادر أخرى جاءت من جماعات تلتها جماعات أخرى.

فإذا ما كان شاهداً أو مشاركاً، هنا تبرز الكثير من الأسئلة الأخرى المتعلقة بقدرته وهل استطاع أن يُلم بالأحداث الموضوعة بشهادته على الحدث. إذا كان من المشاركين، ففي أي قطاع وفي أي مكان كانت مشاركته.

ومن الغرابة، لكن هكذا اتفق أن نُفكر إذا كان الفرد شاهداً فإن باستطاعته أن يروي كل شيء وأن ينقل الوقائع بالشكل الدقيق جداً. الأمر ليس هكذا أبداً. القصة هي في أن الشهود على الأحداث والمشاركون فيها يرون بصورة اعتيادية ما يوجد بالقرب منهم وإلى جانبهم" بعد ذلك يقول س. ب. فيسيلوفسكي بأن الملاحظة القيمة بالنسبة للصحفي حول ضرورة التعامل مع الوثيقة مع أية وثيقة بنوع من عدم الثقة لأنه حتى الشخص المعني في عرض الحقيقة ويطمح إلى ذلك يمكن أن يقع في الخطأ عن حسن نية. ينوّه المؤرخون حتى إلى الانحرافات النموذجية في الوثائق:"إن جميع المؤلفين تقريباً للمذكرات ميالون للمبالغة بدورهم في الأحداث"، "الغالبية العظمى من المؤلفين والمعدّين... للوثائق الرسمية المعقدة عادة يحيدون ويتجهون إلى تفاؤل يخدم مصلحتهم".

إن الطرق التي تُعد صالحة تماماً بالنسبة للصحفيين أيضا تساعد المؤرخين في تبيان جميع هذه الانحرافات عن الحقيقة. وهذا قبل كل شيء الاختبار المتقاطع للوثيقة بمساعدة الوثائق القريبة والمجاورة أي دراسة مجمع الدائرة سهلة المنال من الوثائق العائدة إلى المشكلة المدروسة أو إلى الحدث وتحليلها المقارن. لكن الإستنتاجات التي تُعدُّ الأكثر نجاعة فمن المصادر الأكثر تنوعاً هي تلك التي يضعها الباحثون "في مواجهة شاهدين".

إن طريقة تقاطع اختبار الوثائق تولى أهميّة كبيرة في علم الآثار-العلم الذي يبحث في قضايا إعداد الوثائق التاريخية وتحضيرها للنشر. هنا تُدرس مقارنات بين نوعين: بفرض اختبار النجاعة والسلامة الخاصة بالوثيقة والمقارنة ذات القيمة للمادة الموجودة. في الحالة الأولى تجري (مقارنة) وثيقتين أو عدة وثائق بهدف

توضيح دقة وجوهر الوقائع ذاته وإبراز الاختلافات في وصف وتقييم الحقائق والوقائع ذاتها. ونتيجة هذه المقارنة يمكن توضيح الأصالة و المصداقية الكبيرة لبعض الوثائق و المصدقية الأقل لغيرها.

"النوع الثاني من المقارنات يطرح مهام أخرى: دراسة الوثائق وتنظيم المادة المتماثلة القريبة في مسألة معينة أو في عدة مسائل مباشرة يعطي هذا الأمر إمكانية إختيار الوثائق التي يوجد فيما بينها وحدة فيزيائية"

أثناء "النقد الداخلي" للوثائق تُعالج مسألة إمكانية إدخال المصدر في علاقة عامة مع مصادر معروفة بمنطق الوثيقة الداخلي. أثناء دراسة الوثائق التي تمثل براهين يقوم الحقوقيون أيضاً بإبراز طرق المقارنة المتشابهة: آ- مقارنة مجموعة من أعداد وثيقة واحدة موجودة في مؤسسات مختلفة (ما يسمى بالاختبار المتقاطع للوثيقة) ب- ما يسمى بالاختبار المجموعاتي للوثائق (الشمولي) (أي تحليل مقارن لجميع الوثائق المكتشفة والتي تعكس في هذه الدرجة أو تلك الحدث المعني بالأمر"

يُعدُّ عمل آ. آ. كورتوسوف الذي يمكن أن يُعلِّم الصحفي ليس اختبار الوثائق لجهة معينة ولجاعة المعطيات فحسب بل وتحليل الأحداث ذاتها التي انعكست في الوثيقة، هذا العمل يعد مثالاً جيداً على النقد الداخلي للوثائق الشخصية ذات الطابع الوصفي. يعرض المؤلف في نوعية طرق النقد الداخلي دراسة منطقية نصوصية ومقارنة للوثيقة.

التحليل المنطقي-هو قراءة المصدر بغية تحديد بنية النص وخصائص بعض عناصره ودورها في نسيج الرواية والعلاقة مع العناصر الأخرى وتحليل النقد الداخلي للخبر وتحديداً الكشف عن التناقضات في وصف الوقائع وتقييمها.

إليكم مثالاً على هذا النوع من التحليل لـ آ. آ. كورنوسوف، مقتطف من المذكرات الحربية:"يكتب باكرادزه بأنه على الخط الحديدي كييف-لوغوف، فإن كتيبة فاتايوشكو وفي ليلة واحدة استطاعت تفجير ثلاث قوافل معادية، إثنان منها

محملان بالدبابات وواحد بالمدفعية" واستناداً إلى طبيعة الحمولات فإن القطارات الثلاث كان يجب أن تتابع سيرها في اتجاه واحد-تجاه الجبهة. العملية كما يتضح من الحدث المجاور اختُبرت على الفور بعد 27 حزيران أي في إحدى الليالي الأقصر في السنة: بين شروق الشمس وغروبها-حوالي 6 ساعات و 30 دقيقة، ومن هنا ينبغي حذف غسق المساء والصباح. عندئذٍ يبقى من الوقت للعملية ما لا يزيد عن 4-5 ساعات. من الصعب فهم كيف استطاع رجال هتلر خلال هذا الوقت القصير إعادة بناء سكة الحديد المدمرة وتمرير قوافل أخرى عليها.

يكاد من غير المقبول افتراض بأنهم أرسلوا القوات دون أن يعلموا بالكوارث التي حصلت أو لأن مثل هذه التوضيحات مستثناة من مؤسسة خدمات السكك الحديدية"

تحليل النص يتلخص في توضيح ما يعني كل مقتطف ملموس: الشهادة الذاتية للمؤلف، القريبة من حيث الزمن للبداية، النظرة الموجهة لمحو الحدث الذي سوف يختلط فيه حتماً النظام الحديث لأفكار المؤلف، النظرة الخاصة إلى الأشياء أو الاتجاه الذي اتخذه المؤلف من مصادر أخرى، التحديد الذاتي مختلف الأنواع والرقابة الذاتية، انعكاس الواقع الراهن السياسي والأيديولوجي وغيره وملاحظات المعلقين والمحررين وغيرهم من الأشخاص.

تنتهي الدراسة المتعلقة بعلم المصادر بدراسة مقارنة لمجمل محتويات المصادر التي لها علاقة بالأحداث المصورة في الوثيقة التي هي قيد البحث. هنا يُعالج جملة من المهام:

أولاً: يضع العالم في علم المصادر علاقة بين الوثائق وغيرها من المواد وبهذا الشكل يوضح بنية المجموعة المدروسة الذي في النهاية لا يُعد كتلة غير متبلورة بل يمثل وحدة بنيوية محددة، ترتبط عناصرها فيما بينها بطريقة أخرى بصورة متدرجة.

ثانياً: على أساس المقارنة ولا شك مع اعتبار جميع العمليات السابقة يجري تقييم صدقية وامتلاء المصادر بالنسبة لبعضها البعض.

ثالثاً: إن الخلاصة المتعلقة بالمصادر تسمح بإبراز الصادق والسليم منها حسب رأي المصدر ثم المعلومات الكاملة بحدها الأقصى والمتعلقة بالظاهرة التي هي قيد البحث.

حتى الآن كان الحديث يدور حول تحليل وثائق فرديّة التي يجري عادة التعامل معها من جانب الصحفي. غير أنه توجد حالات في الممارسة الصحفية عندما يكون من الضروري إجراء تحليل لأعداد كبيرة متجانسة من الوثائق. هنا يحتاج الصحفي ولو إلى بدايات إجادة التحليل الشكلي للوثائق، التحليل الكمي (تحليل كونتينت)، الذي يستخدم بصورة واسعة. في علم الاجتماع وعلم النفس الإجتماعي. إنه يتلخص بشكل رئيسي في الوصف الكمي للنص المدروس، فمن أجل ذلك ونظراً لغايات ومهمات الدراسة توضع مجموعة من الفئات التي تتطابق لغايات معها عناصر محددة في النص ويجري انتقاء وحدة القياس ويُعتمد حساب لكمية الفئات بالنسبة للكمية المعطاة في وحدات القياس. يسمح ذلك بالتعبير ع ن جميع تنوعات المحتوى عن طريق مجموعة الأدلّة التي تخضع للحساب.

وكمثال على إستخدام طريقة التحليل الكمي (تحليل-كونتينت) في الصحافة يمكن أن نسوق تحليل البريد الخاص بأسرة التحرير لصحيفة (الجريدة الأدبيّة) فيما يتعلق بمناقشات الانضباط والنظام، حصلت الجريدة خلال عام على نحو سبعة آلاف صفحة نص في حساب معياري للآلة الطابعة" تم نشر جزء من الرسائل، أما الغالبية فقد عولجت بالطريقة العددية مع حساب الفئات الموجودة على شكل آراء معممة، "لأن الآراء أقل بكثير من الرسائل-الكثير من وجهات النظر متطابقة". هكذا تبدو النتائج الموجودة في أعمدة الجريدة: "الخيار الأساسي" إرغام- خلق إهتمام" جلب انتباه 40٪ فقط من مؤلفي الرسائل المرسلة إلى أسر

تحرير الجريدة. وهنا فقط العشر منها (من الـ 40٪) عبّر عن تمسكهم دون قيد أو شرط بـ"التحيزات العقابية" بينما كان المشاركون الـ 60٪ الباقون منشغلين في النقاش بشكل رئيسي بالنواحي القانونية والإدارية والتربوية لمشكلة النظام.

عند استخلاص نتائج نقاش الرسالة حول التربية أبرزت في مجموعة خاصة...).

إن اقتران الطرق الكمية والنوعية لتحليل البريد من خلال النقاش أعطى أسرة التحرير مادة فعلية من أغنى المواد وأتاحت فرصة وضع مجموعة من المؤلفات الشيّقة والفاعلة الصحفية بعد عرض الضرورة الملحة لعمل صحفي من هذا النوع.

إن طريقة محتوى التحليل الكمي أو عناصره يمكن أن تقدّم خدمة جليلة للصحفيين اثناء تحليل الاستمارات ورسائل القرّاء ومحاضر الاجتماعات والمسائل التي تُطرح على المحاضر والوثائق الحقوقية وبيانات التسريح والصيغ المكتبيّة وغيره.

عند إجراء محتوى التحليل تضيع الخصوصية الفردية للوثيقة ولذلك لا يجوز عدم الموافقة مع ف. آ. يادوف الذي يرى أن التحليل الكمي لوثيقة وارد، "...إذا ما احتاج الأمر إلى درجة عالية من الدقة عند إستخدام المعطيات المتجانسة".

فيما بعد عندما يكون ما فيه الكفاية من المادة ومن أجل تبرير الجهود المرتبطة بمعالجتها المادية وإذا كانت هذه المادة تمثل ميدان الدراسة" لا يجوز إستخدام التحليل الكمي عند دراسة وثائق منفردة وكذلك وثائق ذات ترتيب مُختلف وغير قابل للمقارنة.

وفيما عدا علم الاجتماع فإن مضمون التحليل الكمي أو القريبة منه تستخدم في علوم أخرى. آ. ن. اليكسييف على سبيل المثال يبرز المقررات التالية: (منهجية التحليل الشكلي للوثائق والمدروسة في هذه المقررات يمكن أن تُقتبس من جانب الصحفيين): علم المصادر - "حيث تعرضت طرق الملاحظة

الشكلية والإجراءات الإحصائية والتقسيم البنيوي للنصوص وغيره إلى تطور خاص ومميز" علم الوثائق-" في الأخير إن بعض ما يشبه تحليل المضمون (التحليل الكمي) يستخدم لأغراض تتميز عن الأغراض البحثية وتحديداً من أجل التنظيم الأفضل للأعمال الكتابية، غير أن طرق أبراز وحدات الملاحظة ومهمة الأدلة الشكلية لوصف الوثائق وغيرها قريبة من طرق إخرى من إجراءات التحليل المضمون" الأرشيف- "هنا تمت دراسة أنظمة تفصيلية لوصف الوثائق لأغراض حفظها بصورة مرتبة ونظاميّة" الفهرستية- تمت دراسة أنواع ونماذج ووحدات من المنتج المطبوع لأغراض الخدمات الفهرستية، المعلوماتية- الأخيرة تدرس قوانين جمع ومعالجة وحفظ ونشر المعلومات العلمية الوثائقية، هنا يُلاحظ ثروة مميزة وتنوع في قياسات-متشابهات التحليل الكمي، الحقيقة ذات المهام المتميزة مبدئياً عن التحليل الكمي الوصول إلى الدرجة الأمثل في البحث المعلوماتي. وغير ذلك" علم الآداب وقبل كل شيء علم الأدب البنيوي الذي يضع دراسة النصوص الغنيّة عن طريق إبراز تنظيمها البنيوي وأحيانا بفضل الإجراءات الإحصائية.

طبيعة إستخدام الوثيقة وطريقة تمثيلها في الإنتاج الصحفي على الصفحة. المجموعة الأخيرة من المشكلات تحتاج إلى مناقشة تفصيلية ودقيقة الأمر الذي لا تسمح به مقاييس هذا الفصل ولذلك سوف يتم هنا ذكر النقاط الأساسية التي يجب أن تكون موجودة في دراسة هذه المسائل المعقدة الهامة للغاية.

يتوجه الصحفي إلى طريقة دراسة الوثائق ذات الغايات المختلفة: تستخلص المعلومات التي تصف الحالة الإجتماعية أو الخصائص الذاتية لشخصية المؤلف ونتعرف على المشكلة أو الفرد حيث ينوي الحديث معهم، يبحث موضوع دعم موقعه ورأيه في مسألة معينة ما، يتخذ موقفه بفضل الوثائق مؤكداً أو نافياً المعطيات الموجودة لديه، ويعمّق معارفه في مسألة أصبحت معروفة.

نظراً لتنوع غايات التوجه (اللجوء) إلى طريقة دراسة الوثـائق تتنـوع طبيعـة إستخدام المعلومات المُضمّنة في الوثيقة: من استخلاص الوقائع فقط حتى الإهتمام بالتقييمات والآراء.

كما أنها متنوعة وظيفة الوثيقة في المادة الصحفية. إنها تستطيع أن تخدم بمثابة إداة إيضاح للحالات المطروحة أو للأحداث وبمثابة تعليق ودليل أساسـي للبرهنـة على موقف أو بمثابة برهان جانبي ثانوي. يمكـن للوثيقـة أن تـؤدي وظيفـة المنـتج المستقل في الصحافة، وفي هـذه الحالـة يغيـب الـنص الـصحفي أو يقـود إلى الحـد الأدنى.

إن طريقة تمثيل الوثيقة في الإنتاج الصحفي تمتد مـن التـذكر البـسيط حتـى الوجود المستقل على الصفحة. إذا ما تمت محاولة وضع مجموعة معالجة فإن بقدرتها أن تبدو: ذكرى، إختيار المعطيات الرقمية، أو الفعليّة، اقتباس موسع، نشر كامـل، انتقاء. إن المادة الوثائقية وبموجب تعليل آخر للتقسيم يمكن أن تقدم دون تعليقات الصحفي وأن تترافق مع التعليق والدخول في نص الإنتاج الصحفي.

إن كل طريقة من هذه الطرق الواردة لإستخدام الوثيقة في الإنتاج الصحفي تحتاج إلى دراسة تفصيلية.

طريقة تحليل الوثائق في الصحافة-إبداعيّة، وهي طريقة متعددة الأنماط، تؤثر بنشاط على نوعيّة العمل الصحفي. ولذلك فإنها تحتاج إلى أعلى حد من الإهتمام أكان ذلك من جانب الصحفيين أنفسـهم أم مـن جانـب العلمـاء الـذين يقومـون ببحث المشكلات الراهنة لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية.

الفصل السادس
المناهج-الطرق-الأجناس الصحفية
ديالكتيك التفاعل المتبادل



المناهج -الطرق ـ الأجناس الصحفية
ديالكتيك التفاعل المتبادل

آ. شيرباكوف إذ يقوم بتحليل مواد إحدى المجلات شارك الرأي بالملاحظة التالية:"باعتبار أنني استطعت الملاحظة فإن واحداً من الأجناس المحببة (أو الطرق أو الأساليب؟) هو التفكير بصوت عالٍ بما يقلق وعما يجري التفكير" الشكوك الواردة هنا من جانب الصحفي: الطريقة أم الجنس؟ أو مثالي نموذجي. في الواقع ما الذي يتمثل (يتجلى) في لوحة ألوان ذات حرفية مهنية (التفكير بصوت عالٍ)؟" الطريقة أم الجنس؟ وربما الأول وربما الثاني حسب سياق النص في الحالة الإبداعية؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي يا ترى إجمالاً التفاعلات المتبادلة النموذجيّة بين الطرق المهنية والأجناس في الصحافة؟

تُعد مناقشة هذه المسألة ايضاً مادة هذا الفصل. فإلى مثل هذه المناقشة تقودنا مع الضرورة المرحلة المعاصرة لتطور نظرية الحرفية الصحفية التي وجدت فيها أنواع المناهج و الطرق و كذلك الأجناس الصحفية وكذلك دراسة شاملة بما فيه الكفاية غير أن جوانب التفاعل المتبادل لهذه الظواهر لم تُدرس بصورة خاصة. إن التفاعل المتبادل دوماً وبصورة ضمنيّة يعلن عن نفسه في الممارسة الإبداعية حيث يملي إختيار الجنس للنشر على الصحفي طرقاً تحديدية لجمع المادة وأن تنويعات طرق المعرفة ودراسة الواقع لا تبقى بدورها عاجزة بالنسبة لتطور الأجناس.

سنبحث في بعض إتجاهات مثل هذا التفاعل المتبادل. ففي الوقت الحاضر من المعتاد عَدُّ أن أشكال انعكاس الواقع، "الثابتة" التي تمتلك جوهراً متكرراً وأدلّة بنيوية تحمل إسم الجنس" إن الأدلة التي تميز (وجه) الجنس، هذه الأدلة الثابتة والمتكررة تمتلك مصادر متنوعة. ففي سياق معالجة المسائل الإبداعية المختلفة في نشاط مجموعة من أجيال الصحفيين تبددت الأشكال قليلة الفائدة في تجسيد المادة الحياتية وترسخت الأشكال الأكثر سعة والبنى الجنسية التعبيرية ذات المحتوى.

كيف يمكن أن نتصور عملية استقرار البنية الجنسية وتدعمها وظهور أدلة وعلائم استنادية ثابتة؟

حسب ملاحظاتنا أصبحت (التسوية) المهنية وتجذر وتأكيد بعض الطرق البحثية الخصوصية في نشاط الصحفيين شرطاً حاسماً في تحديد مجموعة الأجناس الصحفيّة. طريق آخر (الاقتباس) أي اقتباس مهنة الصحفي لبعض الأشكال الجنسية الموضوعة في مجالات حدودية في إطار الفعاليات الإجتماعية مع تحولها اللاحق. إن المطبوعات الدورية الأولى في سوريا وفي الخارج مملوءة بهذا النوع من الأشكال الجنسية الاختبارية (المستعارة) والجاهزة. إن أنواع المطبوعات الخاصة "بكشوف" بطرس وفيما بعد "الكشوف" تقود إلى الملاحظة الإعلامية والرسالة والإخبار و التقرير.

هذه الاحتمالات والأشكال المتعلقة بالجنس الصحفي التي استخدمت بصورة واسعة في ميدان تدوين الأعمال وفي العلاقات العسكرية والديبلوماسية والأعمال الكتابية وفي التوثيق الإداري والقضائي فالإختصار والأعمال وتصوير الأحداث-أدلة وعلائم مميزة لهذه الأعمال الإنتاجية- تبين أنها متشابهة مع الملامح الخصوصية للإعلام الصحفي "المولود حديثاً" - بالتصويب وبالعملياتية.

إن التوسع المكثف لمدى التواصل في الساحة الصحفية وتعاظم طلبات الجمهور حفزت الاستيعاب المهني للطرق المتنوعة لمعرفة الواقع والأشكال الجديدة للتعبير عنه التي كانت تتوافق مع الأهداف المهنية المتعاظمة. إن العملياتية والوثائقية والاختصار والتعبير الانفعالي للعرض أكان ذلك من متطلبات الدرجة الأولى للمهنة تقاطعت في تغلغل متبادل لم يحتاجه الجمهور سابقاً ولم يجر إعداده في أنواع المعلومة الإجتماعية ما قبل الصحفية.

إن تثبيت نتائج الملاحظة المباشرة والهادفة للمؤلف في النص، ملاحظة بعض العمليات الملحوظة التي تستحق الاعتبار في الواقع يُميز علماء التاريخ القدامي بما

فيه الكفاية بالنسبة لسجلات الترحال في كل العصور ولكل الشعوب وبالنسبة لأحداث المراسلة الدبلوماسية والحياتية. لكن فئة واحدة خاصة فقط من المسائل المهنية ساعدت في تحويل الطريقة المعرفية للملاحظة المباشرة إلى جنس صحفي للريبورتاج.

الريبورتاج الصحفي فيما عدا المطلب الأساسي لتثبيت الملاحظات المباشرة لشاهد العيان أو المشارك في الحدث يحتاج إلى الطرق البنيوية وكمال تجسيد نتائج الملاحظة في النص الذي ينقله إلى طريقة خاصة ومميزة للتعبير عن إجمالي هذا العدد أو ذاك من ملاحظات المؤلف و"السلسلة الضرورية" للانطباعات ومقدار الأحداث. يحتاج جنس الريبورتاج إلى تركيز صارم لوجهة نظر الملاحِظ وانتقاء ماهر وخضوع متبادل لأجزاء الملاحظة مع نقل "فوري" للأحاسيس وتداعيات المؤلف-الملاحِظ. في هذا المزيج من المتطلبات المتناقضة بما فيه الكفاية "يكمن في رأينا "العصب" الإبداعي للتعقيدات الخصوصية في الجنس الريبورتاجي.

فمن ناحية يُعد ذلك انخراطاً كامل الأبعاد للقارئ أو المشاهد في دائرة المشاركين في الملاحظة المباشرة والحية والفورية العائدة للمؤلف، لكن من ناحية أخرى-التحقيق (الريبورتاج) الصحفي بصورة عامة لا يُعد إسقاطاً مباشراً وقالباً طبق الأصل للعملية الحية للملاحظة كإحدى الطرائق الرائدة في المعرفة. ومهما كانت تامةً عملية الملاحظة الحية عند الصحفي للواقع لم ينشر في هذا الريبورتاج أو ذاك إنتاجاً بين طريقة المعرفة وتجسيدها الجنسي توجد "فرجة" محددة. فهو إلى حد كبير غير متساوٍ في معالجات ريبورتاجية مختلفة وأحادية المعنى هذه تولد تنوعاً في أشكال احتمالات الأجناس.

من أين تؤخذ مثل هذه "الفرجة"؟

أولا: على حساب "تقليص" العملية التي تجري ملاحظتها واقعياً قبل بعض الأحداث الخاصة بها.

ثانياً: على حساب "تشبع" نتائج الملاحظة بعلاقة المؤلف تجاه ما يحدث.

ثالثا: على حساب النقل-البث- غير المتساوي لطرق وتفاصيل ما يحصل-الزيادة النسبية أو الأقلال من "أبعادها" بالنسبة لتناسبها الواقعي.

ذلك التمويل الحتمي من الناحية المعرفية وإلى أدنى حد الذي يحصل مع موضوع التصوير الصحفي من مرحلة إدراكه في المعرفة حتى مرحلة عرضه من أجل الجمهور. وكما يعتقد مجموعة من الباحثين فإن "الفرجة" الأقل وطبعاً غير المبعدة بين طريقة الملاحظة الريبورتاجية في الصحافة وبين المعالجة الريبورتاجية المناسبة المتعلق بجنس الصحافة يقدمه البث التلفزيوني المباشر من مكان الأحداث. في هذه الحالة يحصل عند الجمهور يُخلق وهمٌ لتوافق كامل لطريقة الصحفي المعرفية بإمكاناته الملاحظاتية. من المعروف جيداً بالنسبة للمحترفين بأن الأمر ليس كذلك وأن جميع الملامات الفارقة لعملية السقوط المتكررة بين الطريقة الريبورتاجية للملاحظة والجنس الريبروتاجي للخبر التي تحدثنا عنها آنفاً موجودة هنا. إختيار نقطة التصوير وتركيز الكاميرا التلفزيونية ومونتاج الشاشة للكادرات وعملية التغطية-جميع هذه العوامل بالمناسبة تُحدث "الفرجة".

يُقَدِّم ديالكتيك العلاقات المتبادلة للطريقة الريبورتاجية وتجسيدها -مساحة واسعة للأشكال الأجناس- أشكال مختلفة إذا صح التعبير "للفُرَج-الفتحات".

تُعد الطريقة المعرفية للملاحظة المباشرة، الشهادة المباشرة لشاهد العيان أو المشارك في الحدث كما بيّنا مقدمة ضرورية للتغلغل وكذلك للأداء الفعال للريبورتاج الصحفي. لكن في الممارسة الإبداعية ليست نادرة جداً الحالات التي لا

تتأمن فيها رغبة الصحفي بالكتابة ورغبة هيئة التحرير بطباعة ريبورتاج عن حدث، لا تتأمن بهذه المقدمة الإلزامية، توجد ثمة محاولات لإجراء ريبورتاجات عن الأحداث التي يعرفها الصحفي فقط من خلال مصادر غير مباشرة وروايات الآخرين. إن طرق المعرفة هي مفيدة وقيمة بحد ذاتها، وفي حالات كهذه لا تستطيع توفير معالجة ريبورتاجية كاملة للمطبوعة. فطبيعة الجنس غنية المضمون تتشوه وكما عبر بدقة محقق "السفير" "فإن الجنس الصحفي ينتقم لنفسه". يحصل هذا أيضاً في الحالات التي يحضر فيها الصحفي إلى الموضوع المختار منفذاً بإخلاص مهمته، لكنه لا يجد فيها "نواة حديثة".

في حالة مشابهة وقع أحد طلاب كلية الصحافة في موقع العمل الإنتاجي التدريبي، حينما حاول كتابة تحقيق / ريبورتاج/ من مدرسة للتو انتهى ترميمها وجاهزة لاستقبال العام الدراسي. فحتى لحظة قدوم المحقق لم يحصل أي شيء في المدرسة: البناءون غادروا، التلاميذ لم يصلوا، المدرسون غائبون، فقط رئيس قسم التعليم رافق الصحفي المبتدئ أثناء مشاهدة المدرسة. يبدو في هذه الحالة عدم نجاح الريبورتاج كان محدداً مسبقاً بغياب الحدث المنتشر ديناميكياً الموضوع العضوي للملاحظة الريبورتاجية. هل كان بالإمكان في الوضع المستجد كتابة ريبورتاج شيّق؟ يمكن. لكن في واقع الحال مع غياب الأحداث الخارجيّة كان من الضرورة الاعتماد على ديناميكية التداعيات الإبداعية، وعلى سبيل المثال تجاه حوادث ذكريات الصحفي حول حالات مماثلة، لكنها تمتلك دينامية وحول المعاناة الذاتية الواضحة المتعلقة بالعام الدراسي الجديد. فالتشوه المحدد للطبيعة الأصلية للجنس الريبورتاجي كان مع ذلك من شأنه أن يحصل أيضاً وأن تتسع كثيراً "الفرجة" بين ما يُلاحظ فعلاً وما يتجسد. غير أن المعايير الجنسية للتجسيد الريبورتاجي لم تتعرض للخلل لأن ديناميكية الملاحظة المقيدة بالموضوع السكوني استطاعت تأمينها مقابل غياب العملية المنتشرة ظاهرياً.

بالطبع، إننا في حالات مشابهة نتعامل إلى حد كبير مع ريبورتاجية مرتبة اصطناعيا، لكنها تستخدم ديالكتيك الطريقة والجنس إبداعيًا وبمهارة وبصورة مشروعة.

للأسف كما لاحظ غ. بوتشاروف، فإن أفضل نماذج الريبورتاج على صفحات الجرائد -الضيوف النادرون. "ربما حتى بسبب أن التحقيق -الريبورتاج يحتاج من الصحفي اطلاعاً بالحد الأقصى وحركيّة وإذا ما أردتم ليس في درجة قليلة يحتاج إلى تفكير حاد وسرعة بديهة" سرعة البديهة- بالنسبة للمخرج الإبداعي الملائم من المفاجآت، المشابهة للمدرسة الفارغة الصامتة ولو أنها مرممة بشكل حسن ومتين، حيث تنتظر هيئة التحرير ريبورتاج سريع.

وهكذا فإن "نقص" دينامية الملاحظات المباشر تُفقد الجنس الريبورتاجي جاذبيته الرئيسية وخصوصيته. غير أن "فرز" الحوادث المدركة بسرعة والمصورة بحيوية للواقع قادر على تشويه بنية الجنس وتحميله زيادة عن طاقته والتقييم على الفكرة الرئيسية التي تقوي حوادث الفعل الريبورتاجي. لهذا السبب بالذات ولأن الجنس الريبورتاجي عموماً ليس بصمة مفصّلة في نص الملاحظة المباشرة للصحفي مع العلم وكما سبق وقلنا بدون هذه الطريقة المعرفية فإن الجنس المعني مستحيل. تتلخص الصعوبة بالمناسبة في أن الملاحظة الوثائقية- قائدة، لكنها ليست الطريقة المعرفية الوحيدة المتجسدة في الريبورتاج. الامتلاء والبعد في الملاحظة الأساسية خلف الحدث المنظور من جانب الصحفي تقعان في تبعية مباشرة لإعداده للملاحظة والذي يسبق الاطلاع في القضية القائمة.

نتحدّث اليوم بكل ثقة عن التحليلية المتنامية في الصحافة العالمية للجنس الإعلامي الاستثنائي. في أساس هذه العملية يوجد توسع في مجموعة الطرق المعرفية التي يغنيها كاتب الريبورتاج باستمرار المعاصر أكثر فأكثر ويدعم الطريقة القيادية في الريبورتاج للملاحظة المباشرة، هذا التوسع الذي استدعي على الأغلب

بفعل تطور المعلوماتية العامة والمطالب والاحتياجات الأيديولوجيّة للجمهور. وبذلك فإن "الفرجة" بين الطريقة الرئيسية والجنس تصبح أكبر لأنها تُدخل في ذاتها دائرة الطرق الإضافية التي تبقى "وراء الكواليس" من الشكل الفني.

لقد أصبح بالتأكيد الطريق والفن-الجنس- في عداد الاحتمالات الفنية للكتابة الإجتماعية في الريبورتاج التحليلي نتيجة مرئية للتحولات والتطورات في تفاعلها المتبادل.

وخلافاً للريبورتاج المعلوماتي الكلاسيكي فإن هذا التشعب الفني -المُمثَّل الآن بصورة واسعة في الأدب الإجتماعي في اسماء غ. يوتشاروف و ف. زاخاركو، و ف. تشيرتكوف و يو. روست، و آ. روبينوف - يعتمد على دراسة عميقة ومتنوعة الإتجاهات ومفصلة للمراحل السابقة في العملية التي هي قيد الملاحظة وعلاقاتها السببية النتيجية ومحيطها الإجتماعي النفسي و"التشخيص" الأخلاقي-السياسي لشخصياتها. إن التنظيم والطاعة المتبادلة وتسلسل هذه العمليات البحثية تتحدان بظروف العمل الملموسة ويبدو أنها لا تفترض معايير صارمة، لكن قدرة المؤلف على "تركيز" أفكاره وذهنيته في أحداث الملاحظة الحديثة-الاستنادية تُعدُّ محددة للنتيجة الإبداعية وحلقة حاسمة في المطبوعة الريبورتاجية-التحليلية.

هنا في هذه الحلقة من المعالجة الفنيّة يحصل خليط للانطباعات التي حصل عليها الصحفي من تيارات معلوماتية متنوعة بطرق معرفيّة متنوعة ومختلفة لا تتطابق لا في الزمان ولا في المكان. هذا الخليط من الانطباعات المتكدسة والملاحظات المباشرة تقوي مرات عديدة حدة بصر "العدسات" الفكرية لدى الصحفي (ومعه القارئ أيضاً)، ويولد نوعية فنية جديدة تبرز في شكل متميز من الإبداع الصحفي وريبورتاج إشكالي تحليلي. إن "الجانب" الظاهري لنص الريبورتاج الإخباري والريبورتاج التحليلي يكون متشابهاً جداً وهذه الريبورتاجات أحياناً

ومن وقت لآخر حسب التصاميم المقترحة "في الخارج" تكون غير متنوعة تقريباً. فالحد يمر عبر شواخص هذه الاشكال الفنية، هذه الشواخص الهيكلية المنطقية المعرفية "الداخلية"؟ إن خلف الوجه الريبورتاجي" ظاهرياً للمطبوعة التحليلية تتواجد دائماً الدراسة المتعددة المراحل مع الإجمالي المعقد للعمليات المعرفيّة والفكرية، هذه الدراسة التي تغذي المحتوى والمعنى.

من وجهة نظر التبعيات التي تهمنا بين الطريقة والفن في هذه الحالات يُبدل فن الريبورتاج الذي أوجدته احتياجات التجسيد الأكثر امتلاءً وديناميـة لطريقة الملاحظة المباشرة، يبدل بنيته الفنية بالمضمون مع المحافظة على البينة الشكلية. في هذا التحول تُكتشف بوضوح طبيعة الفن -الجنس- الثنائية الشكلية الفنية بالمضمون والتي أكّد عليها المنظرون أكثر من مرة. استبعد تواجد الريبورتاج "المتعدد الأجناس" واستيعابه الإبداعي من جوانب الصحفيين استبق الاستقلالية النسبية الحالية للريبورتاج التحليلي.

الباحثون في دراسات م. كولتسوف توقعوا أكثر من مرة بعض الحيرة والإرتباك أمام أعماله العظيمة "ثالثة أيام في التاكسي"، "سبعة أيام في الصف"، تعرضوا للصعوبات في تحديد جنسها. في الكتاب الذي صدر مؤخراً حول كولتسوف ب. ب. فيريوفكين يكتب على سبيل المثال:"إنه يحضر وثائقه ليعمل سائق تاكسي... ولثلاثة أيام في هذا الميدان يدور في شوارع موسكو. بلا شك الطريقة ريبورتاجيّة. لكن ما يظهر بعد عدة أيام في: البحث: تحت عنوان: "ثلاثة أيام في التاكسي" يُفهم كلوحات حية من حياة العاصمة ومعرض كامل من النماذج والشخصيات والعادات لدى المسافرين والركاب في سيارات التاكسي- من أهالي موسكو والعابرين" وكذلك كمقالة إجتماعية (وضع الأسئلة المتعلقة بالنقل بالسيارات بشروط العاملين فيه والعلاقات المتبادلة بين السائقين ومنظمي حركة المرور ومع حالة مرافق المدينة بشكل إجمالي وغيرها).

كلما كانت التوصيفات المتساوية اكثر التي يمكن أي تُعطى للمادة ذاتها كلما كان أكثر وضوحاً أن اي واحد منها لا يُعد وثيقاً. فالتأصيل اللاحق للطرق في الأدب الإجتماعي حيث كان كولتسوف العابر الأول فيها وعم الريبورتاج التحليلي بمثابة شكل فني متطور معترف به اليوم بصورة واسعة. غ. برتشاروف إذ يؤكد ضرورته وآفاقه بإبداعه ومؤلفاته وإذ يحدد عموماً إمكانات الريبورتاج التحليلي في المرحلة الراهنة يكتب: "... أعمل منذ عدّة سنوات كما يلي: أحاول كتابة الريبورتاجات التي تتناول عصب اليوم وعصب الزمن. يقنعني القراء وردود أفعالهم في صحة هذا الطريق. فالريبورتاجات كثيراً تُثير مراسلات حادة وشيّقة وغير متجانسة. طبعاً من أجل ذلك لا بد من إرسال ريبورتاج ذي معنى اجتماعي إلى هيئة التحرير بحيث يتناول عقل وقلب ملايين القرّاء... الريبورتاج يجب أن يُقلق ويُسر ويُحزن وأحياناً يدعو إلى إعادة النظر في الآراء الذاتية والتأكيد دوماً على القيم الأخلاقية الحقيقية. فقط مثل هذا الريبورتاج ضروري اليوم. الإرساليات الهشة تحت عنوان "ريبورتاج" غير ضرورية".

فالمراسلات الهشة تحت عنوان "ريبورتاج" تُعد عادة تكونات فنية غير متبلورة، حيث أن العناية بالتفاعل المتبادل لطرق المعرفة وطرق التعبير في الصحافة لا تُتعب مؤلفيها أبداً. عموماً في هذه المجائن غير الكاملة لا يغيب فقط تنظيم الطرق المعرفيّة واقترانها العقلاني بل والإستخدام المنطقي لواحد معين منها. المراسلة الهشة تحت عنوان "ريبورتاج" في جزء كبير تكاد تكون إعادة إنتاج دقيقة من صفحات دفتر المذكرات الصحفية، حيث يجري التنويه إلى بعض عناصر الملاحظة المباشرة وبعض ردود وملاحظات المتحدثين مع الصحفيين ومجموعة من المعطيات الإحصائية الإجمالية حول نسب تنفيذ الخطة وحول عدد الطليعيين. حسب النمط الجامد الخالي من الهيكلية في العلاقات المعرفية والفنية تصدر مع الأسف أعداد غير قليلة من المطبوعات. إن عدم تبلور التعبير نتيجة ضمنية تماما للمحتوى الذي لم يتعرض للبحث الكامل.

فالريبورتاج التحليلي في حالات معينة يمكن أن يبدو أكثر تعبيرية من المراسلة التحليلية في المشكلة ذاتها. لكن ليس في جميع الحالات أبداً. اختبار الاحتمال الفني المعني غير مستحب؟؟ إذا كانت مرحلة الملاحظة المباشر للحدث حسب شروط عمل الصحفي غير منفتحة بصورة كافية. وبالمقابل فإن الفائض في الملاحظات الريبورتاجية في المراسلة الإشكالية الحادة أو النقدية الحادة تخلق الصعوبات كثيراً أمام الوضوح والتكوين المنطقي للأدلة. على المساحة الضيقة في صفحة الجريدة فإن فقرات الملاحظة الريبورتاجية في هذه الحالات تُضيّق بصورة حتميّة تعدد مقاييس التفكيك التحليلي وستخرق التناسب الضروري للحجج والإستنتاجات. توجد أيضاً خاصيّة أخرى للوجه البنيوي للمراسلة التحليلية بالمقارنة مع الريبورتاج التحليلي، ففيها ملموس أو مَخفي، لكن توجد مسافة زمنية، فاصل بين مجموعة الانطباعات الصحفية وتلخيصها في التعميمات.

فالريبورتاج كما سبق وأكدنا خاضع بكل عرضه لمنطق الملاحظة المباشرة ولو يقف الجمال خلف هذا المسار الرئيسي -في الاحتمال التحليلي للفن- عمليات بحثية متنوعة الأنماط.

الاستهتار بهذه الاختلافات الفنية المحددة تقود إلى ظهور منشورات ومطبوعات مؤذية رمادية سطحية على صفحات الجرائد.

تتعرض العلاقات المتبادلة بين الطريقة وفن المقابلة في الصحافة الحديثة إلى تطور إبداعي نشط. طريقة المقابلة -الحصول على معلومات بواسطة حديث مع أشخاص مُطّلعين- في تقدير لا يقل عن طريقة الملاحظة المباشرة- تُعدُّ واحدة من الطرائق الأساسية في الإبداع الصحفي. لكن مرَّ وقت طويل قبل أن تتبلور طريقة الحصول على المعلومات في فن المقابلة الصحفيّة- عرض متماسك إعلامياً ومعلوماتيّاً لأسئلة الصحفي وأجوبة الرسبوندنت التي تعود عموماً للحدث الموضعي.

استقر فن المقابلة الكلاسيكية المعلوماتية بصورة كافية ودقيقة في الصحافة العالمية حتى أواسط القرن الثامن عشر. طبقاً للمقابلة الصحفيّة الكلاسيكية وفي عدد كبير من الحالات يوجد أمامنا تطابق كامل إلى حد كبير بين الطريقة وجنس الفن. هنا يمكن أن تكون انحرافات متنوعة الأنماط وتنويعات في الممارسة الإبداعية وصولاً إلى نسب أقوال مزوّرة أو كاذبة مقصودة للروسبونديتت. لكن ذلك لا يُعدُّ مؤشراً على القوانين والقواعد الإبداعيّة، بل تزييفاً مقصوداً. المهم بالنسبة لنا إبراز وجود إمكانيّة نظرية مبدئية (دوبلاج) لطريقة المعرفة في فن المقابلة. يسمح هنا بدرجة التوافق تلك التي قمنا بتثبيت إمكانيتها النظرية العملية في التفاعل المتبادل بين الطريقة الريبورتاجية للملاحظة والفن-الجنس- الريبورتاجي. مثل هذه الإمكانيّة تُعلَّل في أن طريقة المقابلة المهنية في الصحافة (خلافاً للملاحظة المباشرة) جاهزه ومرتبة منطقياً في الوضع الأساسي. إن بنية العملية المعرفية في هذه الحالة يمكن تقريباً دون تبدلات أن تعود وتتجسد في بنية الفن.

إن تطابق الطريقة مع الفن- الجنس- في اشكاله المقابلة 0إمكانيّة، لكنها ليست ضرورة صارمة. في الواقع لا تُكرّر غالبية النصوص المطبوعة بمقابلة نسيج الحديث الذي جرى لأن تشعبات الحديث غير المخطط لها تحصل بصورة طبيعية وهي تتجزّأ وتتكثف في المطبوعة وليس نادراً تنشأ ضرورة تبديل مواقع فقرات الحديث في الاحتمال المطبوع. بهذا الشكل تظهر هنا فتحات- منافذ بين الطريقة المعرفيّة الاستنادية لبنية الفن-الجنس-المعني- وتجسيدها النصوصي.

الطريقة الاساسية -المنطلق- لإعلام القارئ بواسطة نقل إجابات الشخص المضطلع على أسئلة الصحفي تخضع في الصحافة المعاصرة إلى تطور ملحوظ في الإتجاهات التالية:

يتعاظم الدور المعنوي الفني بالمضمون للصحفي في الحديث.

العلاقة تجاه المحدث كمصدر للمعلومات تتحول إلى إهتمام به نفسه كشخصية.

مهمة الحديث وغايته التجارية والمعلوماتية الموضعية تُستبدل بتبادل الآراء كنبض تجاه وضع المشكلة وبداية النقاش الواسع.

على قاعدة هذه التبدلات، الإنترفيو الصحفي الكلاسيكي يتحول إلى حوار تاريخي بيوغرافي أو اجتماعي إشكالي، وإشكالي نفسي.

فالشكل الفني للحوار بحد ذاته ليس جديداً. يعرف تاريخ الثقافة حوارات أفلاطون الفلسفية والحوارات الفلسفية السياسية لسيسيرون، والحوارات الأخلاقية الخطابية لأقطاب النهضة الأوروبية ويعرف الآداب الحوارية العلمية الإشكالية الغزيرة في عصر التنوير، إنها التجربة السابقة، المكدسة في المجالات الإبداعية المجاورة للصحافة.

يُعد اندماج الفن الأدبي الفلسفي للحوار بالصحافة العملياتية والجماهيرية الحديثة أمراً جديداً من حيث النوع. إن عنوان: حوارنا: يستبدل بصورة أكثر قوة أو يحل محل عنوان "مقابلاتنا" على صفحات الكثير من الصحف المركزية والشبيبية وفي المناطق. ومع العلم أن الطريقة الأولية ذاتها طريقة المقابلة–المحادثة ترقد في اساس الفن الصحفي للحوار. فإنها تُوسع مداها وتُغير سوية الحديث التي ترافق وتميز إعداد المطبوعات في فن المقابلة الكلاسيكية.

إن واحدة من البدايات في ميدان الصحافة المعاصرة بصورة مكثفة ومنطقية – إستخدام فن الحوار الإشكالي–الإجتماعي–النفسي–المشكلاتي والحوار التاريخي– البيوغرافي إن العناوين "حواراتنا"، "حوار ذو هيبة"، "حوار في موضوع راهن" وغير ذلك التي تستبدل على امتداد العقد الأخير تُمارس بمردود إبداعي كبير. ماذا تحقق الصحيفة بالتوجه إلى هذا الفن؟ أولاً تحقق كشفاً أكبر ومحسوس أكثر لعالم الإنسان المعاصر داخلياً. فالحديث في هذه الحالات بالنسبة

للصحفي لا يُعدُّ طريقة للحصول على كمية من المعطيات المعلوماتية بقدر ما تُعدُّ طريقة لإيقاظ المتحدث ليعبر ذاتياً وتوثيق الذكريات والمعاناة والحدود التي لا تتكرر في عالمه الداخلي لأبناء العصر البارزين والعاديين.

على هذا المبدأ قامت حلقات الحوارات الصحفية تحت عناوين: "نحن- الورثة"، "كلمة عن نمط حياة"، "عن الزمن وعن الذات"، التي تم طباعتها ونشرها بصورة مكثفة وخاصة في مرحلة الاستعداد للاحتفال للاحتفالات بالاعياد الوطنية.

إليكم ما شرحته هيئة التحرير لغاية العنوان الجديد: "حوار ذو هيبة" :"كيف تصنع المصير؟ أين يكمن سر النجاح؟ هذه الأسئلة تقلق الشباب دائماً. سيجيب عليها ذوي النفوذ المعترف بهم". بعد ذلك- حوار المراسلة ن. تشوغونوفا مع أحد كبار أكاديميي الشباب، العالم في مجال الفيزياء الرياضية والتحليل الوظيفي ل. د. فادييف. تصف المراسلة مهمة هذا الحدث: " لا يمكن أن تسمي المستقبل العلمي للأكاديمي فادييف إقلاعاً رائعاً. وكيف يفكر بذلك الإنسان الذي وصل إلى القمم؟ في المقابلة- في نصيحة للقراء الشباب الذين باشروا طريقهم نحو العلم، فادييف يحل "مسألة غير رياضية".

المقابلة النصيحة، المقابلة التأمل – قاعدة يبني عليها الصحفي حواراً مفتوحاً يحمل وجهة النظر في العالم. وعلى هذا النمط بُنِيَ حوار "امتلك نفسك!" حين تتحدث الصحفية ل. غرافوفا مع الطيار العظيم بطل الاتحاد السوفياتي م. م. غروموف. الحوار نُشر عنوان" هل تريد أن تصبح أفضل؟". هيئة التحرير تضع تقديم: "نحن نريد تعريف القارئ على معاصرينا المشهورين والأقل شهرة، الذين بكل ما في هذه الكلمة من معنى وجدوا أنفسهم. فالخبرة الفردية في الحياة التي تجلب الفرح للفرد ذاته وللمجتمع قيمة جداً وبصورة غير عادية. احكام الحقائق الأبدية تُغطى بمعنى جديد عندما يُؤكدها القدر الإنساني المحدد".

مثل هذا الرأي حول تفرد المصير الإنساني المحدد عن طريق الحوار يُدخل مقاماً ولحناً جديداً في كيان الفن الصحفي. اللحن الذي يجمع من الناحية النفسية الحوار الموجّه مع التحقيق الصحفي المتعلقة بالصورة.

يدور البحث هنا عن الجوانب الهامة في التفاعل المتبادل بين الأجناس التي أصبحت نتيجة للتفاعل المتبادل بين الطرق الإبداعيّة التي "تناور" بها الصحيفة. فبدون جملة من الأحاديث -المقابلة مع بطل ومع الناس المحيطين به لا يتحقق أي تحقيق صحفي أو مقالة صحفية وثائقية مؤهلة. ليس نادراً تصوّر هذه الأحاديث في نسيج المادة التحقيقية وتتحول إلى حوارات صغيرة خاضعة للوضع العام. لكن إليكم حواراً واسعاً وشاملاً والذي يصبح معبراً عن الوجه الروحي للشخصية- الظاهرة جديدة تماما بالنسبة للصحيفة، وكما تبين الممارسة الحالية فإن هذه الظاهرة مثمرة. الصحفي حوار كهذا وكأنه ينقل توصيف البطل إلى نفسه موقظاً إياه للتعبير الذاتي والتوصيف الذاتي.

"مما يمكن أن يفكر المهني، -أمر مريح وتقل هموم المؤلف!" هيهات أن يستحق الأمر البرهان جدّياً على بساطة المحاكمة.

الحوار بصورة عامة - فن معقّد للغاية. خلافاً للمقابلة الصحفيّة الكلاسيكية الإعلامية يقدّم الحوار للصحفي طلباً أكيداً للتفكير والمعاناة "على حد سواء" مع المتحدّث، وأن يكون ذلك المستوى من الثقافة الروحية وفي تلك الدرجات في الحرفية المهنية التي هي الوحيدة القادرة على تحويل الصحفي الذي يأخذ المقابلة إلى صحفي "مبرمج" بقائمة صارمة من الأسئلة وإلى متحدث سريع البديهة غني المضمون بدون أي قيود. المقابلة- أفضل أو أسوأ، أطول أم أقصر، لكنها في الغالب تُنفّذ من قبل أي صحفي، فالحوار ليس بمقدور أي صحفي مهني. وهذه العقبة موضوعيّة (مع العلم أنها بجوهرها ذاتيّة) على طريق نشر أوسع للحوارات في الصحافة المعاصرة وبشكل متواز مع التوصيف الذاتي للبطل التي يثيرها الصحفي مدير الحوار يحصل بصورة ضمنيّة ايضاً توصيف ذاتي لمدير الحوار.

خصوصية الفن "الخطرة" لكنها تحت ريشة المحررين الشجعان في الصحف تعمل بفعالية.

فالحوار الذي يتطور ويتحول إلى تحقيق صحفي أو مقالة والمقالة "التحقيق الصحفي" التي تتجسد بالحوار إلى جانب الريبورتاج التحليلي تبدأ بصورة مكثفة تُستعمل من قبل الصحفيين.

وها هو التحقيق الصحفي الفريد من نوعه للغاية من حيث حدّة الصراع النفسي البعيد عن العيون الخارجية العائد لـ غ. بوتشاروف "هـم". في الساحة البصرية التأليفية، المخترقة الحياة الواعية بأسرها للإنسان التالم على الأب والصراع الواضح غير المنقطع والأخلاقي. صراع الفن الشبابي ثم المعلم وفردية الأب الحنون البرنامجي القتالي المفروض. الصراع الذي لم يكملوه، قاطعته ثلاث جروح وُجهت للإبن من قبل أب متوحش. لم يكملوه لأن الإبن الذي أنقذ من الموت بأعجوبة يفكر ثانية كيف يساعد ليصحو عقل الوالد. هذا الصراع المحدد من حيث توتره مآسيه نُقل بتحقيق صحفي وثائقي حيث نُقل بصورة خاصة وتستحق الاعتبار ببنية تأليفية للحوار وبحديث غير متسرع وودي بين المراسل والشخصية الأساسية الفاعلة قسطنطين كويسنك،

يبدأ التحقيق الصحفي بمقتطف من الحديث في الصيد. من الكلمات التالية: ستعتادون قريباً جداً. - رميت 80 غراماً من الرصاص في الماء البارد النقي- ارتجفت البكرة دون عمق.

سأعتاد، طبعاً، أجاب هو:

العمل سيساعد.

لكن كل ما حصل ربما تتذكرون؟

أتذكر - قال هو، - صعب أن أنسى.

نظر إلى الشاطئ البعيد، إلى السيارات الصغيرة التي كانت تتحرك دون ضجيج في الطريق على طول الكورنيش على الصخور الوردية الجافة، التي كانت تقف فوقها غيوم الصباح المنيرة بالشمس ويبدو، أنني أردت أن أضيف شيئاً ما، لكنني أوقفت نفسي ولم أضيف.

- كم عمرك اليوم؟ - سألته.

32 عاماً - أجاب - عمر رائع كما يُقال.

هذا ما يقوله من هو أكبر من هذا العمر.

لا أفكر بذلك، قال هو.

أمر جيد - أومأت برأسي وجلست على ظهر القارب.

والآن تحدث من فضلك عن حياتك قبل القدوم إلى هنا. وإذا كان ذلك ممكناً فتحدث عن الوالد وتاريخكم.

- لا بأس حسناً، قال بعد صمت طويل. لكنها رواية طويلة. ليس بإمكانك التحديث عنها فوراً. وهكذا بدأ...".

تبين أن البداية كانت عادية للغاية، بداية المقابلة الصحفية العادية، لكن بعدها ينشأ أكثر مما هو محتوى معلوماتي بحت لمجموعة من الأسئلة والأجوبة. فيها بداية التعبير الذاتي والتوصيفات النفسية للبطل وللمؤلف. في عدم بطلان "الإيقاع المطروح للحديث، في التوتر الانفعالي للسكتة، في تواصل الردود المقابلة، إن التواصل والإخلاص وغنى المضمون بالذات لملاحظات وردود الصحفي (وليس فقط الأسئلة كما هو في المقابلة "البحتة) تحول الحديث من مصدر وحيد الجانب للمعلومات إلى حوار حقيقي.

يعتمد الانتقال في حركة الحوار التحقيقي الصحفي نحو ذروته على الإجابة المقابلة للصحفي. يقول قسطنطين كويسفيك: "وفي ذلك الوقت وفيما بعد أتذكر

دائماً بانزعاج ذلك اليوم عندما انتسبت إلى منظمة اهلية. أتـذكر كيـف اضـطربت وأذكر ما قاله أمين سر المنظمة، وأنا تذكر كل شيء، كي أتحدث عنه في البيت. هذه اللحظة، الجميع يتذكرونها، أتذكرونها؟ - نظر إلى عينيه الخضراوتين الفـاتحتين. - من المحتمل يتذكرون- وافقت معه أذكر بنفسي، كان الوقـت شـتاءً، كـان الجـو في مكتب المنظمة بارداً. أذكر أن السكرتير المنظمة هنّاني، كـان نحيفـاً ومرحـاً أمـا أنـا فاضطربت وشددت على العنق شالاً ضيقاً رمادياً من لفائف الأب العـسكرية.... أذكر، كان والدي آنذاك في سفر وكتبت له رسـالة، رسمـت لـه مخطـط المكتـب في المنظمة ووصفت علامة في المكان الذي وقفت فيـه وأيـن كانـت الطاولـة، هنّـأني وكتب: "أمور رائعة، أنت-بطل".

- أما والداي فلم يهنئاني، - قال قسطنطين- استمع إلى كل شيء صـامتاً وتـابع عمله: كل شيء ما بعد ذلك دمدم:"هراء". هكذا.

الملاحظة المقابلة المفتوحة للصحفي - وصف حدث الحياة الخاصـة- لـيس مجرد يساند الحديث، بل ويكونّ طيفها الانفعالي ويغنيه ويخلق ثقـة خاصـة ومميـزة بالحوار الذي حصل ويتجسيده الفني.

إن التعرف على الحوارات في إطار التحقيقـات الـصحفية والـتي ترسـخت في الأدب الإجتماعي المعاصر يمكن أو تولد وهماً حول استقلالية طريقة المقابلة من أجل تحقيقها. في الواقع يكمن خلف النموذج الفني المقدم وبدرجة أكبر ما هو خلف الحوار النفسي الإشكالي، يكمن عمل مسبق مرافق للحديث ويتناول البحث والدراسة مـن جانب الصحفي. فالحوار الذي يجري في إطار التحقيق الصحفي (المقالـة) في العلاقـة تجاه جملة من الطرق تكونه، وكأنه "متناظر" مع الريبورتاج التحليلـي. إذ يؤلـف محـوراً للمادة غنياً بالمضمون يركز ويستوعب دائرة واسـعة مـن الملاحظـات المتوازيـة والـتي تسبق معلومات المؤلف. إن كتابة مقالة وثائقية "تحقيق صـحفي" بالاعتمـاد فقـط علـى تبادل الحديث مع البطل ودون الخروج عن حدود طريقة المقابلة تكون مستحيلة.

يوجد ثمة شعبة فنية أخرى ولدها توسع خاص في "صلاحيات" طريقة المقابلة وتتجلى في تبادل الحديث الإجتماعي الإشكالي ذو طابع نقدي أحياناً والتي تنشر كثيراً على صفحات الصحافة المركزية الجماهيرية السياسية، لكنها غير مستخدمة وغير مستوعبة من قبل محرري الصحف في الجمهوريات والمناطق. إذا كان التشديد يوضع على التوصيف الذاتي للشخصيات-أطراف لحديث في الحوار الإشكالي النفسي والتحقيقي الصحفي وكذلك في أشكاله المختلفة فإنه في المحدثات الهادفة تحليلياً ونقدياً تتقارن تفاصيل المشكلة المدروسة وتصطدم فيما بينها الآراء بهذا الخصوص. خلافاً للبنية النموذجية للمقال الإشكالي فإن مثل هذا التطوير الحواري للموضوع يعطي شحنة إضافية لديناميكية العرض ولحدة الأدلة موضوع المقارنة ولونها الانفعالي وسعتها الحياتية. فالتفسير الحواري لمجموعة من المشكلات المعقدة يرفع إلى حد كبير الإهتمام وتفهمها بالنسبة للجمهور.

هذا النوع من الحوار من المستحيل إقامته نتيجة عمل واحد في المقابلة. إنه يحتاج إيضاً من الصحفي ومن المتحدث إعداداً دقيقاً مسبقاً، مراجعة المسائل الملحوظة بصورة مسبقة وتفهم الأمثلة وصقل وجهة النظر الذاتية في المواقف التي هي قيد المناقشة. وبكلمة واحدة فإن الظهور في فن الإعداد الإشكالي الوصفي للحوار حسب طرق الإعداد لا يختلف من حيث سعة العمل والتنوع عن إعداد المقال الإشكالي. كل هذا الإعداد يكلله الحديث الذي يولد غير قليل من "الطرق" الحية غير المتوقعة، والملاحظات والارتجالات، الأمر الذي يخلق استحقاقات إضافيّة لتجسيد وإدراك المشورة.

وجدت طرق التعبير الحوارية تطوراً أيضاً في نقل التفكيك التحليلي المهيّا من قبل الصحفي للحالة الصراعية الموضعية-المحلية هذا الشكل الفني يجمع طرق المقابلة والمراسلة النقدية، إنه يستخدم كثيراً تحت عنوان "المقابلة مع المتخلفين"، "لماذا تتخلفون يا رفاق؟" وإلخ. يُعد تحليل ونقد نواقص من قبل المنتقدين أنفسهم

خصوصية لهذا الشكل الفني. إن وثائقية الفضح الذاتي تضفي على مثل هذا النوع من المطبوعات تعبيرية وفعاليّة مميزة. فملاحظات المراسل (الملاحظ من الخارج) بخصوص هذه النواقص أو غيرها في العمل-شيء مستقل. يمكن مناقشتها والتشكيك فيها وعدم دقتها وقصديتها، والشيء الآخر- التقييم الذاتي النقدي للأفراد، المسؤولين عن الوضع غير المريح للأمور والوعد الصارخ بتصحيح النواقص.

إن تركيز الشحنة النقدية في هذه المقابلات التحليلية التي يمارس الفضح الذاتي تمتلك درجة كبيرة من التأثير على القراء أيضاً وعلى المذنبين.

هذا الطابع النقدي الحاد يحمل مادة ف. فوروبيوف "ما الأمر الذي لم يأخذوه بالحسبان في المشروع "تحت عنوان: مقابلة مع المتخلفين الحديث يدور حول التخلف المزمن لشركة كوكتشيف التي يقوم ببناء المباني والمنشآت الكبيرة. اسباب التأخير بداية ويطلب منَ الصحفي يعرضها في الحديث معه مدير الشركة، ثم أمين سر لجنة المنطقة يوضح مجمل الشروحات والتوضيحات اسباب التخلف "من الأيادي الأولى".

من الضرورة الملاحظة بأن المقابلة مع المتخلفين - هي شكل من أشكال المنشورات الذي مع كل الإهتمام والتركيز على وجهة نظر المستطلعين لا يمكن أن تقتصر عليه فقط. فالمراسل ملزم: بامتلاك موقف مدعم بالأدلة والشواهد في مثل هذه الأحاديث- الظن ببساطة أن شخصاً ما ممن يوجه إليهم النقد يتعطش إلى "الفضح الذاتي". لا يتأسس نجاح هذا الشكل الفني على سياق المقابلة ذاتها فحسب بل وعلى العمل التحليلي السابق المتعلق بالإعداد والتحضير. فالاطلاع فقط من جانب الصحفي على الأمر ودراسة الفرضية المطروحة بخصوص أسباب العقد والمشكلات التي يجري مناقشتها، والقيادة المرنة يسير الحديث فإن الريادة فيه تقدمه المادة من أجل إقامة الحوار الذي يُعبّر عن محاكمات نقدية ذاتية وفضائية ذاتية

لمحدث الصحفي. في هذه الحالات نحن أيضاً نكشف توسع طرق وأنواع المحادثات في النقد الصحفي المعاصر وخروجها إلى صفحات الجرائد مع معالجة مستويات المسائل والمهام الإجتماعية التي لا تُميز ولا ترافق طريقة وفن المقابلة. عند إدراك عملية التطور إبداعياً للأجناس الفنيّة من الأهمية بمكان عدم التغاضي عن أن اقتراناً متعدد المقاييس وتقاطعات وتفاعل متبادل بين طرق المعرفة الصحفية والبحث الريبورتاجي وطرق الدراسة وبالذات في هذه التفاعلات المتبادلة الكامنة في عمق السطر يحصل خلف الاستعارات الإيضاحية للأجناس، ويتكشف الكثير من أسرار" تطور الأشكال الفنية التقليدية.

الفصل السابع
النص الصحفي
بوصفه نظاماً للوسائل التعبيرية



النص الصحفي
بوصفه نظاماً للوسائل التعبيرية

في السنوات الأخيرة يتجلى أكثر فأكثر في النشاط الصحفي سعيٌ واعٍ ومنطقي لتحويل التأثير الصحفي إلى عامل دائم يقوم بتسهيل معالجة المشكلات الواقعية في الحياة الإجتماعية. فالإبداع الصحفي مرتبط دون انفراط بالتقلبات الواقعية للعمليات التربوية والمعيشية والسياسية الملموسة المنتشرة في البلاد، أو حتى في منطقة معينة. وبمقدار تكديس الخبرة في إدارة البناء المهم الذي يجري إنجازه في الخطط التنموية وفي تأمين المقاربة الشاملة تجاه العمل الفكري التربوي تُدرك بكامل حجمها وبوضوح تام المشكلة العلمية العملية لإنجاز الفاعلية الثابتة للتأثير الإعلامي - الدعائي والتي تحتاج من الصحفي إلى البحث والإستخدام العقلاني للأشكال والطرق التنظيمية المُعوَّل عليها للمادة أحياناً والتي من شأنها أن تؤمن ديمومة وثبات التأثير الأدبي الإجتماعي على الجمهور.

إن حقيقة الوعي ذاتها لأهمية الخطة الإبداعية في العمل الصحفي مشهورة وعلى قدر كبير من الشأن. فمهمة إنجاز الفاعلية الدائمة والثابتة للتأثير الإعلامي - الدعائي تحتاج إلى إعداد نوعي لكل عمل صحفي، وبذلك تنقلب إلى قضية أداء عالي التأهيل لكل نص صحفي. هذه المشكلة بحد ذاتها ما تزال حادة للغاية. «هناك إحساس بنقص في التحركات المبدئية الكبيرة التي تتناول المشكلات الملحة في الحياة المعيشية والإجتماعية. ليس نادراً ما تحتاج المواد الصحفية - مواد الجرائد - وبرامج التلفزيون والمذياع إلى اقتناع وتعميمات جدية، إنها مُقلة بالجمل العامة التي لا تقدم لا للعقل ولا للقلب أي شيء». عند الحديث عن هذه النواقص والعيوب علينا أن نرى البرنامج البناء للنشاط، فالحرفية المهنية للصحفيين والفضائل الداخلية ونقاط الضعف في النصوص الصحفية تُقيم اليوم في مجموعة

من الجوانب المهمة من الناحية الجوهرية لاكتمال العمل الإيديولوجي و التنظيمي. فإن مشكلة فاعلية الإعلام الجماهيري والدعاية تُبحث في علاقة وثيقة بتحليل التقييم النوعي للوسائل والطرق المحددة للتأثير على الجمهور. ينعكس ذلك جوهرياً في مجال دراسة الحرفية الصحفية. لا يستطيع الباحث أكثر الانغلاق في وصف المصادر الأدبية البحتة وفضائل الخصائص الفنية للإنتاج الصحفي ولا أن يقتصر على التصنيف التجريبي «للتأثيرات النظرية». من الضروري تحليل ووصف بشكل علمي النظام الكامل لوسائل الصحافة التعبيرية التي هي ضرورية وكافية من أجل أن يستطيع الصحفي أن يضع في حسابه ليس الإمكانات القدراتية، بل والتأثيرات الإجبارية وليس تحريض نشاط الجمهور اجتماعياً، والذي بدونه فإن الممارسة الذاتية لجمهور القراء لن تكون فعالة بما فيه الكفاية أما نشاط المؤسسات الإجتماعية فهي في موقع صعب. نظراً لذلك تحدد نظرية الصحافة مادة جديدة نسبياً للبحث - الوسائل الصحفية التعبيرية أي التي تعكس القوانين الأساسية لهذا النوع من الإبداع والطرق والأساليب المهنية لتنظيم المادة، في النص الصحفي الخصوصي التي تبرز بمثابة عوامل نصوصية للتأثير الإعلامي - الدعائي، لأنها تساعد توجه التشكل العقائدي لدى جمهور القراء لأحاسيسهم ومشاعرهم وأفكارهم وانفعالاتهم وعقائدهم وبواعث المعالجة والقرارات وأنواع السلوك.

إن البحث الإبداعي الجماعي في الصحافة يتكثف باستمرار، لأنه يوجد لدينا مهرة حقيقيين في الأدب الإجتماعي، حيث إن سلوكهم الخاص مع النظافة المخبرية والوضوح يكشف أكثر الملامح الجوهرية في التأثير الإعلامي - الدعائي الفعال على الجمهور، فالخبرة الفنية لأقطاب الصحافة تحتاج إلى التعميم والبحث العلمي. إن تحليل الوسائل التعبيرية في الصحافة ضروري بالنسبة لاختبار بعض الفرضيات الجديدة في نظرية الدعاية وهو مهم للغاية بالنسبة لتعليم الصحفيين وتدريبهم ذاتياً، وسيساعد على التعليل العلمي لمعيار فعالية الإبداع الصحفي.

الصحافة ـ فعالية إبداعية مثمرة متخصصة:

انطلاقاً من الأحكام العلمية النظرية والفكرية حول المشاركة المباشرة والفعالة من قبل الصحافة في عملية التحول الإجتماعي بمثابة قانون وضع نماذج للإبداع الصحفي ينبغي البحث في الاسترشاد والتوجه إلى المشاركة الفعالة في الاستيعاب الروحي والعملي للعالم. فالمطبوعات الصحفية بتأثيرها على خلق الناس يجب أن تساعد في معالجة المهام العملية الإجتماعية واستدعاء تأثيرات تنظيمية ودعائية وإعلامية جماهيرية.

يجب أن يعكس النص الصحفي الظاهرة الحقيقية وبالإضافة إلى ذلك الامتداد نحو المستقبل والتجسد في حركة فعلية مستقبلية للجماهير، وبذلك تكوين ظاهرة موضوعية مستقبلية. ولهذا السبب تقضي الضرورة بالكشف عن الوسائل الفعالة للتأثير على القارئ والتعبير عن الأفكار كي تصبح مادية في نشاط الجماهير. فالصحفي كما هو معروف يأخذ الموضوعات من الحياة، «يمارس الدعاية بالوقائع»، «يعطي توصيات عملية»، «يعمل على تحقيق مقترحاته عملياً» وغيره.

بالنتيجة يستوعب القارئ النص الصحفي كحلقة واقعية لسياق النصوص في الواقع. وليس فقط تُستوعب بل وتُعبر من الناحية الموضوعية هكذا لأن فيه يُعطى خبر صادق حول الأحداث الفعلية وردّ عملي سليم.

من هنا تبرز الوسائل التعبيرية الصحفية بصورة خاصة ليس كطرق شكلية بحتة لعرض المادة وليس كامتلاء المطبوعة الفنية بالمضمون، من حيث علوم الوقائع، بل كثوابت معنوية ملحقة عملياً للإنتاج، تبرز في علاقات الشكل والمضمون، هذه الثوابت التي بحكم إلحاقها العملي قادرة على حفز النشاط التفكيري والانفعالي والإرادي للقارئ في ميدان الممارسة الإجتماعية والتي تتموضع في عناصر النص الصحفي المستقلة نسبياً والوظيفية الدورية الدقيقة بما فيه الكفاية، إذ تمثل عوامل نصية للتأثير الإعلامي الدعائي.

سوف يكون وجود نظام كامل في النص من الوسائل الصحفية التعبيرية، الضرورية اجتماعياً والمهمة جوهرياً والمتكيفة المتلائمة بصورة خاصة من أجل التأثير على إختيار الحل والاستنهاض للقيام بالعمل وتحريض الرأي العام وإعادة تكوين التوجه القيمي وتصويب نشاط المؤسسات والمنظمات الإجتماعية والاقتصادية وغيرها وتنسيق أعمال مجموعات كبيرة من الناس. وبكلمة واحدة يمكن القول: بهذا الشكل أو ذاك تأمين مؤثرات تنظيمية ودعائية وإعلامية جماهيري. فالقارئ وليكن ذلك دون وعي يتقارب لإدراك النص الصحفي وفهمه من وجهة نظر الممارسة، فاستيعاب الإنتاج الأدبي الإجتماعي بصورة حتمية يتعلق بمقارنته أولاً بالممارسة الإجتماعية الخاصة للشخص وثانياً بالنظرات الأخلاقية والأيديولوجية وثالثاً بتقاليد الشعب التاريخية والثقافية.

بالنسبة للقارئ يُعتبر النص الصحفي في آن واحد حلقة واحدة مشتركة، وعلى أقل تقدير لثلاث نصوص من الواقع الإجتماعي: استطلاعي، حدثي، أيديولوجي أخلاقي وتاريخي- ثقافي. ولذلك منذ البداية يجب تحرير النص الصحفي كمادة خصوصية بالنسبة لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، التي يصنعها الصحفي ويستوعبها القارئ على أساس سياق النص الحدثي - الدعائي، والأيديولوجي - الأخلاقي والتاريخي- الثقافي للواقع الإجتماعي بغرض التوجه العملي وتنظيم السلوك الفعال للناس في ظروف واقعية للعمليات الإجتماعية الجماهيري في الممارسة الشعبية. إن أي مقاربة لتحليل النص الصحفي يجب أن يغتني،

أولاً: بالأخذ بالحسبان المشكلات الواقعية التي تُعدُّ معالجتها هدفاً للتحرك الصحفي والنتائج التي تنتظرها المطبوعة.

وثانياً: فهم دور المواقف الأيديولوجية والمعايير الأخلاقية التي تتجلى في الإنتاج.

وثالثاً: بالتوافق بين المادة وتقاليد الجمهور الثقافية.

نستنتج مما سبق أنه في النص الصحفي نفسه يجب أن تتركز المادة الضرورية والكافية بهدف تأمين استيعاب للإنتاج بثلاثة سياقات نصوصية، إن أي سياق للاستيعاب من هذه السياقات المذكورة أعلاه يقود إلى الحركة بمساعدة إدخال العناصر النصوصية المتطابقة في الإنتاج الصحفي والمتوافقة معه من حيث المضمون: الأوصاف، التوصيفات أو ذكر الوقائع المتعلقة بالواقع، مسلمات الأيديولوجية ومعايير الأخلاق وصور الثقافة والسوابق، التي تنقل إهتمام القارئ إلى الجانب الحدثي - الاستطلاعي والأيديولوجي الأخلاقي أو الجانب الثقافي التاريخي للخبر ويبرزون كوسائل تعبيرية طبيعية للصحافة.

يمكن أن تتجلى حرفية الصحفي في امتلاء وتنوع وأصالة وجديد الوسائل التعبيرية الطبيعية للتأثير على وعي وسلوك القارئ، وتتجلى أيضاً في دلالتها العامة وتبعيتها العملية.

النص الصَحفي موجه لتدريب القارئ. ففيه عادة يُطرح تفسير لمشكلة واقعية في الحياة الإجتماعية. الأساس المنطقي للإنتاج بكونه التفسير الصحفي الخاص المنعكسات المشكلة وطرق حلها، أي معرفة من نوع خاص للأحداث المتعاظمة، إن الإنتاج الصحفي في صفته الشكلية والفنية بالمضمون وكماله الداخلي يمثل حاملاً مادياً لهذا النوع الخاص من المعرفة، والتي يُمكن أن لا تكون متجلية شفهياً (وجاهياً) لكن مع ذلك تُفهم، كأنها تُستخلص من نص القارئ وأكثر من ذلك تُستعمل من قبله في النشاط العملي.

في عمله المضمون الاقتصادي للنارودنيتشيستفو (وهي حركة طباعية سياسية بين مثقفي روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر)، ونقدها في كتاب غ. سكروفيه فلاديمير ليفين، بالشكل التالي: «يُحضُّر الأساس المعنوي للنص الصحفي لتوجه حركة نارودنيتشيستفو:

«جمعيتنا الحقيقية، تمتلك القليل من الأراضي ومرهقة بالأتاواة ولا أحد يعلم ما هو الضمان. فالأرض لدى الفلاحين كانت قليلة بدون ذلك، واليوم نتيجة تعاظم عدد السكان واستياء وضع الخصوبة أصبحت الأراضي أقل، فالإرهاق المتعلقة بالأتاواة لم يتراجع، بل يتعاظم، المهن قليلة والأجور المحلية أقل أيضاً، الحياة في الريف تصبح صعبة لدرجة أن الطبقة الفلاحية وبقرى بكاملها تنزح بعيداً للبحث عن العيش، تاركة المنازل للنساء والأطفال، بهذا الشكل مناطق كثيرة تصبح خالية من السكان... تحت تأثير هذه الظروف الحياتية الصعبة من جهة يبرز من الطبقة الفلاحية طبقة مميزة من الناس - البورجوازية الفتية، التي تطمح إلى شراء الأرض وبشكل انفرادي تسعى إلى أعمال أخرى - إلى التجارة وأعمال الربى، وبناء الشرايين العاملة مع نفسها وإلى الحصول على تعهدات مختلفة وغير ذلك من الاختلاسات الصغيرة المماثلة».

يستحق الأمر التوقف مع كل التفاصيل عند هذا المكان:

إننا نرى هنا

أولاً: تثبيت وذكر الوقائع المعروفة التي يمكن التعبير عنها بكلمتين: الفلاحون ينزحون.

ثانياً: تقييمهم (السلبي)

وثالثاً: شرحها الذي ينبغ منه بصورة مباشرة برنامج كامل، وهنا غير معروض، لكنه معروف بشكل جيد (زيادة الأراضي، التقليل من الأتاواة، «رفع سوية المهن وتطويرها»).

من الضرورة بمكان التأكيد بأنه من وجهة نظر علمي بالشكل التام وبعدالة أكيدة (التعبير فقط، كما سنرى الآن الاستياء بدون حدود) الأول والثاني، لكن الثالث لا يصلح لأي مكان...».

إن شرح وتوضيح وتقييم أحداث الواقع موجودة في أعماق النص الصحفي (يمكن أن تكون حقيقية أو كاذبة، متجلية بصورة جيدة أو سيئة). وهذه التوضيحات والتقييمات تخدم في سبيل بروز برنامج واقع القارئ مستقبلاً.

بهذا الشكل تُعد الفكرة العاملة الضرورية اجتماعياً لفعل ناجح يقوم به القارئ في الظروف الواقعية في إطار الممارسة الإجتماعية، تُعد هذه الفكرة محوراً منطقياً للإنتاج الصحفي. إن ضرورة التأكيد بأن فكرة الإنتاج الصحفي، إنما هي فكرة عاملة أي أنها بصورة مباشرة تتناسب مع النشاط العملي المستقبلي للقارئ وتسعى لتغدو برنامجاً لهذا النشاط. ترتبط في ذلك الخصائص المنطقية الفنية بالمضمون للفكرة وإختيار العناصر المعبرة عنها.

أولاً: الإنتاج الصحفي يجب أن يحمل وظيفة افتراض الهدف، وهنا كعنصر للفكرة العاملة لا يتقدم الهدف الخاص للصحفي، بل الهدف الذي يضعه الصحفي أمام القارئ والذي يستطيع ويجب أن يحققه القارئ كي يعالج بنجاح المشكلة الواقعية للحياة الإجتماعية.

ثانياً: الإنتاج الصحفي يجب أن يحتوي على إشارة إلى الوسائل التي بفضلها يستطيع القارئ إنجاز الهدف الذي وضعه الصحفي.

ثالثاً: الإنتاج الصحفي يجب أن يمتلك توجهاً مباشراً إلى أولئك القراء الملزمين والقادرين بجهود خاصة على تنفيذ الوسائل المقترحة وضمان إنجاز الهدف الضروري اجتماعياً.

رابعاً: الإنتاج الصحفي يجب أن يتوجه أيضاً إلى القوى الإجتماعية بما في ذلك إلى القوى القيمة والمعيارية التي من شأنها أن تخدم بمثابة ضمانات إجتماعية لتحقيق الفكرة ا لعاملة المقترحة.

وبحكم الأسباب التي عددناها فإن الفكرة العاملة للإنتاج الصحفي تنتصب كمجموعة محددة منطقياً من العناصر وذات نوع خاص: الهدف - الوسائل - المرسَل إليه - المؤدي - الضمانات. إنها تبرز كتصميم (إنشاء) منطقي استنتاجي (ذهنية - عقلية)، والذي يشمل مجمل الإنتاج ويتضمن برنامجاً واقعياً لمعالجة الحالة الإشكالية الموصوفة في النص ويضمن الكمال الأيديولوجي للمطبوعة.

إن طرح مثل هذه الفكرة العاملة التي إذ تجذب المقاصد الأساسية للأيديولوجية وتجربة وثقافة الجمهور بغية معالجة مشكلة محددة، ترفع قيمة نتائج الأفعال الواقعية لجمهور القراء، أي تساعد «في الاختبار الواعي لوسائل وطرق وأساليب النضال القادرة مع أقل قدرة ثم القوة والجهد على إعطاء نتائج أكثر متانة»[1] وتُعد معيار الحرفية وفن الصحفي.

حماسة القناعة - روح العلم الأدبي الإجتماعي. تتحدد خصوصية تأليف النص الصحفي قبل كل شيء بضرورة البرهنة على حيوية الفكرة العاملة المطروحة وقدرتها على تقديم ثمارها. وهذا بشكل جوهري يُفيد مضمون كل مفهوم من مفاهيم العلوم الأدبية والفن الأدبي المستخدمة والغنية المضمون عادة في نظرية الصحافة: «الوضع» - «الحبكة» - «تطوير الفعل» - «الذروة» - «الخاتمة».

يتدرج تحت عنوان العمليات الرئيسية في تكوين النص في إطار الإبداع الصحفي: تفهم وإدراك المشكلة الواقعية في الحياة الإجتماعية (مادة المطبوعة) وطرح المشكلة الواقعية لمعالجة الحالة الإشكالية المحددة المعنية (الفكرة العاملة).

ولذلك فإن النقطة التأليفية الأساسية في الإنتاج الصحفي هي:

1- إقحام في المشكلة (كمعادل للعرض).

2- وضع المشكلة القاضي بمقارنة وعلى أقل تعديل بين وجهتي نظر متعارضتين بخصوص الحدث الموصوف - اصطدم «المقولة» واللامقولة «كمعادل للحبكة».

3- الأدلة والشواهد التي تبرهن على صحة «المقولة» وتدحض اللامقولة (كمعادل «التطوير الفعلي»).

4- الوضع العملي للسؤال، التوصية، «التركيب» من نوع خاص، المشتق من مقارنة «المقولة» و«اللامعقولة» «كمعادل للذروة».

5- التقييم المعمم «المُوجِّه الاستعاري» الذي يعطي القدرة على الإستخدام الواسع للفكرة العاملة لإدراك وتقييم الحالات الإشكالية المماثلة الأخرى التي تبرز في الحياة الإجتماعية الواقعية (كمعادل «للخاتمة»).

فعلى حرفية الصحفي في هذه الحالة تدل حدة طرح ووضع المشكلة واستقلالية الأدلة وأصالة وفعالية التوصيات ووضوح «الموجه الاستعاري» وتوجهه الاستقلالي.

الإنتاج الصحفي - تكوين كامل داخلي انتظامي، حيث تستوعب فيه الوسائل التعبيرية ليس بحد ذاتها بل في التفاعل المتبادل وفي التأثير المتبادل الذي يكتسب هدفية عملية وسعياً أيديولوجياً هادفاً، تحت تأثير منظم للفكرة العاملة. مثل التفاعل المتبادل الانتظامي الداخلي متنوع الأنماط للوسائل الصحفية التعبيرية الخصوصية يقود إلى نشوء احتمالات وأشكال إضافية أخرى لمعنى التصورات الإضافية في النص ومعلومات إضافية التي لا يستطيع القارئ الحصول عليها بأي طريق آخر، ما يكتسب أهمية جوهرية. الإبداع الصحفي يتطور على خلفية الرأي العام الإجتماعي، حيث يمتلك مضمونه بنية استعارية. وبفضل التعبيرية الإضافية التي يولدها التفاعل المتبادل الانتظامي للوسائل التعبيرية الطبيعية يكتسب النص الصحفي القدرة، وبصورة عضوية، الدخول في نظام (بناء) صور الخلق والإبداع الجماهيري والتفاعل المتبادل الفعال معها وتكوينها في الاتجاه المطلوب.

إن الوسائل التعبيرية في الصحافة تحت تأثير الفكرة العاملة، الهادف والموجه منطقياً قادرة على التكامل في الصورة الصحفية لاسيما والتي تبرز بمثابة إجمالي كامل تكون في سياق الممارسة التاريخية الإجتماعية، والمثبت بالوعي الإجتماعي في بعض الأشكال، أي إجمالي التصورات الحساسة الملموسة الذي يُعبر عن التقييم الإجتماعي واستقراء وحل بعض أنواع الحالات الإشكالية في الحياة الإجتماعية. فبالنسبة لهذه الظاهرة الفريدة في الإبداع الصحفي، فإنها تتميز بالتكامل بفضل انتقال المعنى إلى تصور واحد وكامل للظاهرة الواقعية (الواقعة) ولسابقة في الممارسة الإجتماعية التاريخية الماضية مُثبتة في الثقافة كصورة للفن وحادثة تاريخية ورأي تقليدي وغيره الذي بفضله تولد وحدة معنوية جديدة تتناسب مع المثل الإجتماعية للجهود والتي تفعلت بفعل حاجات ومتطلبات الممارسة الإجتماعية الواقعية.

إن ظهور مثل هذه الصورة الصحفية التي تثبتت بالوعي الإجتماعي كنموذج اجتماعي للسلوك ولمعايير التقييم والتي من شأنها أن تدخل في ثقافة المجتمع، يتحدث عن مستوى رفيع لحرفية الصحفي.

بنشوء الصورة الصحفية يتعاظم التأثير المتبادل للوسائل التعبيرية الطبيعية في الصحافة تحت تأثير موجه للفكرة العاملة ويُطرح المؤلِّف - الإنتاج - الصحفي كوحدة كاملة انتظامية أصلية - نص النموذج الصحفي الخصوصي. وهذه ناحية حدودية من نوع خاص ترسم العوامل النصوصية لفعالية التأثير الإعلامي الدعائي. بعده يبدأ فعل القوانين الأكثر عمومية، والتي تجر إلى مدارها الوسائل التعبيرية ذات الطبيعة الخاصة.

الفصل الثامن

اعتبار عوامل الفاعلية في دراسة الموضوع

(حول خصوصية المادة في موضوع حزبي)



اعتبار عوامل الفاعلية في دراسة الموضوع
(حول خصوصية المادة في موضوع حزبي)

إن عمل كل صحفي، اختار لنفسه تخصصاً موضوعياً، يبدأ من فهم مكان القسم المعني والموضوع المعني في بنية المطبوعة ومن تحديد المهمات في التغطية الأكثر فاعلية للمشكلات المعالجة. هنا لا يجوز نسيان أن فعالية الصحافة لا ترتبط بجانب واحد معين من جوانب عمل الصحفي، بل بمجموعة كاملة من العوامل المؤثرة على نتيجة العمل الصحفي.

تبدو مثمرة مقاربة حل المشكلة المطروحة، هذه المقاربة التي تعتمد على تحليل القوانين الأساسية لأداء وتطور الصحافة في المجتمع، وتأخذ بالحسبان عوامل الحركة الأمثل للمعلومة الإجتماعية في هذا السياق. فالحركة هي - ما يتحقق في الحلقة لولبية الشكل: من الحاجات الإجتماعية إلى المعلومات التي تضمن أداءً طبيعياً للمجتمع عبر الأجهزة الحزبية والإجتماعية الأخرى التي تقود الصحافة نحو الفريق الصحفي القادر على تنفيذ هذه المهمات طبقاً وبما يخدم مصالح الجمهور، وبالتالي عن طريقه إلى الجمهور الذي يعد حاملاً ليس فقط للمصالح المعلوماتية الإعلامية، بل للحاجات الإجتماعية، ولذلك يؤثر جوهرياً على مجمل نشاط الصحفيين.

إن فعالية النشاط الصحفي (بالمعنى العريض) يمكن أن تحدد كدرجة تلبية احتياجات المجتمع، إلى المعلومة الإجتماعية الضرورية لأدائه المثالي، ومن أجل تربية متعددة الجوانب ومنسجمة للشخصية الإجتماعية النشطة المتكونة فكرياً. فاعلية الصحافة - هي علاقة نتائج الأعمال الصحفية (المتجلية في تبديل وعي وسلوك الجمهور وفعاليات المؤسسات الإجتماعية) تجاه وظائف وأهداف الصحفيين وتجاه البرامج الموضوعة أمامهم من قبل المجتمع والدولة طبعاً، وحسب

المتطلبات الملحة إلى المعلومة الإجتماعية. غير أن هذا المفهوم العام والواسع بحدوده القصوى للفعالية، يفترض تأثيرات مختلفة الأنواع والنماذج والمستويات وغيره.

طبقاً لموضوع الحياة الحزبية ينبغي تفسير الفاعلية في الجريدة كدرجة تلبية احتياجات المجتمع (للمنطقة المعنية) وفي الإعلام الذي يؤمن تحفيز نشاط وفعاليات المنظمات الحزبية في مجال قيادة كافة مجالات حياة المجتمع المدني واستكمال العمل الحزبي الداخلي. وبكلام آخر إنها علاقة النتائج والتغييرات في وعي وسلوك الجمهور التي حصلت تحت تأثير الصحيفة تجاه الآثار المخطط لها، وتجاه الأهداف التي وضعت أمام الصحفيين.

نحن لم نضع هدفاً لبحث الآثار المتعددة المختلفة لإدراك المواد في موضوع حزبي بكوننا ندرس فقط العوامل الأساسية للفاعلية التي ولدتها عملية أداء الصحافة في المجتمع. لكن ينبغي التحدث عن بعض الجوانب المهمة للمشكلة.

إنها مرتبطة بعناصر مختلفة لموضوع التأثير. معروف أن الجمهور - ظاهرة فريدة معقدة جداً، ويدخل فيها شخصيات ومجموعات معنية (فرق، منظمات، دوائر) وغير ذلك. يوجد في وعي الجمهور عناصر الوعي غير المتخصص والمبتذل ويوجد عناصر الوعي المتخصص المهني أي المعرفة والمعيار والقيمة التي يستخدمها الإنسان كمؤدي لدورة المهني وواجباته الملقاة على عاتقه.

إن فاعلية نشاطات الجريدة تتوقف بدرجة حاسمة على تلبية المصالح متعددة الأنماط وآمال الجمهور «الإجتماعية الوظيفية».

تتجلى العوامل المؤثرة على فاعلية أداء الصحافة في المجتمع فيما يلي:

1- في احتياجات المجتمع (لمنطقة معينة، لمجال النشاط) إلى المعلومة الإجتماعية التي تُعد ضرورية لأداء أمثل في تطور المجتمع.

2- برامج وتوجيهات وإرشادات الهيئات الحزبية القيادية وغيرها للتجمعات الصحفية، والتي تشكلت مع الأخذ بالحسبان هذه الاحتياجات الإجتماعية، وكل المؤسسة القيادية والمشرفة على نشاطات الهيئات الحزبية والإجتماعية وغيرها، في مجال تحسين وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية.

3- مصالح وآمال ودوافع الجمهور وخصائص إدراكه.

4- مستوى فعاليات الصحافة الذي يُؤمن نوعية عالية المستوى للعمل، من أجل تلبية احتياجات الجمهوري من المعلومات الإجتماعية.

يبدو أن نشاط الصحفي لا يمكن أن يكون فعالاً إذا كان لا يعرف ولا يأخذ بالحسبان هذه العوامل الأساسية وإذا كان لا يمتلك أسرار مهنته، أي لا يعرف وظائف ومبادئ ومضمون وطرق العمل الصحفي، وإذا كان لا يدرك خصوصية مطبوعته.

العوامل الأساسية المؤثرة على فاعلية الصحافة تقسم إلى عوامل موضوعية وذاتية. تتضمن العوامل الموضوعية (الشروط الموضوعية): حالة المجتمع واحتياجاته، حالة الجمهور ومصالحه، الظروف الاقتصادية الإجتماعية الحقيقية التي يحصل في ظلها نشاط أجهزة الإعلام الجماهيري والدعاية، الظروف التي يعمل فيها الصحفيون (تأمين الكوادر، وتجهيز المطبعة تقنياً، وهيئات التحرير، والمراكز التلفزيونية ومحطات الإذاعة وتأمين الأماكن ووسائل الاتصال والنقل وغيرها. تتضمن العوامل الذاتية ما يلي:

- إجمالي المعارف والمهارات والخصائص والصفات النوعية الضرورية للعاملين القياديين من أجل إدارة فعالة للصحافة.
- المعارف والمهارات والصفات النوعية الضرورية للصحفي من أجل أداءٍ ناجح لدوره المهني.

- يبدو أن الفاعلية النهائية سوف تكون: كلما كانت أعلى، كلما كانت مثمرة أكثر المراحل البيئية للعمل. ولذلك يمكن الحديث عن رفع الفاعلية في الحالات التالية:
- عندما تكون الصفات النوعية والمعارف التي يمتلكها الصحفيون متطابقة للنموذج المعياري.
- عندما تكون أهداف عملهم تمليها الحاجيات الإجتماعية.
- عندما تكون وسائل العمل مختارة بشكل يتماثل مع أهداف وموضوعات التأثير وتحقق النتائج المرجوة.

تؤثر جميع مواصفات السلوك الجماهيري على الفاعلية النهائية بصورة جوهرية: إختيار مصدر المعلومات، التوجه إلى عناوين أو مواد معينة، درجة الانتظام في هذا التوجه، فهم وتقييم المادة، القبول أو عدم القبول، الموافقة أو عدم الموافقة.

وكما بيّنت بقناعة دراسات وأبحاث السنوات الأخيرة فإن بعض التأثيرات البيئية للإدراك يمكن أن تكون مجمدة. بديهي أن مثل هذه المعلومة - عون رفيع القيمة من أجل تصحيح نشاط الصحفي وتحسين تطبيق العلاقات المتبادلة مع الجمهور.

هذه الأوضاع حول العوامل الأساسية للفاعلية تُعد مهمة بدرجة متساوية عند تغطية أي موضوع. لكن بالنسبة لبعض المجالات، وتحديداً بالنسبة لتغطية الحياة الحزبية، فإن الضرورة تقضي بجعلها ملموسة.

لنحاول الآن الكشف عن المضمون الأساسي للعوامل المذكورة أعلاه للفاعلية من خلال دراسة الوثائق التوجيهية والأوامر المتعلقة بالحياة الحزبية والأبحاث ومصالح القرار تجاه هذه المشكلة وتحليل مواد صحيفة «البعث» تحت عنوان «الحياة الحزبية».

تُعدُّ معرفة احتياجات المجتمع في المنطقة المعينة أو في المؤسسة إلى المعلومات التي تُؤمن نشاطاً مثالياً للمؤسسات الحزبية أي استيعاب أكثر المشكلات الملحة والمهمة في الحياة الحزبية، تُعد من أهم عوامل فاعلية تغطية الحياة الحزبية.

إن دراسة هذه الاحتياجات وصياغتها في مشكلات - تُعدُّ عملاً بحثياً غير سهل بالنسبة للصحفي. فمن أجل ذلك يجب عليه أن يمتلك تحليلاً سياسياً اجتماعياً للظواهر الإجتماعية وأن يفهم جيداً في قوانين وإتجاهات تطور المجتمع ومعرفة بنية ووظيفة ومضمون وأشكال عمل المؤسسات الحزبية من مختلف المستويات وغير ذلك. يمكن ذكر بعض المصادر الأساسية للمعلومات في ميدان الحياة الحزبية:

- الوثائق الحزبية التأسيسية حول العمل الحزبي وقطاعات الحياة الحزبية.
- أعمال كلاسيكي الفكر القومي-الاشتراكي وأعمال رجالات الحزب البارزين.
- مواد الجلسات الموسعة الجارية والاجتماعات والمؤتمرات وغيرها.
- الأدبيات الخاصة المتعلقة بالعمل الحزبي (حول التاريخ والنظرية والممارسة).
- مواد الصحف والتلفزة والمذياع حول الحياة الحزبية.
- المقابلة والحديث مع العاملين الحزبيين القياديين ومع العلماء والمختصين.
- معطيات الأبحاث الإجتماعية المحددة في مجال الحياة الحزبية وغيرها.
- دراسة غير مباشرة لنشاط المؤسسات الحزبية وبعض البعثتين منفردين (مراقبة عملهم وتحليل الوثائق والخطط والمحاضر والرسائل وغيرها، والأحاديث مع الناس... وما شابه ذلك).

المسائل المهمة في العمل الأيديولوجي التي وضعها الحزب في فترات مختلفة من تطور مجتمعنا انعكست في مراسيم وقرارات محددة وملموسة حول قطاعات الحياة الحزبية في الصحافة. إذا ما حللنا في دقة هذه الوثائق، فإنه يُكتشف نظام قويم من المتطلبات بخصوص مسائل قطاعات الحياة الحزبية ومضمون وموضوع وطبيعة المعلومة وأشكال الاتصال مع المجموعات المختلفة من القراء، أي في مجموعة كاملة من مشكلات التغطية الفعالة للحياة الحزبية. هنا لا توجد إمكانات الوصف المفصل لهذه المتطلبات، لكن حتى العرض السريع للوثائق يُبين إلى أي مدى يمكن أن يكون التوجه إليها مثمراً.

ففي فترة إحداث القطاعات الحزبية في الصحف كانت الوثائق الحزبية تولي الكثير من الإهتمام لبنية ومهمات هذه القطاعات. لكن البرنامج الأكثر كمالاً قُدِّم في قرار خاص للقيادة القطرية«حول وضع قطاعات الحياة الحزبية في الصحف» الذي يفيد بأن مهمات هذه القطاعات (الأقسام) يجب أن تقود بصورة أساسية إلى:

أ- إلى توضيح قرارات الهيئات الحزبية ومهمات المنظمات الحزبية الدنيا حول مسائل البناء الحزبي.

ب-إلى تغطية إعلامية لعمل وإجراءات الأجهزة الحزبية.

ج- إلى إختيار وتغطية التنفيذ العملي للتوجيهات الحزبية عن طريق إستخدام الرسائل والمواد التي يبعث بها المراسلون الخاصون والاستطلاعات والاستمارات وكذلك عن طريق نشر مواد الأجهزة الحزبية والمقالات.

د- إلى تغطية حالة ونشاط المنظمات الحزبية الدنيا.

هـ - إلى اكتشاف أشكال وطرق جديدة من العمل الحزبي أكان ذلك داخل الحزب أم في ا لأوساط الجماهيرية.

و- إلى تغطية حياة اتحاد شبيبة الثورة وقيادة منظماته من جانب الأجهزة الحزبية.

هذه المهمات العامة وإتجاهات العمل تجسدت مادياً في الوثائق الحزبية بخصوص المنشورات والمطبوعات مختلفة المستوى: الجهاز المركزي صحيفة «البعث»، الصحف الأخرى، الصحف في المحافظات والمناطق، وكذلك الصحف في المؤسسات.

إن الاختلافات في برامج المطبوعات مختلفة المستوى تتناول بصورة أساسية بعداً متنوعاً للأحداث المغطاة ولمستوى المنظمات الحزبية التي تصبح مواد وصف وتأثير لجمهور المطبوعات.

وبشكل عام فإن تحليل المتطلبات الحزبية تجاه مهمات قطاعات الحياة الحزبية على امتداد عدة عقود يُبين بأنها من عام إلى عام تتعقد وتتطور نظراً لتكشف واشتداد العمليات الإجتماعية وكذلك نظراً لتحسن قيادة المجتمع على أساس المقاربة الشاملة الانتظامية والعلمية العميقة لإدارة جميع مجالات نشاطها الحياتي.

القانوني في هذا المجال أن طيف المشكلات تتوسع باستمرار والتي جرى الحديث عنها في الوثائق الحزبية: التعليم السياسي للأعضاء الجدد في الحزب، زجهم في العمل العملي وفي مسائل الحياة الحزبية الداخلية في المؤسسات وعرض عمل المنظمات الحزبية القاعدية والشبيبة وتجربة العمل التنظيمي والسياسي بين الجماهير ومشكلات الملاحظة (المراقبة) الصارمة من قبل البعثيين للمتطلبات ولعملهم الطليعي في مواقع الإنتاج وفي الحياة الإجتماعية ورفع المستوى الفكري لبعثيين وإدارة نشاط أجهزة المرافق ومسائل العمل الأيديولوجي للحزب والدولة بين الجماهير وغيره.

إن الاتجاه الرامي إلى تعميق وتوسيع إشكاليات قطاعات الحياة الحزبية وجد تجسيده الواضح والدقيق في قرارات القيادة القطرية بوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية» (1977)، تقول القرارات بأن اللجان الحزبية يجب أن تؤمّن «تغطية عميقة بوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية للدور القيادي للحزب ولسياسته الداخلية

والخارجية وخبرة القيادة الحزبية بتطوير الاقتصاد والثقافة وبالتربية السياسية للجماهير والقيام بالدعاية الواضحة والمقنعة للطبيعة الديمقراطية في البناء الإجتماعي والإنسانية الحقيقية للمجتمع العربي السوري الحديث». بين نقاط ضعف تغطية الحياة الحزبية أشير إلى أن «قليل من المواد تطبع حول حياة المجموعات الحزبية وعمل المنظمات الحزبية في المؤسسات التعليمية العليا وفي إدارات البحث العلمي والفرق الإبداعية وجهاز الإدارة ومؤسسات التجارة والخدمات العامة» ولذلك من الضروري توسيع تغطية اعمال المنظمات الحزبية في المجالات غير الإنتاجية: العلم والتعليم والفنون وميادين الخدمات وغيرها.

تُعدُّ مشكلة الحساب الدقيق لمعرفة الجمهور وتفاضل المطبوعات المختلفة نظراً لطبيعة الجمهور واحدة من أهم مشكلات الفاعلية. فقد كانت الوثائق الحزبية تؤكد بأن قطاعات الحياة الحزبية في الصحف السياسية الإجتماعية يجب أن تأخذ بالحسبان دائرة واسعة من أعضاء الحزب في القرار المتعلق «بوضع قطاعات الحياة الحزبية في الصحف» جاء بأن القطاعات يجب أن تسعى نحو شمولية جميع ظواهر وأشكال الحياة الحزبية كافة لخدمة أعضاء الحزب كافة وليس فقط العاملين في المؤسسات الحزبية.

ينبغي على الهيئة المركزية لحزب «البعث» أن تتوجه نحو شريحتين من القراء: نحو العاملين في المؤسسات الحزبية وإلى الشرائح الحزبية الأوسع وتحديداً إلى الجهاز الحزبي القاعدي. وبهذا الصدد جرى الحديث عن نوعين من المهمات: «آ- من أجل المنظمات الحزبية القاعدية وبشكل رئيسي من أجل الخلايا، إعطاء إرشادات عملية حول إجراء توجيهات الحزب القيادية، ب - تقديم مادة بهدف إختيار صحة المضمون وتنفيذ الإرشادات والتوجيهات واكتشاف مسائل جديدة تحتاج إلى إهتمام وانتباه وتوجيهات وأوامر إضافية أو جديدة، تقديم كل ذلك للأجهزة القيادية».

بعد تحديد توجه قطاع الحياة الحزبية «للبعث» نحو نشطاء الحزب في القيادة والقواعد، فإن القرار يولي الإهتمام إلى أن «تغطية مسائل الحياة الحزبية يجب أن تمارس على أساس زج الجماهير الحزبية العريضة في مناقشتها».

لكن إذا كان على الصحف السياسية العامة ولاسيما الصحف الجماهيرية أن تتوجه إلى الجماهير الحزبية الواسعة فإن المجلات الحزبية مخصصة بصورة أساسية إلى جمهور محدد.

جاء في وثائق السنوات الأخيرة ما يؤكد على أهمية تلك الصفات في الدعاية المطبوعة كفكرة رفيعة المستوى وتطابق مع الواقع وشعبية ومبدئية ومصداقية وعملياتية وعمق وتحليل واتساع وتسلسل وشمولية وعلمية وتحديد وعمل وبرهسان وإدراك والصفات البناءة والعملية والهجومية والاستحقاقات الأدبية الرفيعة.

العوامل أكثر دلالة بالنسبة للعمل الصحفي عالي التأهيل: تأمين مستوى علمي رفيع للدعاية والإعلام، تقوية العملياتية والتحديد المادي للدعاية والإعلام وعلاقاتها بالحياة وبمعالجة المهمات الاقتصادية والسياسية وتطوير الطامع الهجومي للدعاية والإعلام. نجد في الوثائق الحزبية منظومة احتياطية من المتطلبات تجاه مؤسسات الصحافة وتجاه العاملين في قطاعات الحياة الحزبية المدعومين إلى اعتبار مصالح الجمهور واحتياجاته وبنية وظروفه وخصائص النشاط والمصالح الإجتماعية ومصالح القراء والعلاقة بالجريدة والخصائص النفسية وفهم النصوص الصحفية بشكل عام والمواد المكتوبة في الموضوعات الحزبية تحديداً غير ذلك.

إن تحليل مصالح القراء يُبين بأن القارئ الجماهيري يهتم قبل كل شيء بالمشكلات الدولية ومسائل التربية والأخلاق والعادات الحياتية وبقضايا الإنتاج والمهنة (زراعة، حرائق، بالنسبة للسكان القاطنين في الأرياف، الحياة العمالية بالنسبة لساكني المدن)، أي يهتم بموضوعات ترتبط بصورة مباشرة بالحياة العامة

اليومية وبحياة الفرد. لكن لا يجوز عدم الملاحظة بأن القارئ المعاصر عموماً يهتم بنشاط بمشكلات الحياة الحزبية. فإذا كان 01-52٪ من القراء حسب معطيات دراسات العشرينات يتوجهون إلى مواد حول الحياة الحزبية، فإن هذه المؤشرات حسب معطيات الدراسات الحديثة أصبحت أعلى بكثير.

لنقل، بين قراء «البعث» في «درعا» يقرأ 33٪ مواد الحياة الحزبية بالكامل وأن أكثر من النصف يقرؤونها جزئياً. 43٪ من القراء في محافظة دمشق يقرؤون الجريدة تقريباً جميع موادها إن لم يكن كلها والمتعلقة بالموضوعات الحزبية وحول حياة الشباب المهنية.

ما يتعلق بصحيفة «العبث» لسان حال اللجنة المركزية للحزب فإن إهتمام ما يزيد عن 90٪ من البعثيين من قرائها في البلاد يتوجهون لحو الحياة الحزبية ما يعادل 70٪ وهذه نسبة عالية. والأكثر انتشاراً وقراءة كانت المواد المتعلقة بالوضع الدولي فقط (90٪) والموضوعات الأخلاقية (80٪). كل هذا الإهتمام بالموضوعات الحزبية يعلل ايضاً بالمستوى الرفيع لتغطيتها في «البعث» وبالنسبة العالية من البعثيين والناس المشغولين بالعمل الإجتماعي النشط بين قرائها. إن نصف القراء بما في ذلك 70٪ من القراء - بعثييون، يجدون في الجريدة معلومات مفيدة من أجل عملهم الإجتماعي.

المشكلة الرئيسية المرتبطة بتغطية الموضوع الحزبي في الجريدة تتلخص في أنه ليس فقط تحليل الإهتمام الإحصائي المتوسط نحو هذه الإشكالية، بل ودراسة شعبية هذا الموضوع التي يحظى بها بصورة خاصة لدى مجموعات وشرائح معينة من القراء وقبل كل شيء لدى البعثيين باعتبار أنها مخصصة قبل كل شيء لهم.

مثال: حسب معطيات دراسات القراء في الريف، عدَّ 28٪ أن من الضروري الإهتمام أكثر بعمل أجهزة الحزب والدولة بصورة إجمالية.

وبعض الشرائح أبدو تجاه هذا الموضوع إهتماماً أكثر: 59٪ من البعثيين، -59- من قيادات الحلقة الوسطى - 48٪ من قيادة الحلقة الدنيا والنصف - من القراء الذين حصلوا على التأهيل العالي و36٪ - من العاملين في المجال الإجتماعي عند دراسة إهتمامات القراء في الريف تبيّن أن العاملين القياديين أكثر نشاطاً يهتمون بمواد حياة الحزب والشبيبة (50٪ من الرجال و38٪ من النساء)، أكثر من الشرائح الأخرى.

إن المعطيات المثيرة للإهتمام حول توزع الإهتمام بالحياة الحزبية حسب الشرائح تقدمها دراسة قرار صحيفة المنطقة وأصحاب الرسائل الموجهة إلى الصحف في لمناطق، هذه الدراسة التي أجريت 1999 من قبل لجنة طلاب قسم الاعلام بإشراف د.عطالله الرمحين نبيّن أن أكثر القراء نشاطاً لمواد الحياة الحزبية في الصحيفة كان القراء الذين يهتمون بافتتاحيات الصحيفة ونسبتهم - 59٪، بينهم 82٪ من أعضاء الحزب، 80٪ - من العاملين في أجهزة المؤسسات والصناعية و الزراعية وفي المنظمات الحزبية والإجتماعية والشعبية.

وبالتوازي مع الموضوعات الحزبية حصلت على النسب ذاتها موضوعات تتعلق بمسائل الحياة الإجتماعية، تحسين الوضع المعاشي والتجارة. بالمقارنة مع «القارئ المتوسط» للصحيفة المنطقية، فإن هذه الشريحة تبدي إهتماماً أنشط بمواد المسابقات والمباريات وبصحف الرقابة الشعبية وتقارير ومعلومات متعلقة بمختلف أنواع المؤتمرات الاجتماعات وإلى مقالات الدعاية والمقالات الافتتاحية ومواد عمل المجالس المحلية أي بالمواد التي تُعدُّ ضرورية للشريحة المذكورة نظراً لنشاطها المهني الأساسي أو الإجتماعي. ليس من العبث أن يجيب 64٪ من قراء هذه الشريحة على سؤال: «لماذا تشتركون في صحيفة المنطقة» بأن الجريدة تقدم المساعدة في العمل الأساسي وأن 58٪ أعلنوا أنها تساعدهم في العمل الإجتماعي.

إن إهتمام الشعراء بمواد موضوعات الحياة الحزبية يتميز بعلائم محددة.

1- المواد المكتوبة في موضوعات الحياة الحزبية موجهة عموماً للبعثيين فهي تُقرأ من قبلهم بنشاط وتشغل من إهتماماتهم أحد أهم المواقع، مثل هذا التوجه لقطاعات الحياة الحزبية وخصوصية هذه الإشكالية تقود إلى أن التوزع الإحصائي المتوسط يشغل إهتمام قراء الصحف الجماهيرية تجاه مختلف الموضوعات وهنا تتنازل الحياة الحزبية عن المواقع الأولى للموضوعات المخصصة لأوسع أوساط الشعراء (الحياة الدولية، مشكلات الأخلاق، والحياة الإجتماعية، والاقتصاد الزراعي والصناعة).

2- الإهتمام الأكبر بالمقارنة مع الشرائح الأخرى تُثيره المواد التي تطرح تحت عنوان «عند العاملين القياديين» ولاسيما عند العاملين في اللجان الحزبية.

3- القراء النشطاء في قسم الحياة الحزبية - هم الأفراد العاملين في مجال الفعاليات الإجتماعية.

4- القراء الذين حصلوا على مستوى عالٍ من التعليم والمختصين الحاملين شهادات الدبلوم يقرؤون مواد الحياة الحزبية أكثر من أولئك الذين حصلوا على مستوى أدنى من التعليم.

5- الأفراد في سن النضوج - الأكثر تمسكاً بعنوان «الحياة الحزبية» من القراء الشباب.

6- أخيراً، وبكل وضوح يبدي الرجال أكثر من النساء إهتماماً أكبر لهذا العنوان.

واضح هنا أن البعض من العلائم المذكورة ترتبط بصورة وثيقة وتتبع لبعضها بعضاً (مثال عضوية الحزب والعمل الإجتماعي وغيرها) فالمعيار المهم لفاعلية مطبوعات القطاع الحزبي يتجلى في تقييم المواد من قبل القراء. إن اثنتين من الدراسات لجمهور «البعث» التي أجريت بفاصل 10 سنوات بينهما

بيّنت الرضى العالي الكافي والقبول بمواد هذا القطاع. فالتقييم العالي لعمل القطاع كان تحديداً بفعل الرغبات الكثيرة للقراء، التي أُبديت في زمن الدراسة 1995-1996. مثلا: كان يُقترح عادة طبع مواد حول الأخلاق الحزبية والأخلاق القومية والمعايير العلمية في الحياة الحزبية وحل عمل المنظمات الحزبية القاعدية وممارسة النقاشات بصورة متكررة في موضوعات حزبية. معروف أن صحيفة «البعث» كان تولي كل هذه المشكلات في السنوات الأخيرة إهتماماً كبيراً.

لكن، عند تحليل معطيات الكثير من الدراسات والأبحاث لا يجوز إغفال ملاحظة أنه بصرف النظر عن الشعبية الكبيرة إلى حد معين للموضوعات الحزبية عند شرائح محددة من القراء، فإن الإهتمام عموماً يسبق «ما يُقرأ» من المواد أي أن نسبة المهتمين بقضايا الحياة الحزبية أعلى من نسبة القراء الذين يفهمون باستمرار، ويستوعبون هذه،المواد، والذين يرضون عن نوعيتها. يدل ذلك على أنه لدى الصحفيين الذين يكتبون في موضوعات حزبية يومية أيضاً احتياطي كبير من أجل تحسين ورفع فاعلية هذا العمل وتحديداً في مجال عد متطلبات القراء تجاه طبيعة المواد التي تنشر في الصحف.

تسمح نتائج الكثير من دراسات الجمهور بالتأكيد بأنه من أجل تحقيق فاعلية أعلى من وجهة نظر الإدراك لدى الشعراء فإن من الضرورة وجود صفات تتوفر في المواد تكون مهمة بالنسبة للجهود ومن هذه الصفات والخصائص - الجديد - المصداقية - الصلاحية - التحديد الملموس - الإقناع - الإشكالية - قابلية المناقشة- الموضوعية البنائية - الانفعال والاستعارية.

لكن المتطلبات الشاملة ذات الدلالة العامة تجاه مواد الصحيفة تتبدل من حيث الشكل نظراً للملامح الخاصة لبعض شرائح القراء، ونظراً لظروف حياتهم وعملهم وخبرتهم الماضية وأنظمتهم الوظيفية، وتوصيفاتهم المهنية

وغير ذلك. جميع هذه الخصائص لابد من عدّها من جانب الصحفي الذي يوجه المادة لشريحة محددة من القراء.

الشرائح الأساسية لقراء القطاع هم: العاملون في اللجان الحزبية من جميع المستويات (القياديون والعاملون العاديون)، الجهاز الحزبي القاعدين أي أمناء سر المنظمات الحزبية القاعدية، المنظمات الحزبية، أعضاء المكاتب الحزبية وغيرهم، الجماهير الواسعة من البعثيين العاديين، غير أن الموضوع الحزبي لا يعدُّ ويجب ألا يكون حكراً فقط على أعضاء الحزب. يقرؤونه ويجب أن يقرأه أيضاً غير الحزبيين.

إن أي مطبوعة لها مصلحة في أن بعض المشكلات وتحديداً في القيادة الحزبية يجب أن تُقرأ وتناقش من قبل جماهير واسعة من القراء. من الأهمية بمكان أن يكون قراء عنوان «الحياة الحزبية» من أولئك الذين يشغلون وظائف مرتبطة بالعمل التربوي في المجموعة؟ غير الحزبيين، العاملون، العاملون من المهندسين والفنيين وغيرهم، بهذا الشكل يمكن التحدث عن شريحة رابعة من قراء هذا القطاع - الجماهير غير الحزبية بعد إبراء القراء المرتبطين بعملية تربية المواطن العربي.

إن قطاع الحياة الحزبية في صحفية «البعث» إذ يرعى دائماً رفع فاعلية المواضيع المطروحة يخصص في عمله يولي إهتمامً كبيراً لتفاضل المواد وإعداد العناوين والمواضيع المخصصة لأوساط معينة من القراء.

مثال: عناوين «أسلوب عمل اللجنة»، «القضية التي تخدمها»، مخصصة بصورة أساسية للعاملين الحزبيين. عناوين «ماذا تستطيع المنظمة الحزبية القاعدية؟»، «في المنظمات الحزبية القاعدية»، «في المقاطعة الأمامية» موضوعة بصورة أساسية خصيصاً للجهاز الحزبي القاعدي، مع العلم أنها تُقرأ أيضاً من قبل البعثيين العاديين. «بعثيو السبعينات»، «بعثيو أيامنا هذه»، «الواجب الأخلاقي للبعثي»، «على آثار الرسالة» - عناوين مرسلة وموجهة إلى الجمهور البعثي الواسع وللقراء غير الحزبيين.

سنسوق نتائج تحليل بعض العناوين المخصصة لشرائح متنوعة من القراء، خلال الفترة من عام 1973-1999. فبمثابة توصيفات للتحليل ثم أخذ نموذج المؤلف، هدف المادة، المضمون، إشارة المعلومة (إيجابية، نقدية، متوازنة)، شكل تقديم المعلومة، المرسَل إليه، نوع التأثير المفترض وغيره.

إن عنوان «أسلوب عمل اللجنة» وُجد في الصحيفة لمدة عدة سنوات وكان موجهاً بدقة إلى العاملين الحزبيين، وبعد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الذي أولى إهتماماً كبيراً للأسلوب العلمي في العمل كشرط من أهم شروط القيادة الحزبية، وتم تغييره إلى عنوان، «من أجل الأسلوب العلمي في العمل» مع التوجه إلى جمهور أوسع.

تحليل جميع مواد العنوان «أسلوب عمل اللجنة» 1973-1975، وذلك الجزء من المواد «من أجل الأسلوب العلمي في العمل»، التي تواصل مناقشة أسلوب عمل اللجان الحزبية (1976-1979) تبين أنه بالإضافة إلى الإهتمام الغالب للصحيفة بالقيادة الحزبية لمجال ما معين ومحدد - الصناعة والزراعة وغيرها- في السنوات الأخيرة أصبح إهتمام أكثر فأكثر يولى.

لموضوع تحسين العمل الحزبي الداخلي وجميع حلقاته. والشيء ذاته عند المحافظة على الإهتمام تجاه قيادة المجال الإنتاج تظهر بانتظام في السنوات الأخيرة مواد حول القيادة الحزبية لمجالات غير إنتاجية. تعاظمت كمية المواد التي تثير المشكلات الحادة الراهنة لأسلوب القيادة الحزبية، وهنا يولي إهتمام خاص بعرض الخبرة الإيجابية الملموسة للعمل، جميع هذه النظريات والنزعات تتحدث عن أن الصحفيين في «البعث» دقيقين وواضحين جداً تجاه المسائل الملحة، التي يطرحها الحزب في المرحلة المعاصرة لتطور المجتمع والمثبتة في الوثائق الحزبية.

إلى جانب بعض المشكلات ذات الطابع المستقر بهذا الشكل أو ذاك تظهر باستمرار مشاكل جيدة، يتركز إهتمام الصحيفة دون تغيير على الجوانب العقدية في

أسلوب الإدارة وكيفية العمل مع الكوادر ومشكلة تحسين دارة جميع مجالات الحياة وعمل المجتمع السوري والإشراف على تنفيذ القرارات وتطوير النقد والنقد الذاتي. المواد تحت عنوان «أسلوب عمل اللجنة» ساعدت كثيراً في معالجة مثل هذه القضايا الراهنة بصورة عميقة ومتعددة الجوانب بمثابة خصائص القيادة الحزبية في عصر الثورة العلمية - التكنولوجية وكالمقاربة الإبداعية للعمل الحزبي والطبيعة الشمولية للعمل وتقوية إشاعة الديمقراطية في الحياة الإجتماعية وغير ذلك.

إن مؤلفي المواد تحت عنوان «أسلوب عمل اللجنة» هم بصورة أساسية العاملون الحزبيون وعلى الأغلب الالسكرتيريون الأولون للجان المحافظات والمدن والمناطق. أكثر الأحيان المواد مكتوبة في جنس المقالة أو المراسلات وتحمل على الأغلب طابعاً إيجابياً طالما أن العنوان يحاول أن يمثل بصورة واسعة الخبرة المتقدمة ونماذج الأسلوب العلمي لعمل اللجان الحزبية وتقديم نموذج (نموذج) النشاط لمعالجة مشكلة محددة أو لعمل اللجنة بصورة إجمالية، إن حوالي 70٪ من المواد تحت هذا العنوان تتناول أسلوب العمل في مجال قيادة الميدان الإنتاجي ويجب أن تثير إهتمام العاملين في هذا الفرع بحيوية، الفرع الذي يدور الحديث عنه، مع العلم أن بعض المواد (حوالي 10٪ طبقاً لحساباتنا) معروفة عموماً بالنسبة لأي فئة من فئات القراء، مشكلات إشاعة الديمقراطية في الحياة الإجتماعية، العلاقات المتبادلة لقادة محددين مع مرؤوسيهم، ومشكلات العمل التربوي مع الجماعة ومسائل النقد والنقد الذاتي ومكافحة الشكليات والتمويه وغيره.

مثل هذه المواد تثير إهتماماً واسعاً من جانب القراء من حيث الهموم اليومية والطرح الحاد للمشكلات التي تهم الكثير من الناس. إن مؤلفي المواد تحت هذا العنوان لا يستعملون تقريباً الطرق والأساليب اللغوية والأسلوبية البحتة لجذب الإنتباه الواسع للقراء. يتوضح ذلك من خلال توجه العنوان وهدفه وتعداد المؤلفين والأهم من خلال الأهداف: كيف يمكن بسعة واختصار أكبر وصف تلك

التجربة الإيجابية، والنوادر في العمل الحزبي التي يمكن أن تستعمل من قبل اللجان الحزبية الأخرى.

تخدم الوسائل المستخدمة من قبل الصحيفة عملية تحقيق هذا الهدف.

تتميز المواد تحت عنوان «أسلوب عمل اللجنة» بصفات رفيعة المستوى وغنية بالمضمون:

1- أهمية وتطابق المشكلة المطروحة للنقاش مع الواقع، والتي أملتها المتطلبات المعاصرة للعمل الحزبي.

2- تعليل إختيار الموضوع، أي المنظمات الحزبية التي يدور الحديث حولها في مواد هذا العنوان.

3- السمعة العالية وشهرة مؤلفي المواد.

4- جديد تجربة وخبرة عمل اللجان الحزبية وإعادة الصياغة الإبداعية في الظروف الجديدة للأساليب والطرق المختبرة في القيادة.

5- توجه نحو إمكانية نقل وانتشار هذه التجربة.

6- إشباع وامتلاء المعلومة التي أملتها ضرورة إعطاء التوجهات الأساسية للعمل الحزبي دون تخفيض محسوسة المادة وبرهانها ومعلوماميتها.

كل هذا يدعو إلى الصرامة والإختيار الدقيق للوقائع والأمثلة وإلى النظام الدقيق الواضح للأدلة والمحسوسية والاختصار والتصميم المتناسق والرشيق وأحياناً مواد من النوع الواحد (أحادية النوع).

مثل هذه الطرق والأساليب مناسبة وصائبة ومبررة بالنسبة للجمهور المعني بالأمر: كلما كان التصميم أكثر اعتيادية ودقة كلما كان التوجه فيه أسهل من جانب العاملين الحزبيين العارفين جيداً في دائرة المشكلات المطروحة على بساط

البحث والذين يمتلكون القدرة على التفكير بدقة وعملية وبصورة تحليلية تقسيم الحالات والظواهر، الذين يمتلكون جيداً أسلوباً عملياً للعرض.

إن بعض الأحادية النوعية صرامة المواد تحت عنوان «أسلوب عمل اللجنة» في ظل الأهمية والجديد والملحاحية تستوعب ليس فقط بمثابة شكل للمواد ممكن، لكنه بدرجة كبيرة ضروري، باعتبار هذا الشكل بالذات يساعد على الإدراك السريع والتام للمعلومة الضرورية لهذه الفئة من القراء. الشيء غير المُستطب لنوع آخر من المواد وخاصة تلك المخصصة إلى جمهور غير متناسق وغير منسجم نظراً لتنوع مصالحة «غير الوظيفية» يبدو مفيداً عندما يدور الحديث حول عنوان محدد وشريحة محددة من القراء.

الواضح في هذا المعنى أنه حينما كان العنوان «أسلوب عمل اللجنة» مُستبدلاً بغيره - «من أجل أسلوب علمي للعمل» - لم يتبدل الاسم فحسب، بل وطبيعته لأن أهداف العنوان تغيرت (وهو مدعو ليس فقط للدعاية لخبرة عمل المختصين، بل وللمناقشة الواسعة لمشاكل الأسلوب العلمي للعمل في إستخدام تجاه الفرد والجماعة في ميادين مختلفة من النشاط الحياتي، مضمونة (توسعت دائرة المشكلات، اشتد التركيز على الخصائص الفردية الأخلاقية والنفسية للقائد الناجح وغير ذلك)، المرسَل إليه (ليس فقط الحزبيون بل وقيادات المجالات الأخرى والأشخاص المسؤولية من مختلف الشرائح). لقد ازدادت كثيراً كمية المواد الإشكالية النقدية، وتوسعت دائرة المؤلفين وأصبح المخزون الفني متنوع الأنماط كما تنوع بناء المواد وتكوينها اللغوي والأسلوبي.

كل ذلك يبرهن بصورة مقنعة بأن هدف العنوان والجمهور المخصص لذلك يمكنه عدم الإلغاء المطلق والبارامترات الضرورية لإدراكه الفاعل. هذه القاعدة تتجلى بوضوح مُميز عند تحليل المواد المخصصة لجماهير واسعة من البعثيين وغير الحزبيين وتحديداً المواد المطبوعة تحت عنوان «البعثيون في الوقت الراهن» إن تحليل

المواد خلال سبع سنوات 1973-1979) يُبين بأن يطل العنوان - بصورة أساسية عامل في مجال الإنتاج المادي - الصناعة (تقريباً، نصف المواد) والزراعة (حوالي 40٪)، وعلى العموم العامل البسيط (حوالي 80٪ من المواد). البعثيون في غالبيتهم، الذين تكتب عنهم «البعث» يمارسون العمل الإجتماعي النشيط ومنتخبون إلى اللجان الحزبية يُعدُّون ممثلين في المجالس، وحصلوا على مكافآت وأوسمة والكثير منهم حصل على رتب وتسميات رفيعة لأبطال العمل الاشتراكي، والبعض استحقوا جوائز الدولة.

واضح اتجاه قطاع الحياة الحزبية «البعث» نحو توسيع ميدان الحياة، التي يبحث فيها عن شخصياته وأبطاله: كثيراً ما تظهر تحقيقات صحفية - مقالات - عن العاملين الحزبيين والعلماء ورموز الثقافة والتعليم وغير ذلك من المجالات غير الإنتاجية. تتضاعف كمية التحقيقات الصحفية - المقالات - عن النساء، مع العلم أن هذه المواد حتى اليوم لا تزال قليلة العدد. ويصبح متنوعاً شيئاً فشيئاً إختيار المهن والوظائف. هنا سائق الجرار وعامل الخراطة، الغزَّالة، والبروفيسور ومربي الاغنام والنساجة... «تجذر» على صفحات «البعث» في السنوات الأخيرة التحقيق الصحفي حول الجماعة و دورها في التنمية.

الهدف الرئيسي للمواد تحت هذا العنوان يرمي إلى عرض شخصية وصورة الانسان المعاصر. الانسان المعاصر - هو ذلك الإنسان الذي يتسلح حقيقة بالعلم وبالمسؤولية العالية الأخلاقية أمام المجتمع، «رجل الدولة» (كما يقال في إحدى التحقيقات الصحفية) أي الإنسان الذي يشارك بنشاط في إدارة الدولة، المخترع، المعني الألو، الرجل الإبداعي والمعلم الأصيل في حرفته، الفرد الذي ينقل برغبة خبرته للآخرين. إن أبطال التحقيقات الصحفية في «البعث» مبدئيون، غير مهادنين تجاه النواقص ونقاط الضعف وتجاه الأعمال اللاأخلاقية مهما كان نوعها، العادلون، المحاربون للفساد غير المتسامحين، المعتمد عليهم في الحياة والعمل.

إن أبطال أفضل التحقيقات الصحفية هم أناس أحياء من الشخصيات المعقدة والمتناقضة وأحياناً من الجادين الصارمين والقساة إلى درجة الإفراط، لكن الأهم في هؤلاء الأشخاص يبقى دون تبديل - الوعي العالي لمسؤولياتهم تجاه المجتمع والقضية التي هم في خدمتها.

يُطلب من الصحفيين - مؤلفي هذا العنوان جرفية مهنية عالية من أجل كتابة التحقيق الصحفي - المقالة بدقة ووضوح وبشعور حقيقي بالعمل والتكتيك عن فرد للكشف عن أهم ما في شخصيته وعلاقته بالحياة.

يمكن أن يعتمد على فاعلية عالية ذاك التحقيق الصحفي الذي لا يعرض خصال الفرد في كل تعقيداته وعلاقاته المتبادلة مع العالم فحسب، بل التحقيق الذي تتحقق فيه صورته بأكثر الألوان دقة وإشباع، وتستخدم لوحة فنية مرسومة باللغة ووسائلها التعبيرية.

إن تحليل المواد تحت عنوان «بعثيو في الوقت الراهن» يبين: من أجل الوصول إلى أعلى درجة من الفاعلية للمواد المطبوعة لدى الجماهير العريضة يجب على الصحفي القيام بما يلي:

1- أن يختار بمهارة بطله الحقيقي المتمتع بشعور عالٍ من المسؤولية تجاه المجتمع، الحديث المجدد والمعلم والمبدع في عمله، الفرد النشيط اجتماعياً الذي يمتلك خصائل أخلاقية سامية.

2- إختيار ودراسة المواصفات الأكثر أهمية والأعظم والأكثر جوهرية التي يتمتع بها البطل على أساس الإطلاع الدقيق بالدائرة الأكثر اتساعاً للوقائع والآراء والملاحظات الشخصية.

3- محاولة عرض شخصيته بتعقيداتها وديناميكيتها وعلاقاته مع الناس والعالم المحيط دون خرق للحقيقة الحياتية.

4- القدرة على التعبير عن ما هو مهم وضروري من وجهة نظر أسرة التحرير (حاجات المجتمع) المضمون في الشكل الأكثر تطابقاً مع الشكل، مع تذكر مصالح وخصائص إدراك الجمهور العريض، وهنا الأكثر قابلية للقراءة هي التحقيقات الصحفية الساطعة من حيث الشكل والمكتوبة بلغة جيدة والمؤثرة بشكل مقنع ليس فقط على المجال العقلاني وعلى الوسط الانفعالي لدى القارئ.

إن تحليل المواد في موضوعات الحياة الحزبية بالنسبة لشرائح واسعة من القراء يُقنع في أنها تمتلك خصائص مرئية:

1- تطابق المشكلة المطروحة على النقاش مع الواقع ودلالتها الإجتماعية.

2- القدرة في البرهنة على الأدلة والوضوح وتعدد الأمثلة وإسناداتها.

3- القدرة على المناقشة وإمكانية مقارنة مختلف وجهات النظر لمقاربات متنوعة تجاه المشكلة الحادة الراهنة.

4- حدة ونقدية ومبدئية المناقشات بالاقتران مع موضوعية التقييمات وبنائية المقترحات.

5- التوجه المفتوح نحو رأي الجماهير العريضة من المواطنين.

6- الإبراز الواضح للمشكلة التي تُعمم التعليق التحريري والمدعو لإظهار وجهة النظر الحزبية بخصوص المشكلة المطروحة للنقاش.

7- الإهتمام الخاص تجاه تأثير وفاعلية مثل هذا النوع من المواد ونحو الأصداء وردود الفعل تجاهها والإجابات المتعلقة بالتدابير المتخذة وغير ذلك.

8- اللامعيارية - اللانمطية - والحيوية والمباشرة والاتجاه الانفعالي للمواد.

ما يتعلق بشريحة المواد تحت عنوان «عمل المنظمات الحزبية القاعدية («ماذا تستطيع المنظمة القاعدية؟»). «في المنظمات القاعدية»، «رسائل من المنظمات القاعدية»، «في المقاطعات المتقدمة») وغيرها، الموجهة بصورة أساسية لجهاز الحزبي القاعدي أي تناقش المشكلات الخاصة بعمل أمناء سر المنظمات الحزبية القاعدية والأجهزة الحزبية وما شابه ذلك، فإنها من حيث الطبيعة تشبه إلى حد كبير مواد عنوان «أسلوب عمل اللجنة»: صرامة، عمل، معلوماتية، فالمعلومات الموجهة إلى دائرة أوسع من القراء تكتسب ملامح العناوين المخصصة للمواطنين.

- إن تحليل بعض عناوين قطاع الحياة الحزبية الذي أجري في صحيفة «البعث» يسمح مع التوضيحات بإظهار كيفية اعتبار العوامل الأساسية للفاعلية أثناء دراسة وتغطية موضوع الحياة الحزبية: القدرة على إختيار أهم المشكلات والأكثر تطابقاً مع الواقع طبقاً للتعليمات الحزبية في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع والتوجه إلى شرائح محددة من القراء وإستخدام شكل تقديم المعلومة المناسب أكثر بالنسبة للجمهور المعني بالأمر.

الفصل التاسع

التخطيط في نظام عمل التحرير



التخطيط في نظام عمل التحرير

الفئة - الشريحة - الأهم في الصحافة - تحقيق النتيجة وما يرتبط بها من فاعلية وتأثير الفعل الدعائي والإعلاني والتنظيمي للصحافة على الجمهور - بدرجة أقل تتوقف على طبيعة وطرق تخطيط نشاط جماعة التحرير والكتابة.

في السنوات الأخيرة تشغل مسائل التخطيط مركز إهتمام مجموعة من الباحثين والكثير من المجموعات العاملة في مجال التحرير نتيجة للدراسات النظرية والأوضاع التحريرية المحددة في صحافتنا وُصفت وتأكدت من خلال الممارسة والتطبيق عناصر جديدة في التخطيط مثل التخطيط الطويل الأجل والجداول - المخططات الشبكاتية، والتخطيط للبرامج الهادفة وغير ذلك.

بالإضافة إلى ذلك كما يحصل ذلك عادة فإن دراسة ووضع أسس إتجاهات جديدة للتخطيط حتى اليوم لم تحصل على تعليلات استقرائية، الحديث يدور حول المسائل الشرطية كخصوصية التخطيط الصحفي ومضمونه الوظيفي الهدفي وبنية عملية التخطيط ومجموعة أخرى غيرها. يكون من الظلم القول بأن العمل في تحسين التخطيط يثبت بصورة عشوائية، غير أن مستوى التنبؤات المعللة نظرياً في هذا المجال غير كافٍ.

إن التخطيط في الصحافة كما هو معروف يعدُّ شكلاً لطريقة تحديد أهداف النشاط وطرق تحقيقها وهو الشيء الملازم للمجتمع الحديث.

إن التعبير الأكثر امتلاءً ونضجاً وُجد من جانب طريقة التخطيط في الميدان الاقتصادي - الإجتماعي. هنا الذات في سياق التطور التدريجي مثل التوجهات في ا لأداء والمركزية الديمقراطية في الإعداد والتحقيق وتثبيت المهمات وطرق نقلها إلى الواقع على شكل وثائق واستمرارية عملية التخطيط وغيرها. يتميز التخطيط الاقتصادي في الظروف المعاصرة بالانتظام أي بالتأثير

على جميع جوانب الموضوع والعلاقة العضوية المتبادلة لجميع أجزاء البرنامج الذي يتحقق، وأخيراً التوجه إلى الهدف النهائي لعملية التخطيط - إنجاز النتائج الاقتصادية - الإنتاجية الضرورية للاقتصاد الوطني.

فالتخطيط الاقتصادي - الإجتماعي نظرياً يتجلى في زيادة الأجل الطويل وآفاق الخطط وفي علاقة أكثر وثوقاً بين القرارات الحالية ومهمات الغد.

جميع هذه الصفات تجلت بوضوح في العقود الأخيرة في تخطيط هذه الجوانب أو تلك من النشاط الإجتماعي وفي توسيع مجالات فعل الخطط التنموية وتحولاتها إلى خطط التطوير الإجتماعي الاقتصادي وفي العمل لخلق وتحقيق خطط التطور الإجتماعي في السنوات اللاحقة.

ودون التوقف بالتفصيل عند الطرائق القائمة للتخطيط الإجتماعي سننوه إلى أن أهمية كبيرة هنا تكتسبها عوامل مثل التعبير الأكثر امتلاءً في البرنامج المطروح للاحتياجات الإجتماعية ومصالح الناس والقياس الدوري المنتظم على أساس علمي للعوامل الإجتماعية التي تدخل في التخطيط واستعمال التقاليد التي تبرز كخبرة موفقة للنشاط العملي في الماضي. ففي ظل صحة الاستشهادات الاستقرائية تتحقق «سلسلة» للتخطيط: «الهدف المعمم - نظام من طرائق الفعل الملموسة المحددة - نتيجة معممة»، بما يضمن مستوى حديث لبرمجة التطور الإجتماعي.

إن وصف عملية التخطيط في المجتمع الحديث وكذلك خصائصه في مجالات متنوعة في الواقع ضرورية، في الواقع الحالي، من أجل تحديد أدق وأملأ للتوصيفات الجوهرية وخاصة للتخطيط الصحفي. ففي ظل كل هذه الخصوصية يُعدُّ جزءاً من نظام التخطيط في دولتنا، ويحمل في داخل ملامح عامة بالنسبة لمجمل الظاهرة كلها. وأكثر من ذلك فإن التخطيط في الصحافة استدعته الطبيعة التخطيطية لمجتمعنا. وبالتالي فإن التخطيط في بنية العمل والنشاط في الصحافة

يتوقف على ظرفين اثنين: وعلى تأثير الخصائص العامة لنظامنا الإجتماعي وعلى المهمات الخصوصية للإدارة الإجتماعية.

لقد كان تطور الصحافة مرتبطاً دوماً بتنشيط دور التخطيط كوسيلة لتنظيم العمل الدعائي - الإعلامي والتنظيمي - مع تعاظم حجم المعلومة المخططة وصفاتها النوعية وإعداد الوثائق التخطيطية الخاصة. في سياق تطور صحافتنا كان يحصل ربط أكثر وثوقاً للتخطيط الصحفي مع تخطيط الأجهزة الحزبية والحكومية والمرافقية الأمر الذي وجد تعبيره في التزام هذه الأجهزة بتقديم المعلومة التوجيهية والاستعلامية للطبعات اللازمة والتأكيد على أهم الوثائق التخطيطية والإشراف على تنفيذها.

إن تخطيط العمل الصحفي - هو عبارة عن مفهوم واسع بما فيه الكفاية، إنه يشمل أيضاً تخطيط الصحافة بصورة إجمالية وبعض أجزائه (مجمل نظام وسائل المعلومة الجماهيرية والدعائية، ونظام المطبوعات وغيره). وهنا تقضي الضرورة الإشارة إلى أن ليس جميع الإتجاهات ومجالات التخطيط الصحفي جذبت إهتمام وانتباه الباحثين. إن نواة هذه العملية تتجلى في تخطيط عمل الجماعة - طاقم التحرير. هذا العنصر في التخطيط الصحفي أكثر تطوراً وهو مرتبط بصورة أكثر امتلاءً بتحقيق وظائف الصحافة وأهدافها الإجتماعية النهائية. فالملامح الجوهرية الأساسية لهذه الظاهرة هي مادة دراستنا وبحثنا.

ففي المقاربة الأولية تبرز عملية التخطيط في أسرة التحرير أمامنا كأداء منطقي متسلسل للمراحل التالية:

1- الحصول على المعطيات المقحمة من الناشر إلى فترة زمنية محدودة.

2- دراسة مصادر أخرى من المعلومات.

3- استجرار المعلومات التمهيدية والمحددة الضرورية لاستقراء عمل طاقم التحرير وذلك من إجمالي المصادر.

4- دراسة النموذج الإعلامي الوقائي طبقاً للقواعد والمعايير القائمة، حيث تتكدس المعطيات حول المضمون المستقبلي للصحيفة أو المجلة، الإذاعة أو البرنامج التلفزيوني مع الإشارة إلى النتائج المتوقعة.

5- تثبيت النموذج في وثائق محددة.

غير أن من الخطأ التقيد فقط بهذا الأمر. فبعد تثبيت نتائج التخطيط في الوثائق اللازمة يبدأ نشر المعلومات الموجودة فيها في عرض مزدوج ثنائي: في نظام خطط الصحيفة المكررة بالنسبة للوثيقة الأصلية الصادرة، هذه الخطط المنشورة في الزمان والمكان (خطة مستقبلية شهرية - أسبوعية - خطة العدد - خطة الصفحة)، وكمعلومات على صفحة الجريدة مباشرة. في سياق هذا النشر تبرز واقعية الاستقراءات والتنبؤات الخططية، في هذا الصدد تظهر ضرورة الإشراف على تنفيذ الخطط والتصحيح وتحليل نتائج تنفيذ الخطط. هذا العمل من ناحية يمثل جزءاً من نشاط أسرة التحرير - طاقم التحرير - بصورة عامة ومن ناحية أخرى يُعدُّ جزء لاشك فيه وبصورة أدق يعدُّ نتيجة للتخطيط. تبرز عملية التخطيط أمامنا كنشاط وعمل في مجال تنظيم العمل الإعلامي الدعائي أما مراحل التخطيط فتبدو كالتالي: الإشراف على تنفيذ الخطة - تصحيح جزئي للخطة - تثبيت نتائج العمل مع الحسبان وتقييم النتيجة - الحصول على معطيات جديدة تمهيدية من الناشر.

بهذا الشكل تحمل عملية التخطيط طابعاً مغلقاً حلقياً.

يبدو من الضرورة إبراز التخطيط الأساسي والتخطيط العملي. الحديث يدور في هذه الحالة عن نقطتين الأكثر جوهرية والمرتبطين من حيث السبب في سياق التخطيط - حول نقطة الإحصاء ونقطة التقارب الأكبر للخطة مع مضمون الصحيفة وبالمقابل يمكن التحدث عن الخطة الأساسية في الخطة العملية (المستقبلية- الأسبوعية، الأسبوعية - خطة العدد وما شابه ذلك).

يتفحص محتوى عملية التخطيط في تحديد المضمون المستقبلي للصحيفة ونتائج تأثيرها على الجمهور. ثمثل عملية التخطيط سياق تحديد وتحقيق أهداف وطرائق فعل المطبوعة في القياس المؤقت المحدد (مجموعة أعداد) والمكاني (ورقة الجريدة) أما وظيفة التخطيط فتتجلى في إحداث نموذج المطبوعة الإعلامي المحدد بأطر مكانية زمانية.

إن مضمون عملية التخطيط شأنه شأن مضمون النموذج الإعلامي لمطبوعة ينفتح عن طريق الأهداف الملازمة إيجابياً للتخطيط الصحفي. من المعتاد الحديث عن 3 أهداف للتخطيط: الهدف الإجتماعي والهدف التواصلي والهدف التنظيمي.

الهدف الإجتماعي للتخطيط فيلخص في ضمان تأثير المطبوعة على القراء، هذا التأثير الذي يتوافق تماماً مع تأثير نظام الإدارة بصورة عامة والناشر تحديداً.

الهدف التواصلي للتخطيط يتلخص في إنجاز العلاقة التناسبية الضرورية للمادة وطرائق التعبير الصحفي عنها والتأثيرات الجماهيرية.

ما يتعلق بالهدف الثالث للتخطيط الصحفي فإنه يؤمن الفعل المتوافق مع الأهداف الإجتماعية التواصلية من جانب أسرة التحرير.

وقبل كل شيء يُعدُّ وجود المعلومة الضرورة المسبقة التي تقود عملية التخطيط شرطاً لنجاح تحقيق أهداف التخطيط. إن عملية التخطيط هي نتيجة العقل المتبادل لتدفقين مهمين جداً من المعلومات الصادرة عن ذات الإدارة (الناشر تحديداً) وعن موضوع الإدارة (عن الجمهور) أي عن الواقع الإجتماعي. الفعل المتبادل المعني بالأمر (في ظل الدور المحدّد للتدفق الأول) يُحققه بصورة هادفة طاقم التحرير. فهو هنا يتعامل مع معلومة إجتماعية غير متناسقة. تُعطي طلبات الناشر موقفاً أصلياً لعمل طاقم التحرير وتصحح بصورة نظامية هذا العمل.

هنا فإن أي معلومة إدارة يجب أن تتناسب مع الجوانب المحددة للتخطيط وأن تجد الانعكاس في النماذج الإعلامية الخصوصية للخطة.

طبقاً لهذا الامتلاء لعملية التخطيط يعكس النموذج الإعلامي خصوصية المادة الإجتماعية الموجودة فيه. فالمعلومة الإجتماعية التي تؤدي دورها في سياق التخطيط تمتلك أهدافاً متنوعة وطبيعة مادية مختلفة. كل ذلك يجب أن يجد تعبيره في بنية النموذج المعلوماتي للمطبوعة وإلا فإن هدف التخطيط لا يكون مُحققاً.

المضمون التواصلي لعملية التخطيط تمتلك كما سبق وذكرنا درجة أقل من الحركة والتبدل والتغلب باعتباره يعكس الخصائص الثابتة والقوالب القديمة للعمل. إنه يؤدي دوره كنموذج محدد يتكون من طرائق التعبير الصحفي للأفكار والطرائق الممكنة لتحقيق الآثار الجماهيرية، هذه الطرائق التي تُميز الصحافة عموماً والمطبوعة المعنية. يمكن للنموذج أن يشمل القاطع الزمني كله بصورة عامة، ومقطع منه ونظام المواد في العدد والنص الصحفي مُستقلاً. يتجلى النموذج في تلك المؤشرات مثل حجم وعلاقة مواد الموضوع المحدد وطرائق معالجة الموضوع (الحملة، النقاش وغيره) والبناء التأليفي للعدد ووسائل الأداء الجدولي للصحيفة وأساليب النصوص للتأثير على الجمهور وغير ذلك. هذه المؤشرات تُشكل نظاماً معنياً يُشير إلى الوسائل المثلى للنشاط.

إن تنوع أنماط أهداف التخطيط يسمح بالمقاربة من مسالة الوصول إلى نتيجة التخطيط. يمكن القول بأن نتيجة التخطيط تتجلى في إحداث مثل هذا النموذج الإعلامي الذي وبصورة أفضل يتوافق مع أهداف العمل. الحديث يدور قبل كل شيء حول ضرورة اعتبار مجموعة الطلبات التي تنبع من وحدة أهداف المطبوعة وعلاقتها المتبادلة في سياق التخطيط. ليس نادراً ما يحصل في الممارسة الصحفية أن يضطر المرء لأن يجابه حالة عندما لا تتأمن هذه المقترحات الفكرية الموضوعية أو تلك بطرائق دقيقة ومثمرة كلها على صفحة الجريدة، حينما تُستبدل المقاربة

التحليلية بالمقاربة الإعلامية، حينما يتعرض النقاش الناشب فجأة للانهيار بعد مادتين أو ثلاث مواد بسبب عدم دراسة سيناريو هذا النقاش. إن تناسب أهداف التخطيط يمكن أن يكون موصوفاً في حجم متنوع وبدرجة متنوعة من التحديد المادي الملموس في خطط أسرة التحرير. أكثر الأحيان وبتفصيل أكثر يُبحث البرنامج الإجتماعي للخطة، غير أنه أثناء تنفيذ هذه البرامج أو تلك يُصبح حتمياً اعتبار جوانب التخطيط الأخرى.

في ظل هذه المقاربة لا يجوز عدم اعتبار مثل هذه الخصوصية التأسيسية للتخطيط مثل طبيعته الإحتمالية. هذه الخصوصية تتجلى بصورة مختلفة في هذه المراحل أو تلك من التخطيط، لكنها موجودة دوماً. أولاً: تقلب الحالات الملموسة يجر وراءه متغيرات في الامتلاء الملموس للمؤشرات الخططية، وثانياً: يقدم الواقع دائماً للصحفي إمكان الإختيار من جملة الوقائع والحالات والظواهر المختلفة من حيث الصفات.

ما يخص الجانب التواصلي للتخطيط فنحن هنا نواجه أيضاً ظرفين اثنين:

أولاً: لا توجد علاقة صارمة أحادية المعنى بين الطبيعة الإجتماعية للنص وأشكال تحقيقه.

ثانياً: يمكن القول الشيء ذاته حول نتيجة تأثير الصحافة على الجمهور.

(النقل، ملاحظة صغيرة يمكن أن تُثير مثل هذا التأثير وامتلاك مثل هذه الدلالة بالنسبة للجمهور والتي لا نحققها نحن بإستخدام «ما يُغري» من الوسائل الصحفية المجربة: مسألة الصراع، شخصية المادة واسم الصحفي وغيرها»).

ما يتعلق بالجانب التنظيمي للتخطيط فنحن هنا أيضاً نواجه مجموعة من العوامل التي يصعب إخضاعها للتسوية القاسية. غياب الزمن الضروري لدى الصحفي، وعدم رغبته بممارسة هذا الموضوع بكامل القوة يمكن أن ينعكس

على طبيعة المادة المحضّرة. نظراً للظروف المماثلة يبرز إمكان وجود مجموعة من الاحتمالات المتعلقة بالخطط الصحفية الملموسة. فالممارسة تُبين بأن ظروفاً كهذه تبرز في أغلب الأحيان في المستوى المتوسط للتخطيط، في مستواه العالي (التخطيط الطويل الأجل والمستقبلي) ولمقاربة المعممة تجاه النموذج المستقبلي للمطبوعة تقوم على الخصائص التأسيسية الأكثر عمومية في الواقع وعلى مهمات نظام الإدارة وخصائص الإبداع الصحفي. في المستوى المتدني والمنخفض للتخطيط يُحقق أداء الصحفيين للمهمات المدرجة في الخطة مثل هذه الدرجة حينما تختفي من حيث الواقع إمكان الحل الإحتمالي للموضوع.

فالطبيعة الإحتمالية للتخطيط تقود إلى ظهور إلى ما يمكن تسميته بالمعلومة الصحفية الزائدة. إن عدداً كبيراً من المواد التي أحياناً لا تذهب إلى الصفحة في الجريدة، ضروري من أجل تأمين تغيير الطبيعة الإجتماعية والتواصلية أو التنظيمية في عمل المطبوعة.

فالطبيعة الإحتمالية للتخطيط إجمالاً في الصحافة ترتبط بجوهر هذا النوع من النشاط المعلوماتي ذاته وبطبيعة المعلومة الإجتماعية التي تدور فيه.

ففي كل ما سبق يحمل تخطيط عمل هيئة التحرير طابعاً مستقراً بصورة كافية، وينتظم بصورة دقيقة.

أولاً: يتوضح ذلك في أن مُعظم التبدلات الممكنة لا تنعكس على النشاط الإعلامي الدعائي، وبالتالي لا يُقحم في سياق التخطيط.

ثانياً: أثناء التخطيط يؤخذ في الحسبان فقط ليس المؤشرات التي هي جوهرية وضرورية بالنسبة لعمل الصحفيين. إن ثبات الخطط يختلط مع دينامية تطور المحتوى الملموس.

تُعدُّ الفاعلية أحد أهم اللحظات المهمة في التخطيط الصحفي. من الضرورة الإشارة مباشرة إلى أنه طالما أن عملية التخطيط معقدة ومتعددة الدرجات. يمكن التحدث عن فاعلية كل درجة من درجاته. ما يتعلق بفاعلية النموذج الإعلامي للمطبوعة، فإنها تتلخص في درجة توافق النتائج المفترضة والواقعية للعمل. إن ضرورة التصحيحات المحددة في سياق تحقيق أهداف التخطيط لا يعطي أبداً إمكان إنجاز الفاعلية المتساوية للوحدة. بالإضافة إلى ذلك عند التنظيم الصحيح للتخطيط يوجد حد أعلى محدد للتصحيحات الممكنة من المؤشرات التخطيطية. أما درجة الحاجة إلى كل منها فيمكن أن تحدد في سياق التحليل النوعي. يؤكد هذا الأمر الممارسة المعاصرة التي أبداً لم تتحقق لتحديد فاعلية التخطيط. في هيئات التحرير، حيث يتم العمل في التخطيط على مستوى عالٍ بما فيه الكفاية مع كل تعدد أنماط تصحيحات خطط مستوى تحقيقها أي أن الفاعلية تشكل 0.6-0.8 إذاً ما قبلنا بالتوافق الكامل عن الوحدة الواحدة.

إن تحليل الخصائص الجوهرية للتخطيط في التحرير يسمح بالنظر في المسائل المتعلقة برفع فاعلية النوع المعني من النشاط الصحفي على هذا الأساس. هنا نستطيع الاعتماد على ممارسة عمل التحرير الذي يتحقق فيه أو يوجد فيه في مرحلة التحقق الكثير من الحلول المثيرة للإهتمام.

كما سبق وذكرنا آنفاً يُعدُّ التخطيط من حيث مضمونه وطبيعته عملية إدارية إعلامية. إننا إذ نقوم بتخطيط الدعاية للمبادرات الإنتاجية أو طرح مشكلات التربية الأخلاقية، نعرض بذلك (وأحياناً نعلن) تحقيق التأثيرات الواقعية للفعل. والأكثر من ذلك، أثناء التمهيد للمواد النقدية أو أثناء إجراء المناقشات تُطرح نتائج عددية محددة (أجوبة المنظمات، الحصول على رسائل القراء ذات المضمون المحدد).

نظراً لذلك يُنتظر في المستقبل تخطيط ليس فقط نشاط الطبع، بل ونتائج هذا النشاط. إن الحل الجزئي لهذه المسألة يمكن في اتجاهين اثنين: يمكن توسيع وتحسين

المؤشرات التي يجري التخطيط لها نوعياً على حساب مجموعة نتائج العمل الصحفي الخاضعة للتوصيف الكمي (ردود على حركات نقدية في الصحيفة). إن إدخال هذه النقطة في خطة الصحيفة من شأنه ان يحتاج إلى رقابة نظامية على الفاعلية وأن يَسمح بالكشف عن الفاعلية الحقيقية للنقد العملي في الصحيفة وتخطيط في حال الضرورة إجراء تتعلق برفعها. من الجدير أيضاً بالذكر إمكانات التأثير على بريد التحرير. تستطيع الصحيفة افتراض حصولها على عدد معين من الردود على أفعالها وتخطيط رفع حصتها من الحجم العام للبريد وتحقيق رد فعل هذه الشرائح الإجتماعية - المهنية أو تلك من القراء.

التخطيط الثاني لتوسيع مجال النتائجية مرتبط بإدخال التخطيط البرامجي - الهدفي. فالتخطيط الذي يستخدم بصورة واسعة في السنوات الأخيرة في ميدان الاقتصاد يجد تطبيقه الأكثر إدراكاً أيضاً في تنظيم عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية. نؤكد على الأكثر فهماً وإدراكاً طالما أن عناصر نوع كهذا من التخطيط تحققت سابقاً في ممارسة التحرير. الآن تجري ملاحظة السعي لاستيعاب كامل الميكانيكية التخطيطية البرامجية والهادفة والظاهرة الأكثر وضوحاً في التخطيط البرامجي الهدفي تتجلى في ما يسمى بالأفعال الصحفية. توجد أنواع مختلفة من الأفعال: من الأفعال قصيرة الأجل التي تعالج مسائل محدودة ملموسة وحتى الأفعال الطويلة الأجل المتعلقة بالموضوع المعقد للتأثير. لكن أي فعل يتميز بصياغة الهدف المحدد الذي يجري تحقيقه لبرنامج التأثير المصاغ. مثل هذه البرامج الهدفية تعالج عادة مسائل في الميدان العملي للحياة الإجتماعية يعتقد بأن إمكانات التخطيط البرامجي- الهدفي لا تنضب بذلك. تُكتشف في العمل الصحفي دائماً إمكان خلق برامج هدفية ترمي إلى دراسة أماكن المرض المحددة في الوعي الإجتماعي. بحكم محليتها والدرجة الكافية من العمل الإداري يمكن لنتائج تحقيق مثل هذه البرامج أن تتثبت بصورة كافية وواقعية (عن طريق استطلاع الخبراء، استطلاعات الراي العام وغير ذلك). بالإضافة إلى ذلك حتى في ظل الفهم

الإعلامي العادي لأهداف التخطيط فإن إقحام برامج هدفية يسمح بتأكيد أهداف عمل الصحيفة والمزج بتفصيل أكثر في هذا البرنامج الجوانب الإجتماعية والتواصلية والتنظيمية في التخطيط.

إن صعوبة وتعقيدات عملية التخطيط، وخصوصية كل مرحلة منها تحتاج من مُنظميه توضيحاً كخصوصيات كل مرحلة ولظروف أدائها الأمثل. يحتاج المنظم المعاصر للعمل الإعلامي الدعائي للصحيفة إلى امتلاك المعارف المتعلقة بعلم الاستقراء ومنهجية التخطيط. مثال: الفشل في أداء وتنفيذ خطط الصحيفة يُفسّر أحياناً بوجود نقاط ضعف المؤشرات الموجودة فيه: من حيث الحجم يمكن أن تتجاوز إمكانات الطبع والدخول في تناقض فيما بينهما (عنوانان لموضوع واحد).

يُطلب من تنظيم التخطيط في الصحافة الحديثة المتطلبات التالية: يجب أن يكون التخطيط في الصحافة وفي أية مرحلة من مراحله مدروساً كجزء من البرنامج الإيديولوجي العام للأفعال.

يجب أن تكون خطة التحرير انعكاساً كاملاً للدور الإجتماعي المطبوعة في نظام الإدارة وأن يمثل برنامجاً ناضباً من الأفعال.

إن أي خطة يجب أن تتوافق من حيث الطبيعة مع الأهداف الموضوعة أمام المطبوعة في هذه اللحظة وكذلك مع الطرائق والأساليب الممكنة لتحقيقها.

يجب أن يكون نظام مؤشرات التخطيط كافياً من أجل انعكاس مضمونه، وفعالاً من وجهة نظر الرقابة على أدائه.

يجب أن تكون عملية التخطيط مُؤمنة في جميع مراحلها بتدابير محددة وملموسة. يتطلع التخطيط المعاصر إلى تقوية نزوع النموذج الإعلامي الكامن فيه. إن الحاجة إلى النظرية - النزعة - تجد تعبيرها في جوانب مختلفة للتخطيط: في السعي لتوحيد الإتجاهات الفكرية الموضوعية المختلفة للمطبوعة بمقاربة

واحدة («وجه الصحيفة»)، في إحداث البرامج طويلة الأجل في العمل التي تُحدد لفترة طويلة ملامح الصحيفة، وفي إقامة نظام خطط يضمن الانتظامية والتسلسل في الانتقال من النماذج المستقبلية إلى النماذج المحددة والعملياتية الجارية. تجدر الإشارة بصورة خاصة إلى أن المطبوعات المعاصرة تسعى إلى نزوع اجتماعي، بحيث تمثل برامجها مساهمة كاملة في تحقيق مهمات الإدارة.

إن السعي نحو النزعة والاتجاه تطرح مع ذلك مجموعة كاملة من المشاكل أمام منظمي التخطيط في الصحيفة. إن وضع اتجاه للمطبوعة يحتاج إلى تصور معمق حول النزعة الإيديولوجية العامة وحول الإتجاهات الأساسية للقيادة العملية وأهدافها ومضمونها. إن مثل هذه المعلومة الوصفية التوجيهية الإرشادية ترد إلى الصحفيين في سياق تحقيق القيادة المهنية للصحافة. ولذلك فإن تصورية (نزعاتية) التخطيط قبل كل شيء تتوقف على فاعلية القيادة المهنية. في الوثائق الحزبية للسنوات الأخيرة كان يؤكد مراراً على ضرورة المقاربة العلمية الأكثر تعمقاً تجاه هذه المشكلات، كما لوحظت أشكال في القيادة مثل الإعلام الدائم للتحرير في الإتجاهات الأساسية للنشاط ومناقشة الحملات الإعلامية - الدعائية الأكثر أهمية وغير ذلك. يُعتقد أن في هذا المجال يوجد أيضاً احتياطات، حيث من شأن إستخدامها أن يسمح بربط أكثر امتلاءً لخطط نشاط الطبع بخطط نظام الإدارة بصورة عامة، للأسف مثل هذه النوع من المعلومات في المستويات المحلية لا ترد دائماً إلى الأجهزة الصحفية أو ترد في صورة متفرقة غير هادفة ومتكيفة قليلاً بالنسبة للجريدة. هذا بالمناسبة ينعكس بصورة مباشرة على التخطيط الطويل الأجل لنشاط وعمل الفرق الصحفية. فالتخطيط طويل الأجل يمكن أن يعلب دوراً كبيراً في نشاط جهاز التحرير وهو الآن يحمل أكثر الأحيان طابعاً تقريبياً، يُفسَّر ذلك بغموض التصورات حول أهداف وطرائق تحقيق الخطط الطويلة الأجل وكذلك وتصور المعلومة التوجيهية من هذا النوع. إن وضع الاتجاه - النظرية - الطويلة الأجل للمطبوعة لا يستطيع أن يوصل فقط إلى خصائصه الداخلية (نظام

العناوين، النموذج، التأليف - البياني وغيره) بدا بحكم العلاقة المتبادلة أهداف التخطيط يحتاج هذا الوضع أيضاً إلى دراسة دقيقة لجميع جوانب نشاط المطبوعة.

تبقى مسألة استقرار التخطيط وتحقيق الدرجة الأكبر للنيات وعدم التبدل مسألة حادة بما فيه الكفاية. في السنوات الأخيرة، في مجموعة كاملة من المطبوعات تمارس بصورة واسعة مثل هذه الطريقة من الحل الجزئي - مثل الخطط - البيانات الشبكية. إن إحداث شبكة دائمة من إحداثيات الطابع الإجتماعي - التواصلي يسمح في ظل إختيار صحيح لها بتحقيق نموذج من الأداء أكثر ثباتاً للمطبوعة، هنا، بالمناسبة نواجه مشكلة عامة بالنسبة لعملية التخطيط - ضرورة إخراج مثل هذا النظام من المؤشرات الذي من شأنه أن يضمن تنفيذ كل مرحلة من مراحل التخطيط. كان يمكن أن يكون أحادي المعنى في التنفيذ وأن يخدم منظماً واقعياً لسيل المعلومات. فمن أجل تعبئة هدف كهذا تقضي الضرورة برأينا بوضع نظام مؤشرات من شأنه أن يعكس خصائص المعلومة التي تعمل في وثائق المطبوعة التخطيطية. القضية هي أن مقاربة التخطيط في المطبوعات وهيئات التحرير، حيث اليوم متشابه أحياناً مع مقاربة إحداث مواد صحفية، في هذه الأنواع من الإبداع والتأليف توجد فوارق نوعية من أهمها أن النموذج المعلوماتي الإعلامي للمطبوعة يعبر إلى حد كبير عن الجانب الإداري للعمل الصحفي. هذا النموذج يجب أن يفهم بمعنى واحد، وأن يتضمن أيضاً هدف وطريقة تحقيقه، وأن يمتلك بارامترات نوعية وكمية، فالنظام القائم بهذا الشكل لمؤشرات التخطيط، إذ تمتلك درجة محددة من الحرية أي إذ تعد بذلك عن الجانب الإحتمالي للتخطيط يجب أن تمتلك في الوقت ذاته خصائص توجيهية الطابع.

مثل هذه المقاربة مهمة للغاية بالنسبة لفهم مثل هذه المرحلة المسؤولة في التخطيط مثل الإشراف على تحقيق الخطة واختبار تنفيذها بصورة إجمالية. يجب القول بأن هذا هو القطاع الأكثر صعوبة والغامض الآن في العمل التحريري. أولاً،

مؤشرات الخطط مُتكيفة بصورة سيئة بالنسبة للتحليل العددي. ثانياً: غير موجودة من الناحية العملية نماذج دقيقة للتقييم النوعي لتنفيذ الخطة وترجمتها إلى «اللغة» الكمية، عندما يبدؤون الحديث في اجتماع خاطف عن هذه المادة أو تلك، فإنه دوماً يوجد أساس موضوعي من أجل تحديد نوعيته، للأسف إن مثل هذه الطرائق الموجهة إلى كم هائل من المعلومات لا تتميز بصدقية الإستنتاج طالما يوجد فوارق كبيرة بين التوصيفات النوعية، لنفترض التحقيق الصحفي الإشكالي وممارسة الحملة. إن فكرة التقييم الكمي لمؤشرات النص هذه كواقع ملح راهن وجديد وقيمة تواصلية تبدو اليوم إلى حد ما غير مألوفة، لكن يُعتقد أن إدخال مثل هذه المنهجية بالذات لتحليل النص والظروف المرافقة له (عنوان، المكان على الصفحة) سيعطي فرصة إحداث نموذج موضوعي اقتصادي للإشراف على سير التخطيط.

إن مستوى الحرفية أثناء إعداد الخطط هو الآن عالٍ بما فيه الكفاية، لكن مستوى الإشراف وإختيار التنفيذ للخطط أدنى بكثير. إن العيوب الأكثر وضوحاً والمرئية أكثر تتلخص فيما يلي: غياب نظام محدد للإشراف والرقابة على تنفيذ الخطط (قلة، حجم المعلومات التي يجري اختبارها وغيرها)، غير واضحة المعاييرفي تقييم جودة تنفيذ الخطط واختبارات المواد من أجل التحليل، العمل المعني بالأمر غير مُرسخ عادة في برنامج عمل التحرير...إلخ. في هذا السياق يسمح الإشراف على تنفيذ الخطة بالكشف عن العيوب في المرحلة الابتدائية الأولية للتخطيط وعدّها إما في سياق تنفيذ الخطة المعنية وإما في سياق إعداد خطة جديدة. في هذا بالذات تنعكس وحدة وتسلسل عملية التخطيط كعنصر دائم في تنظيم العمل الإعلامي الدعائي للصحيفة. غير أنه توجد مجموعة كاملة من مؤشرات المعلومة الصحفية التي وبصورة تقليدية لا يدخل في نظام مؤشرات التخطيط. الحديث يدور حول البنية الإجتماعية للمؤلفين، وحول جغرافية الأعمال والتوصيف الديمقراطي الإجتماعي للشخوص الصحفية وموضوعات الأعمال النقدية للصحيفة. تُعدُّ أهمية هذه المؤشرات عظيمة جداً، حيث إن الحديث اليوم يدور وبإصرار أكبر على

ضرورة التحليل الدوري المنتظم لمضمون الصحيفة من وجهة النظر هذه. ينبغي على منظمي التخطيط أن ينطلقوا من المتطلبات المتكونة بصورة دقيقة تجاه كل فصل من فصول العمل الصحفي (وكم يكون جيداً إذا كان على أساس عددي محدد). إن إدخال وسائل تقنية جديدة بالنسبة للصحيفة وقبل كل شيء الآلات الإلكترونية الحاسبة سينعكس إيجابياً على مجمل التخطيط. وتحديداً أثناء وضع الخطط يمكن أن يحصل التحرير على حجم كبير من المعلومات المسبقة وأن يخسر مجموعة من الاحتمالات الممكنة للخطط. تحصل السكرتاريا في سياق التنفيذ على إمكانية الإعلام المستمر غير المنقطع حول سير أداء وتنفيذ الخطط: في اللحظة المعنية وخلال وقت محدد من الزمن.

الانتقال إلى وسائل تقنية جديدة في التخطيط يحتاج إلى نقدية لاحقة للعمل لتوضيح المسائل الميثودولوجية الاستقرائية والمنهجية في التخطيط وإدخال النتائج العملية لهذه الدراسات في الممارسة الصحفية. على هذا الأساس تُصبح ممكنة أكثر النجاحات عظمة في قضية تحسين مجمل سياق العمل الإعلامي الدعائي في صحافتنا.

الفصل العاشر

الإشراف (الرقابة) على عمل المطبوعات والنشر



الإشراف (الرقابة) على عمل المطبوعات والنشر

يُعدُّ تنظيم الإشراف على التحرير ومراقبته واحداً من الشروط الأساسية لفعالية العمل الصحفي. وحول أهميته تتحدث أيضاً نتائج استطلاع الرأي بطريقة الاستمارات الذي أجري من قبل مؤلف الفصل في عام 2001 مع 215 صحفي من عدة صحف في المحافظات إن ثُلثي الصحفيين ذكروا الإشراف على التحرير والدعم من جانب وزارة الإعلام بما في ذلك العوامل الأساسية التي تحدد نتائجية العمل الصحفي.

يعود مفهوم «الكونترول» إلى الشرائح والفئات الأساسية الأولية لنظرية الإدارة الإجتماعية والمجالات المختلطة للعلوم الإجتماعية. كان بعض الباحثين يؤكدون بأن «التسجيل والرقابة - الكونترول» أهم ما يحتاج إليه الأمر من أجل «التسوية» ومن أجل الأداء الصحيح للمرحلة الأولى في المجتمع النامي».

يفهم من مصطلح التسجيل عملية الاستعلام والمعالجة وتحليل وانتظام المعلومات المتجلية في الشكل الكمي وفي مؤشرات مختلفة تصف نتائج العمل بما في ذلك العمل الإداري.

الكونترول - هو نظام مراقبة وملاحظة لعملية توافق عمل الموضوع مع القرارات الإدارية المتخذة. أثناء الاختبار الرقابي يظهر نتائج تأثير الذات على الموضوع والانحرافات الممكنة عن المبادئ المتخذة بخصوص التنظيم والضبط.

كان الباحثون قد حددوا جوهر الكونترول - الرقابة - بمثابة «تصحيح بارع ومتقن في الوقت المناسب» الحديث بالتالي يدور حول تصحيح العمل في الوقت المناسب، العمل الذي يضمن تطوره طبقاً للهدف الموضوع. توجد أنواع مختلفة من الكونترول: الكونترول الانتظامي والدوري ولمرة واحدة والكونترول العام والانتقائي. وفي كل حالة يتوقف اختبار النوع المحدد على الظروف ومجال الإستخدام.

فالرقابة في نظرية الإدارة الإجتماعية يُحدد المتطلبات التالية: الموضوعية، والفاعلية وقوة التأثير والانتظام والعلنية (الشفافية).

المبادئ المشار إليها مستخدمة أيضاً في العلاقة مع عمل التحرير. والمهم أيضاً أن تكون عملية الرقابة مُنظمة وليست عفوية. يرى ف. غ. أفاناسيف أن «التسجيل والرقابة كشكل خصوصي للحصول على معلومات في السياق الإجتماعي ضروريات أكان ذلك بالنسبة لاتخاذ القرار الإداري أم بالنسبة للتنظيم وكذلك بالنسبة لضبط النظام».

إن الصحافة كأي نوع من أنواع النشاط تفترض المراحل التالية: وضع الأهداف، إستخدام وسائل وطرائق تحقيقها، تقييم النتائج. وبمثابة نظام الأهداف، الذي يعكس الإتجاهات الأساسية لسياسة الدولة تبرز خطة التحرير التي تصادق عليها النخبة الصحفية. فمن مواقع نظرية الإدارة الإجتماعية، فإن الخطة من حيث الجوهر تفي القرار المتخذ. وبالتالي فإن إحدى الوظائف الرئيسية لفريق التحرير مثل الخلية التي يتحقق فيها العمل الصحفي تهدف إلى ضمان رقابة دقيقة وفعالة على تنفيذ القرارات المتخذة».

وفيما يتعلق بالمهمات المطروحة أمام الصحافة فإن مطلب الرقابة يتجلى بوضوح كبير جداً، في بعض الدراسات الإعلامية حيث يُعرض في هذا القرار على العاملين في الصحافة والطباعة والإذاعة والتلفزيون «الوصول إلى إقرار أكيد وتعميم الإجراءات العملية بخصوص الإشارات النقدية التي تفتح باب الخبرات التقدمية بهدف إدخالها في كل ميدان».

وتقضي الضرورة أيضاً حسبان ظرف آخر لا يقل جوهرية: تدخل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في نظام مؤسسات الإدارة الإجتماعية. تستخدم الدولة الصحافة والإذاعة والتلفزيون بمثابة أدوات في غاية الأهمية للتأثير على وعي الأفراد وعلى الممارسة الإجتماعية الجارية. وبالتالي فإن الرقابة المهنية (هذا

المصطلح يعني نظاما الأفعال والعمليات الإبداعية والتنظيمية المختلفة - توزيع المطالب والاستفهامات والفرص والعمل مع الردود...إلخ). تستكمل بالرقابة السياسية (مختلف أشكال القيادة التي تُدخل التحليل المنتظم للعمل في المجموعات الصحفية، والقرارات والتوجيهات الفكرية التي تتبلور على هذا الأساس.

إن متابعة النتائج وتقييمها وتعميمها مهمة أيضاً وذلك بسبب أن ذلك يُعدُّ وسيلة فعالة لتربية الجمهور وتكوُّن العلاقة الضرورية العكسية. فالقارئ يتابع بإهتمام أقوال الصحافة ويستجيب إليها بنشاط. ليست قليلة الحالات عندما ترد إلى هيئة التحرير ردود حول التدابير والإجراءات المتخذة في المنظمات غير المرتبطة مباشرة بتحرك ملموس للصحافة.

إن غياب المعلومات في حينها حول نتائج التأثير الصحفي، يضلل الجماهير ويضعف العلاقة العكسية (رد الفعل) ويخفض سمعة الصحيفة وهذا ما تؤكده بقناعة رسائل القَرّاء. لنسوق بعض الأمثلة من بريد «الثورة»:

«يحصل أن تُطرح في الصحيفة مسألة ضرورية ومفيدة أما العاملين الذين يتوقف عليهم الحل والتنفيذ لا يتخذون إجراءات وتدابير وبالتالي تكون النتيجة لاشيء - طلق ناري خُلّبيّ. يعتقد أن هيئة التحرير يجب أن تسوي مسألة حسبان فاعلية الأقوال والحركات. إعلام القراء باختصار عنها. المعنى من كل ذلك - رفع فاعلية الصحيفة.

«ومن أجل أن يصل القراء إلى قناعة في فاعلية الصحيفة من الضروري نشر الرد على كل ملاحظة نقدية، أؤكد على كل ملاحظة نقدية».

نُشرت في الصحيفة (ف. ف. ستانكيفيتشس، مدينة زابوروجيه). في أقوال الصحف وكأحد أشكال قيادة وإدارة المطبوعات ذات المستوى «المتدني» ليس نادراً ما تُبحث فكرة الرقابة الضرورية على نتائج المطبوعات.

يوجد قول ذو قيمة كبيرة في إحدى هذه الأقوال التي كتبها د. نوفوبوليانسك. «يمكن أن يكون ثمة معنى، كل 10-15 يوماً إعداد نشرة عن المطبوعات الأكثر أهمية والتي ظهرت في الصحافة دراسة هذه النشرة بإهتمام وتحليلها؟ ويستحق الأمر كذلك الاستماع إلى مقترحات تنظيم السجل والمحاسبة الصارمة والرقابة الدقيقة على فاعلية ما تنشره الصحف وهنا ليس فقط ما يتعلق بالنقد، وذلك من أجل الرد المناسب وفي الوقت المناسب على أي واقعة ذات علاقة غير صحيحة تجاه الكلمة الصحفية وعلى محاولات التملص الملاحظة العادلة والتنصل بالجواب الشكلي.

وهكذا فإن الرقابة على التحرير - محطة موضوعية في تنظيم العمل الصحفي. تقوم مبادئ هذا العمل ووظائفه على أسس النظرية العامة للإدارة الإجتماعية أما الأشكال والطرائق فتتوافق مع خصوصية أداء الصحافة.

وبفرض توضيح المشكلات المتعلقة بالمحاسبة والرقابة على ممارسة أعمال التحرير تم إجراء دراسة خاصة تتضمن استطلاع استماراتي وتعرف مباشر على وضع الرقابة في مجموعة من هيئات التحرير. وردت الردود والإجابات من الصحف المركزية و بعض صحف المحافظات

بيَّنت الدراسة بأنه في جميع مؤسسات التحرير تمارس المحاسبة والتسجيل وتحليل الرسائل ويجري تقييم إنتاجية كل صحفي وعمل كل قسم أو كل قطاع.

المؤشر الأكثر انتشاراً - كمية الأسطر، جودة (نوعية) «المنتج» الصحفي تُقيَّم بمقدار معروف ذاتياً. هنا وليس نادراً ما يحصل استقراء لنتائجية أفضل المواد، كما لو أنه تقدم سلفة إلى الأمام. ما يخص النتائج النهائية الواقعية فإن اعتبارها وتسجيلها وتقييمها صعبة للغاية لأن ميكانيكية تأثير الصحافة على الجمهور لم تدرس بما فيه الكفاية. إن منهجية تقييم فاعلية الأنواع المختلفة من المواد المتميزة ليس فقط بالأهداف، بل

وبجودة التنفيذ غير موجودة حتى الآن. إن تصوراً محدداً حول مستوى الدلالة الإجتماعية لهذه المطبوعة أو تلك تعطيه إشارات مختلفة للعلاقة العكسية - الرسالة، رنين الهاتف وغير ذلك. بالإضافة إلى ذلك تعلّم علماء الاجتماع تحديد درجة «مقروئية» المواد في هذا الموضوع أو ذاك (الموضوعات الاقتصادية والأخلاقية والرياضية وما شابه ذلك) وبعض المؤشرات الأخرى لفاعلية العمل والجهد الصحفي. إن النتائج المماثلة غير المباشرة مفيدة أيضاً طالما أنها تقدم المعلومات من أجل تحليل أسباب نجاح أو فشل عمل الصحفيين.

حسب بعض أنواع المطبوعات (الهادفة إلى تحقيق التعديلات الإجتماعية الملموسة في فترات قصيرة بما فيه الكفاية) يمكن مراقبة وحسبان النتائج المباشرة الملموسة. إذا كانت هذه مادة إشكالية فإن نتيجة مثل هذا التحرك سيكون القرار الإداري. فالتحرّك النقدي يجب أن يجر وراءه استبعاد نقاط الضعف. إن التجربة الإيجابية المعروضة على صفحات الصحيفة يجب أن تنتشر وتتعمم. نسمي الأنواع الثلاث المذكورة من المواد بصورة شرطية «مؤثرة وقوية التأثير».

إن تحليل الردود الواردة بيّن أن الكونترول في غالبية المطبوعات المدروسة يتم حسب المخطط التالي.

«إن جميع الأفعال النقدية - يقول رئيس قسم الأخبار المحلية في هيئة تحرير صحيفة «كمونار» (مدينة تولا) توجه من قبل العاملين في قسم الرسائل إلى رؤساء الأجهزة الصحفية وإلى مديري المؤسسات والمنظمات. تحصل عملية الإرسال وفق نموذج خاص يُثبت في دفتر خاص لتسجيل الملاحظات النقدية: اسم المادة، تاريخ النشر، القسم الذي أعَدَّ الموضوع، لمن وإلى أي مكان أرسلت المادة من أجل اتخاذ التدابير، متى ورد الجواب ومتى نُشر أو أُجّل إلى الأرشيف. يُرفق بكل رد غير مطبوع توضيح رئيس القسم.- وبأي

سبب يستحيل إستخدام الإعلام على صفحات الصحف. فمن أجل مراقبة ورود الإجابات على كل منها تُعتمد بطاقة تسجيل يوقع عليها رؤساء الأقسام عند الاستلام. هذه البطاقات توجد في قسم الرسائل. عند المراقبة الشهرية للأقسام الخاصة بالعمل مع الرسائل الواردة من الشغيلة، يُختبر ويُراقب أيضاً إستخدام الردود حول التدابير المتخذة بخصوص الملاحظات النقدية. حول نتائج الاختبار والمراقبة يقوم رئيس قسم الرسائل بالإعلام في هيئة التحرير وفي الاجتماعات الخاطفة.

· يوجد في مجموعة من الفرق والجماعات ميل إلى الخبرة التنظيمية المتنوعة. مثال: في هيئة تحرير **صحيفة تشرين** يوجد تقليد لمساعدة مديري المؤسسات والمنظمات في الصياغة الصحيحة للردود الرسمية في الحالات، التي يتكون فيها التدابير الفعلية غير مُتخذة بخصوص التحرك، مثل هذا «المعيار» يترك تأثيراً تربوياً مُعيناً، إنه يخدم بمثابة موجه بالنسبة للشخصيات الرسمية. تقوم الجريدة وبصورة ليست نادرة بتكليف المؤلفين غير العالمين فيها بمراقبة واختبار صحة الردود. اعتمدت هيئة التحرير حوافز مادية مقابل العمل الخاص برفع الفاعلية. غير أن نظام التشجيع مُعتمد لكن ليس في جميع المجوعات العاملة، إن إستخدام الأشكال المختلفة للحوافز المادية والمعنوية في تنظيم الرقابة على التحرير - احتياطي جوهري لرفع نتائجية الجهد الصحفي.

إذا ما قمنا بصورة إجمالية بوصف نظام الرقابة على قوة التأثير في هيئات التحرير، فإنه (في غالبيته) يتألف من المراحل التالية:

أ- من جرد المراسلات الذي يتضمن تسجيل الرسائل والمواد النقدية وإستخدام نظام النماذج المرافقة للمواد وغيرها.

ب- تقييم الردود،

ج- إستخدام الردود (نشرها، التعليق، المواد التعليقية على أساسها، والتنويهات في الخطابات والحركات المتكررة).

بصرف النظر عن أن النظام الرقابي المعني يستخدم في معظم أسر التحرير، فإن فاعليته ليست عالية دائماً. إذا ما حكمنا من خلال الردود على الاستمارة فإن القسم الأكبر في مجموعة من هيئات التحرير بين الردود الواردة إلى التحرير، كما يتحدث الصحفيون - هو «جوابات وردود شفهية». السبب الأكثر احتمالاً لمثل هذه الظواهر - سلبية هيئات التحرير نفسها.

وكما أشير في إحدى الدراسات الاعلامية «ينبغي الرد ليس على ظواهر الغرور والعجرفة البيروقراطية الواضحة وفقدان الشعور بالمسؤولية فحسب بل على مختلف محاولات القرارات والحلول الروتينية لهذه المشكلة أو تلك المطروحة في الصحافة وتفريغها من جوهرها».

إن الدوريات إذ تكافح هذه النزعة السلبية وبالاعتماد على الأحكام التشريعية القائمة تحدد وقتاً من 10-15 يوماً لإعداد ردود المؤسسات والأفراد على الحركات النقدية للصحافة. موقف أنه كلما كانت عملية التفاعل الإعلامي المتبادل للحصول على إشارة «العلاقة العكسية» أكثر تماسكاً من حيث الزمن، كلما تحققت بصورة أسرع النتيجة الإجتماعية الضرورية وبالتالي كلما عملت الجريدة بصورة «اقتصادية أكثر».

لكن وكما يُبين النقد فإن الوقت الذي تخصصه هيئات التحرير مقبول ليس لكل مادة أبداً. إنه يتألف من الأجزاء التالية: زمن الإرسال (الاستفسار، يمكن أن يتأخر في الصحيفة أيضاً، أما الموعد فيوضع فيه)، ومن الوصول البريدي، فترة تحليل المطبوعة (الرسالة) من قبل المرسَل إليه، زمن إعداد واتخاذ القرار الإداري، فترة تنفيذه، إعداد الرد، زمن الوصول البريدي إلى الصحيفة، إن وقتاً بريدياً واحدة يمكن أن يُشكل (حسب ابتعاد الذات) حتى خمسة أيام. إذا ما سمح بذلك،

فإن الظرف القاضي بأن الشخص المسؤول لن «يزج نفسه» مباشرة في العملية التي ننظر نحن فيها، فإن الوقت المشار إليه في الاستفهامات الواردة من التحرير يبدو غير كافٍ بكل وضوح من أجل تحقيق النتائج المرجوة.

من الضرورة بمكان أيضاً الأخذ بالحسبان أنه وعلى صفحات الدوريات المطبوعة كثيراً ما تظهر منشورات تحليلية متعددة الخطط تعكس العمليات المعقدة في الحياة الإجتماعية والمشكلات المطروحة فيها من المستحيل أحياناً حلها بصورة عملياتية.

في الكثير من النماذج التي ترافق إلى العدد أو إلى الرسالة توجد جملة: «يُرجى إعلامنا بالتدابير المتخذة».

ماذا تتوقع هيئة التحرير؟

الحالة في بعض الأحيان لا تتكون بصورة أحادية المعنى. فالصحيفة يجب أن تمتلك تصوراً عن حالة موضوع التأثير وبالتالي افتراض الردود المحتملة. يمكن إبراز ثلاث أنواع منها: أخبار عن التعديلات الملموسة لحالة الموضوع، معلومات عن اتخاذ القرار الإداري، الجواب الشكلي. وحسب ذلك تقوم هيئة التحرير بتحديد برنامج التحرك – الفعل – بالنسبة للصحيفة من المهم النتيجة النهائية التي تتحقق في إذا ما تم اجتياز جميع المراحل السابقة عملياتياً، بما في ذلك زمن مكافحة «أصحاب الردود الشفهية» و«الصامتين». في فترة 10–15 يوماً في أفضل حال يمكن تحقيق اتخاذ قرار إداري فقط.

وكما تُبين الردود من هيئات التحرير فإن بعض الدوريات تستخدم بنشاط الهاتف والتلغراف من أجل اختصار زمن تحقيق نتائج ملموسة. توجد احتياطات أيضاً في تنسيق (مثال صحيفة المحافظة يمكن أن تُكلف «صحيفة المنطقة» لتحقيق الرقابة على مطبوعة من مطبوعاتها).

إن الزمن الذي تعرض الصحيفة من أجل إبعاد العيوب ونقاط الضعف يجب أن يكون واقعياً: إنه يتوقف كما سبق وقلنا على حالة موضوع التأثير.

المطلب العام والموجه موجودون «المقترحات الواردة من هيئة تحرير الصحف والمجلات والتصريحات وشكاوى المواطنين وكذلك الخطابات والحركات المتعلقة بحلها وكذلك المواد الأخرى المنشورة في الصحافة تُدرس في النظام وفي الأوقات التي رسمها هذا المرسوم». إنه - الوقت - شهر من تاريخ الخطاب أو التحرك. إن هيئة التحرير إذ تعرف وضع الأمور في مكانها تستطيع بشكل متمايز تحديد أوقات ورود المعلومات من المرسل إليهم. في ظل نظام كهذا من شأن الفاعلية ا لرقابية أن تتعاظم ومن شأن كمية الردود الشكلية أن تتقلص.

تبرز أيضاً إحدى نقاط الضعف الجوهرية في نظام الرقابة التحريرية. إنه يفترض الرقابة بصورة إجمالية على قوة تأثير هذه المادة أو تلك. لكن كيف نُقيّم عمل كل صحفي؟ والقطاع (القسم) ومجموعة المحررين؟ لا يوجد في الاستمارات إشارات إلى أن مؤشرات تقييمية من هذا النوع مُدخلة في أي من أمور التحرير والنشر.

إن الإطلاع المباشر على وضع الرقابة في بعض هيئات التحرير بيّن أن التحليل يجري في أبسط الأشكال - تُحسب وتقارن كمية المواد النقدية (لنقل عن شهر) والردود. فيما بعد تقارن المعطيات التي تم الحصول عليها مع النتائج المماثلة في الفترة المنصرمة. لكن مثل هذا العمل لا يجري في كل مجموعة. وتدل على ذلك أيضاً الاستمارة. من الواضح تماماً أنه في ظل هكذا نظام لا تؤخذ بعين الحسبان جميع «العناوين» (في مادة واحدة يمكن أن تكون عدة مواضيع مادة للنقد). يوجد احتمال مفاده أن المواد الإشكالية بصورة عامة لا تؤخذ بالحسبان في هذا الشكل المعني لحساب. ما يتعلق بالمطبوعات الحاوية على الخبرة والتجربة الطليعية فإنها من الناحية العملية لا تُعدُّ مادة للرقابة الصحفية، إن الاستفسارات ذات الطابع التحريري لا تُوزَّع. بالتالي فإن النظام المعتمد في التحرير لا يسمح بتقييم درجة تحقيق إمكانات الدورية المطبوعة.

وكمثال نسوق بعض المعطيات التي تصف وتميز فاعلية تحركات صحيفة «تشرين». من كانون الثاني على 2000لغاية أيار عام 2002 طُبع في الصحيفة حوالي 600 مادة نقدية كبيرة، وثم نشر حوالي 500 رد حول التدابير المتخذة، بهذا الشكل فإن المُعامل الشرطي للفاعلية وقوة التأثير يشكل 0.83٪ (علاقة كمية الردود بعدد المواد).

هل يعكس المؤشر العالي بما فيه الكفاية (ليست جميع الردود يمكن أن تستخدم، فالردود الشفهية تحتاج إلى عمل إضافي) المشهد الفعلي للنتائج التي حققتها الصحيفة؟ حسب رأينا، لا! القضية هي في أن حل المشكلة المعروضة في هذه المطبوعة أو تلك تتوقف أحياناً كما سبق وذكرنا على مجموعة من المرجعيات («العناوين» حسب الرمز الذي نضعه). لم تحتوي كل مادة على ذلك؟

خلال عام واحد تم بصورة عفوية إختيار ثلاث مجموعات من الأعمال الإشكالية والنقدية (10 في كل واحد). بلغت كمية «العناوين» لكل مجموعة: بالنسبة للإشكاليات - 23-24 «عنوان»، بالنسبة لما يتعلق بالنقد 21 -23.

بحسبان أنه لا يوجد انحرافات في المجموعات فقد أصبح الاختبار اللاحق بلا معنى. بهذا الشكل يصبح لكل مطبوعة إشكالية 2.37 «عنوان» ولكل مادة نقدية 2.1. المؤشر الوسطي يساوي 2.2.

المناسب أكثر من وجهة نظرنا، مقارنة النتيجة الحاصلة بالنتيجة المتوقعة. فمن أجل تحديد «مُعامِل الفعل المفيد» للصحيفة سنستعمل أحد المؤشرات التي اقترحناها نحن - سنستعمل علاقة كمية الردود المطبوعة بعدد «عناوين» النقد. في المخرج (مع حسبان معامل العناوين») سيكون 1320 عنوان «محتمل». بالتالي KПD - معامل الفاعلية يُشكل 0.37 أو 37٪ أي أدنى بصورة كبيرة من ذاك الذي حصل من قبل. لقد عَبَرَ قسم التحقيقات خلال الفترة ذاتها ما يزيد عن 50 مادة. طبع 38 رداً معاملات الفاعلية (KD) تبلغ 0.76 (76٪) و0.34 (34٪).

قسم الاقتصاد قدم على الصفحات 134 مطبوعة. عدد الردود 54 و KD = 0.4 (40٪) أو 0.18 (18٪).

وكما نرى في ظل وجود بعض المعطيات الأساسية فإنه من الممكن الحصول على نتائج تُبين مستوى فاعلية وتأثير الصحيفة بصورة عامة ولكل قسم من أقسامها. المفهوم تماماً أنها فقط عن قرب تُقيِّم نتائج العمل ومع ذلك تعطي فرضية إبراز الأماكن «الضيقة» في عمل طاقم التحرير.

بوجود الجرد الجيد والمعلومات الضرورية يُتاح إمكان إستخدام مجموعة من المؤشرات مثل المعامل (K) على سبيل المثال الذي من شأنه أن يعكس درجة إستخدام نظام الرقابة على الفاعلية وقوة التأثير.

$$K = \frac{\text{كمية الاستفسارات المرسلة}}{\text{كمية «عناوين» النقد}}$$

فمن أجل الخدمة التحليلية للصحيفة يمكن أن يكون مفيداً المُعامِل الذي يعرض درجة «حيوية» الجمهور ونشاط ومستوى إدراك وتنفيذ «معيار» حتمية رد الفعل على التأثير المعلوماتي. (نلاحظ أن المطلب ذاته الوارد في الرد على التحرك النقدي ليس معياراً اصطناعياً بل تعبير عن الضرورة الموضوعية في «العلاقة العكسية» كمحطة أكيدة في العملية الإعلامية).

يمكن أن يكون مثل هذا المعامل:

$$K_2 = \frac{\text{كمية الردود الواردة}}{\text{كمية الاستفسارات المرسلة}}$$

هذان المؤشران برأينا لا يعكسان بصورة كاملة عمل التحرير في مجال تحقيق الفاعلية. إنها لا تتناول واحدة من المشكلات المهمة جداً، وبالذات العمل مع الردود. أحياناً يكتفي التحرير ويقتنع بالردود الشفهية للمسؤولين ولا يوصلون العمل المطبوع إلى نهائية ولا يعملون على اتخاذ إجراءات فعالة.

إذاً ما قُمنا بإدخال المعامل الثالث (K_3)، الذي يُبيِّن العلاقات التناسبية التالية:

$$K_3 = \frac{\text{كمية الردود المطبوعة}}{\text{كمية الردود الواردة}}$$

يكون بالإمكان مشاهدة كيف يعمل طاقم التحرير بردود القادة. هذا المعامل يُبين هل تقتنع هيئة التحرير وترضى بالردود الشفهية، أم أنها تعمل بإصرار من أجل اتخاذ إجراءات فعالة؟. في حالات إستخدام الردود في التعليقات والأقوال يدخل في البسط ردود مستعملة.

وبما أنه في مادة واحدة يمكن أن يكون عدة موضوعات تأثير، فإننا نعتقد أنه من المناسب اقتراح المعامل التالي (نسميه K_1):

$$K_1 = \frac{\text{كمية الردود المستعملة}}{\text{كمية عناوين النقد}}$$

بفضل هذا المؤشر يمكن تقييم عمل جهاز التحرير. فهو أيضاً مقبول بالنسبة لتقرير هيئات التحرير حول العمل المنجز أمام الجهات المسؤولة. فبفضل هذا المُعامِل يمكن تقييم عمل كل قسم / قطاع/ أيضاً. في مثل هذه الحالة يمكن بدل «الردود المطبوعة - المنشورة» إدخال الردود المقترحة للطبع إلى البسط وبكلام آخر، إدخال الردود التي وصلت إلى الأمانة (أمانة السر) من الأقسام.

من الضرورة التأكيد على أن المؤشرات المقترحة يجب ألاّ تكون بديلة عن النظام القائم في هيئات التحرير، المتعلق بالرقابة على واقع المواد النقدية ولا بأي شكل من الأشكال. إنها تستطيع فقط استكمال هذا النظام وهي بصورة أساسية مخصصة للرقابة الذاتية داخل هيئة التحرير (تقييم عمل الأقسام) وكذلك من أجل الرقابة على عمل جهاز التحرير من جانب الجهات المسؤولة. مثل هذا النظام عن الرقابة داخل هيئة التحرير لأداء نظام الفاعلية سيساعد في رفع عمل هيئات التحرير ذاتها إلى مستوى جديد لتحقيق فاعلية عمل الصحيفة. هذا النظام يسمح بالتحليل والتقييم رياضياً لعامل مهم في تحقيق فاعلية الأعمال الصحفية - الرقابة من جانب هيئة التحرير.

فالمُعاملات المقترحة تقدم فرصة لتحليل عمل هيئة التحرير خلال فترة زمنية مُعينة إذا كان بالإمكان إجراء تكديس للمعطيات وتقييم مسبق شهرياً، فإن تحليلاً كاملاً يكون مناسباً في رأينا إذا ما أجري كل ربع سنة. خلال هذه الفترة يجري نشر كمية كافية من المواد التي تحتاج إلى رقابة هيئة التحرير. هذه الفترة كافية تماماً أيضاً من أجل اتخاذ إجراءات (قرار إداري)، وكذلك من أجل الإعلام عنها. إننا ننطلق أيضاً من مقدمات أن عملية طباعة مثل هذه المواد، شأنها شأن الحصول على الردود من جانب هيئة التحرير متساوية نسبياً.

تقوم الأقسام - القطاعات - المعنية بالرقابة الجارية على نتائجية كل عمل، أما ما يتعلق بالردود التي وردت على المواد المنشورة في الفترة التي سبقت فترة التقرير، فإننا نعتقد ونفترض أن هيئة التحرير ستستلم الكمية ذاتها، لكن في الربع القادم على المواد المنشورة في نهاية الفترة - مادة التحليل. بهذا الشكل خلال الفترة المحدودة المختارة من الزمن يجري حساب وجرد جميع دفوعات العملية الإخبارية.

ليس نادراً ما تُستخدم المواد التي تُعرض تحت عنوان «على خطا سلوكنا» وما شابه ذلك، تُستخدم بصورة غير مثمرة ومن حالة إلى حالة. إن سوء تقييم أهمية هذه المطبوعات يعني، من حيث الجوهر، ازدراء لنتائج العمل الذاتي الشخصي. ففي هذه المواد يكمن تأثير تربوي كبير، إنها تخلق شعبية للمطبوعة. إن تعميم الردود مهم أيضاً، وذلك لأن ذلك «يستفز» إشارة «العلاقة العكسية» في تلك الحالات، عندما يكون الرد لا يتوافق في شيء، معين مع الوضع الحقيقي للأمور. إن رد فعل الجمهور يسمح للصحيفة بصورة عملياتية بإختيار الشكل الضروري للتأثير المعلوماتي الإعلامي (خطاب عمل مكرر، تعليقات على الرد وغير ذلك).

تُعدُّ نتائج العمل الصحفي - «لوحة من المؤشرات» الخاصة وهي يجب أن تكون متوضعة في مكان بارز ودائم في الصحيفة. يُعتقد بأنه يوجد سبب ودافع لمساندة مبادرة «تشرين» التي تقدم باستمرار تقارير أمام القارئ على صفحة خاصة ذات فاعلية. الشفافية (العلنية) الموضوعية بمهارة - عامل مهم في رفع فاعلية الصحيفة وقوة تأثيرها.

تبيِّن الممارسة العملية بأن عدم مراعاة هذه الشروط والمتطلبات في الرقابة مثل الموضوعية والفاعلية والانتظام والشفافية، يُخفض من ريعية الأعمال الصحفية، فالجرد الدائم والدقيق جداً لجميع أنواع التأثير الصحفي، ونتائجها ضروري، والتحليل المنتظم لهذا العمل الذي يسمح بتقييم درجة تطابق النتائج مع الأهداف وكشف أسباب الإعاقات التي تبرز، بالتالي الحديث يدور حول تنظيم نظام الرقابة، هذا النظام الذي يعمل بصورة دائمة ودقيقة وبدون تعطل.

الرقابة على فاعلية أعمال الصحف ومنشوراتها - من أهم قطاعات عمل هيئة التحرير. إن هدفها يكمن في تأمين، إنجاز النتيجة النهائية (المُستقرأة). إنه شرط ومطلب موضوعي نابع من وظائف الصحافة.

يجب ألا تكون المواد النقدية والإشكالية فحسب، موضوعاً للرقابة من جانب هيئة التحرير، بل والمطبوعات التي تحتوي على الخبرة الإيجابية. فالنتيجة النهائية للصحيفة في هذه الحالة - نشر وتعميم الخبرة، وإدخالها في الممارسة الإجتماعية. فمن أجل تحقيق الأهداف المشروطة بما تُعنيه الصحافة والإذاعة والتلفزيون تكون ضرورية الرقابة الجارية على فاعلية وقوة تأثير المواد والمطبوعات النقدية والإشكالية التي تغطي الخبرة الإيجابية.

إن الرقابة المنتظمة الشاملة على فاعلية نشاطات الصحافة والإذاعة و التلفزيون من المناسب أن تجري مرة واحدة على الأقل في ربع سنة أو كل ستة أشهر.

فإستخدام الرقابة سيسمع وإلى حد كبير بالكشف وبالإستخدام المثمر للإمكانات الموضوعية الكافية في طبيعة الصحافة ذاتها، فالرقابة الإلزامية الجارية بصورة منتظمة عَلى الفاعلية في جميع المستويات مدعوة (إلى جانب العوامل الأخرى - نمو الحرفية الصحفية، تحسين القاعدة الطباعية البوليغرافية وغيرها مهم للمساعدة في النمو الملحوظ لتأثير الصحافة على الحياة الإجتماعية.

الفصل الحادي عشر

تنظِيم التعاون الجماهيري مع هيئة التحرير



تنظيم التعاون الجماهيري مع هيئة التحرير

بين طرق العمل الصحفي تحتل مكاناً مهماً طرائق تنظيم تعاون الشغيلة في هيئات الإعلام. فالإهتمام بهذا الجانب من نشاط هيئات التحرير محدد بمهمات رفع فاعلية الصحافة السورية وبتحسين طرائق العمل الصحفي، وكذلك محددٌ بأن الصحفيين الشباب لا يمتلكون بدرجة كبيرة منهجية العمل المناسبة. وحسب آراء الممارسين العمليين، فإن كثيراً ما يعبرون عن رفضهم أو لا يجيدون العمل مع الرسائل والمحررين (المؤلفين). حول هذا الأمر وتحديداً تدل نتائج البحث الاستقرائي الذي أجراه قسم الاعلام لدراسة أداء الصحافة والإذاعة والتلفزيون في كلية الاداب و العلوم الإنسانية بجامعة دمشق.

يوجد في أساس العمل التنظيمي الجماهيري لهيئة التحرير واجب على الصحفيين بالقيام بصورة دائمة، بحسبان الرأي الإجتماعي وتلبية استفسارات الجماهير العريضة وتوفير الإمكانات لهذا عبر أقنية الصحافة والإسهام في خدمة وحل القضايا الإجتماعية والمهمات الحكومية. هذا الدور لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية يتعاظم في أيامنا نظراً للانتشار المتعاظم للديمقراطية الاشتراكية، فالصحفيون شأنهم شأن العاملين في أجهزة الإدارة يجب أن يعملوا وأن ينظموا المعلومات الواردة من الجمهور والخروج على أساس تحليلها «بنتائج واستنتاجات ضرورية»، «ونشر أسماء الشغيلة بصورة منتظمة»..إلخ.

من الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن اتجاه العمل هذا في هيئة التحرير أصبح يُسمى عملاً تنظيمياً، فإن على الصحفي في إطاره أن يمارس الأنواع المختلفة من النشاطات.

إن تنوعها يؤكد الإستنتاج حول أن الصحافة «تمثل مزيجاً خاصاً وفريداً من الأنواع والأشكال المختلفة للنشاط». أما طريقتها فتُعدُّ متعددة التراكيب،

وهكذا، في حالة كحالتنا يدخل في مهمات الصحفي العمل مع الرسائل وأعمال ومؤلفات المؤلفين غير الموظفين في هذه المؤسسة أي العمل مع المادة ا لوثائقية من ناحية أخرى - قيادة وتنظيم هذا النشاط غير المهني المعلوماتي والتواصل مع العمال في الريف وغيرهم من المراسلين الإجتماعيين.

حسب المضمون يمكن أن تُبرز الأنواع التالية من العمل في عمل الصحفي مع الرسائل والمراسلين الطوعيين - المتطوعين:

1- النشاط الإطلاعي، حيث ينتمي إليه تصنيف وتعميم وتحليل البريد في قطاعات الرسائل والدراسة الفردية للرسائل من قبل الصحفيين من قطاعات أخرى (هيئات تحرير) وكذلك مراقبة الرسائل.

2- العمل على خلق وإعادة معالجة المعلومات التي ينتمي إليها إعداد ووضع نصوص الرسائل وأعمال ومؤلفات من غير العاملين وتحضيرها للطباعة والنشر أو لبثّها عبر الأثير/ على الهواء/ بما في ذلك رسائل مُعينة وصفحات كاملة وانتقاءات وإصدارات، وكتابة نبذات من الرسائل وإعداد تقارير منها وبيانات من أجل المؤسسات والمنظمات، وبالتالي الإستخدام الإبداعي للرسائل في المواد الصحفية الخاصة.

3- العمل الذي يخطِّط - إستخدام الرسائل ومؤلفات الأفراد من غير العاملين في التخطيط المستقبلي الجاري لعمل هيئة التحرير ولبعض أقسامها والإبداع الفردي للصحفي، يمارس الصحفي التخطيط أيضاً أثناء تنظيم نشاط وعمل المراسلين الإجتماعيين الدائمين، بهدف ربط إبداعهم بصورة وثيقة أكثر مع محتوى عمل هيئة التحرير لديهم.

4- النشاط التنظيمي العملي للصحفي تجاه البريد والمراسلين الإجتماعيين، هذا النشاط الذي يتلخص في جذب مؤلفي الرسائل الأكثر أهمية وإثارة نحو التعاون الدائم ونحو مراقبة وإختيار الرسائل (من هيئة التحرير أو مع السفر

إلى مكان)، إعادة إرسال الرسائل إلى المنظمات والدوائر من أجل اتخاذ التدابير ومراقبة وتنفيذها، وكذلك مراقبة سير الرسائل داخل هيئة التحرير (وظيفة العاملين في قسم الرسائل)، في الردود على الرسائل في العمل الذي يسبقها.

وفي الوقت ذاته يمارس الصحفي أنواعاً أخرى من النشاطات التي تبدو وثيقة بالعمل التنظيمي العملي. ففي سياق مراقبة الرسائل يقوم بدراسة الحالة المستجدة وشخصية المؤلف نفسه، عند الإجابة على الرسائل يدرس المعلومات الواردة من المختصين ويتعرف على الأدبيات الضرورية أي يقود ويمارس عملاً إطلاعياً معرفياً.

ففي إطار النوع التنظيمي العملي يتدرج العمل المتعدد الأنماط للصحفيين في قيادة وتنظيم حركة المراسلين الزراعيين والعمال والتعاون مع هيئات تحرير العاملين النشطين وغيرهم من شراء المراسلين الإجتماعيين. بتكليف وباشتراك ومساهمة الجهات المسؤولة تمارس هيئات التحرير ذاتها، واللجان في التلفزيون والإذاعة، قيادة مباشرة للمراسلين الإجتماعيين ولتنظيم علاقاتهم الجماهيرية، حيث يرمي عملهم ليس فقط إلى خلق وإبداع أشكال ملموسة لمشاركة المواطنين في العمل الصحفي، بل وإلى القيادة والإرشاد الفكري - السياسي لهذه الحركة وتربية وتدريب المراسلين الإجتماعيين. بهذا الشكل نجد التحاماً وتشعباً في مختلف أنواع نشاط الصحفيين.

من أجل ماذا احتجنا إلى تعداد جميع أشكال عمل هيئات التحرير التنظيمي الجماهيري؟ ليس من أجل التأكيد مرة ثانية على صعوبة وتنوع العمل الصحفي وبكل هذه البساطة. المهم هو أن نُبيِّن أنه خلال دراسة طرائق تحسينه المنهجي والاستقرائي من الضرورة بمكان الانطلاق من وجود أنواع مختلفة من النشاط فيه. إن تنوعها يعني تنوع طرائق وأساليب تحقيق هذا العمل. فبتحسين عمل الصحفي ينبغي أن نرى مكان كل طريقة في مجموعة وسائل العمل الصحفي، في النظام العام لطرائقها.

إن طريقة أي عمل تتوقف على أهدافه وعلى طبيعة الموضوع الذي يتجه إليه. هنا وكثيراً ما يصل في الممارسة العملية أن يسبق تطور الطريقة إدراكها وفهمها والوصف الصارم لأساليبها الفنية وتسلسل عملياتها المنفصلة. بهذا بالذات تتميز طرائق العمل الصحفي، والفهم النظري، حيث نشطت دراستها فقط في الفترة الأخيرة، وإذا ما تحدثنا بقسوة أكثر فإن مفهوم «طريقة» لا يُستخدم طبقاً للجميع.

أحياناً يمكن الحديث فقط عن الطرائق القائمة من العمل. ينبغي أيضاً الأخذ بالحسبان أنه في إطار العملية التي نقوم بدراستها في هيئة التحرير الصحفي، وكما هو في حالات أخرى، بإستخدام الطرائق التجريبية المقتبسة من ميادين أخرى من العمل والنشاط وتحديداً من العلوم الإجتماعية. يحصل إستخدامها أيضاً في الصحافة كما هو في أي عمل معرفي آخر، في مستويين اثنين – في المستوى التجريبي العفوي أي في مستوى الوعي الاعتيادي المبتذل وفي المستوى العلمي.

وكما ذكرنا سابقاً يتعامل الصحفي في عمله التنظيمي الجماهيري مع موضوعين اثنين مختلفين مبدئياً – وثيقتين، تنتمي إليها الرسائل ومواد المؤلفين غير العاملين ومع المراسلين الإجتماعيين أنفسهم.

في إطار كل موضوع من هذه الموضوعات توجد اختلافات وفوارق، الأمر الذي يسمح لمواصلة التصنيف. القضية هي في أن كل رسالة كوثيقة فردية شخصية تحتل الإهتمام بالنسبة للصحفي، وتُستخدم من جانبه كظاهرة لا تتكرر «للأنا» الإنساني وبمثابة شهادة وثائقية للعمليات الحاصلة في الحياة الواقعية، وكمصدر للأفكار الجديدة المهمة، وبالتالي كانفعالات، إلى جانب ذلك فإن الرسائل المتواجدة في بريد هيئة التحرير تُعدُّ معلومات إجتماعية جماهيرية يتحدد معناها بالذات بموضوعها ومضمونها الإجمالي. مثل هذا الاختلاف في التعامل مع الرسائل يشترط ويحدد الاختلاف في طرائق العمل بها.

إذ نتوجه إلى شخصية المراسل الإجتماعي نجد أيضاً خصائص في التعامل معه، حسب كونه مادة أو موضوعاً لتأثير هيئة التحرير - نشاط المراسلين أو وعيهم بصورة مباشرة. إن التأثير على الوعي يُعدُّ في نهاية المطاف مادة لإدارة السلوك، ولكن مادة للإدارة غير المباشرة. لا شك أن مثل هذا التمييز ممكن فقط في المستوى النظري لأنه في الممارسة هو في هذا الاتجاه وفي ذاك لا ينفصم.

ومع الأخذ بالحسبان الخصائص الموصوفة لموضوعات العمل التنظيمي الجماهيري لهيئات التحرير سنحدد الآن أهدافه في مراحل مختلفة وفي أشكال مختلفة لنشاط الصحفي وعمله.

هذه الأهداف تنبع بصورة قانونية من الأهداف العامة للإبداع الصحفي ومن دور الصحفي في نظام المعلومات الجماهيرية والدعاية. إنها تعكس النتيجة التي يرمي إليها عمل الصحفي في المجتمع. ولذلك فإن وظيفة الصحافة تتعلق بجميع الأهداف الخاصة للعمل الصحفي، والتي تتوافق مع أنواعه ومراحله بما في ذلك مع هدف النشاط لجهة الرسائل والمراسلين الإجتماعيين.

يأخذ الصحفي بالحسبان وبصورة صحفية خصوصية الظاهرة المعنية والمعنى الخاص لحركة المراسلين وغيرهم من المراسلين الإجتماعيين، بالنسبة للصحافة عندما يقوم بتنظيم التعاون الجماهيري مع هيئات التحرير، القضية هي في أن المراسلين الإجتماعيين بانتمائهم عموماً إلى الجمهور يؤدون دوراً نشطاً في عملية نقل المعلومة الجماهيرية وإلى جانب الصحفيين المهنيين يقومون بالمشاركة في خلق المعلومة الجماهيرية وفي أداء وظائف الصحافة. يعود ذلك أيضاً إلى مؤلفي بعض الرسائل والمؤلفين من غير العاملين الذين يشاركون في هيئات الإعلام لأسباب ودوافع مختلفة وإلى المراسلين في الريف وغيرهم من المراسلين الإجتماعيين - إن حقيقة أنهم يمثلون جميع شرائح وفئات المجتمع السوري.

ومختلف شرائح الناس يشاركون أيضاً في العمل الطوعي وفي العمل غير المبني على أساس مهني، وهذا ما يسمح بالنظر إلى نشاطهم بصورة عامة - بمثابة أشكال مختلفة من التعبير عن العلاقات الجماهيرية للصحافة السورية.

إن مشاركة الناس في مجمل أجهزة الإعلام والتوجه إلى هيئات التحرير بالرسائل يُعدُّ وسيلة العلاقة بين الأنظمة الفرعية المديرة والمدارة في المجتمع ومصدر المعلومة الإجتماعية القيمة. فحسب طبيعة هذه المعلومة تلعب الرسائل وأعمال ومؤلفات وإنتاج المراسلين الإجتماعيين دوراً متنوعاً في الصحافة وتطلب من نفسها مقاربة متنوعة. ولذلك إذ نصيغ أهداف عمل الصحفي في تنظيم علاقات هيئة التحرير الجماهيرية تقضي الضرورة بحسبان أهداف هذه العلاقات في المجتمع ووظيفتها في منظومة المؤسسات الإجتماعية. هذه الأهمية محددة في الوثائق الحكومية المكرسة لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية ولتطوير حركة المراسلين، والعمل مع رسائل المواطنين في هيئات التحرير وغيرها من المنظمات. وكما سبق وذكرنا في المرحلة الأولى من العمل مع البريد يضطر الصحفي إلى ممارسة العمل المعرفي، حيث يحقق في سياقه جملة من الأهداف المعرفية مستخدماً طرائق ووسائل معينة من المعرفة. هذه الطرائق يمكن تصنيفها كطرائق تجريبية وأخرى منطقية، بفضلها يعالج الصحفي المهمات المعرفية التالية:

بإستخدامه إمكانات البريد المعرفية، وبتوجهه نحو رسائل ومواد المراسلين الإجتماعيين كوسيلة من وسائل عكس العمل الإجتماعي، يدرس الصحفي من خلالها عمليات حياتية واقعية وحالات ملموسة، هذا الإعلام العملي الحدثي يستخدم بعد ذلك في التخطيط الجاري والمستقبلي وخلال انتقاء موضوعات العمل الصحفي والمادة التجريبية من أجل دراسة الموضوع.

بين الصحفيين المستطلعين في المنطقة فإن 91٪ على سبيل المثال يفيدون أن واحداً من أهم مصادر المعلومات بالنسبة لموادهم هي الرسائل الواردة إلى هيئة

التحرير، وكثيراً ما يستخدمون هذا المصدر وهم يجدون في الرسائل موضوعات من أجل العمل (74٪)، و(61٪) من المستطلعين يعرفون ما يهم الجمهور.

إن عملية دراسة الواقع الإجتماعي من خلال الرسائل يدخل كجزء متمم في مرحلة جمع المادة التجريبية، المرحلة التي تسبق مرحلة الإبداع المباشر للإنتاج الصحفي، وتُعدُّ كذلك حالة خاصة لعمل الصحفي مع المصادر الوثائقية.

بالإضافة إلى المعلومات العلمية الواقعية في الرسائل توجد معلومة ذات طابع تقييمي انعكاسي تحتوي على علاقة مؤلفيها بالوقائع الموصوفة وبنشاط المنظمات والدوائر المختلفة وتجاه الإجراءات الأهم للدولة، وكذلك تجاه أعمال الصحافة والتلفزة والإذاعة وعملها بصورة عامة. هذه المعلومة تحدد مسبقاً الوظائف الإدارية للرسائل الواردة إلى هيئة التحرير ونشاط المراسلين الإجتماعيين، بحسبان أن التعبير عن وجهة نظرهم وموقفهم ليس الهدف بحد ذاته بالنسبة للمؤلفين، بل طريقة لمشاركتهم في الحياة الإجتماعية في إدارة الدولة. إن وظائف البريد هذه بالنسبة للصحفي لها دلالة خاصة وذلك لأن توجه الناس إلى هيئات التحرير تُعدُّ قناة للتعبير عن الرأي الإجتماعي، حيث تقوم أجهزة الصحافة وهي مدعوة لذلك بأخذها بالحسبان. ولذلك فالصحفي يتوجه إلى بريد هيئة التحرير بوجهة النظر هذه يسعى لجمع الآراء المتجلية فيها وتعميم مواقف مختلف الشرائح الجماهيرية كي تؤخذ بالحسبان في إنتاجه وتوجهات عمل هيئة التحرير وجهاز إعلامه، فالصحفي إذ يدرس بريدياً آراء وتقييمات الجمهور إنما يعالج أيضاً المهمات المعرفية. لكن هنا تحمل طابعاً بينياً لأن الهدف الرئيس للصحفي - هو جعل مضمون الرسائل والمواد التي يكتبها مؤلفون غير عاملين للآراء ثروة للمجتمع وللجمهور وبالإضافة إلى ذلك إستخدامها عند برمجة عمل هيئة التحرير. وبذلك يقوم الصحفي نفسه بأداء وظائفه الأساسية ذات التأثير الإيديولوجي والتنظيمي على الجمهور من خلال التعبير عن الرأي الإجتماعي.

إن التأثير الإداري للرسائل يمكن أن يكون موجهاً إلى عمل الجهاز الإعلامي ذاته عندما يسعى المؤلفون إلى التأثير عليه بإبداء الملاحظات النقدية وتمنيات وتأييد هيئة التحرير لبعض الصحفيين باقتراح موضوعات جديدة من خلال الطلبات. في هذه الحالة يتوجه العمل المعرفي للصحفي إلى دراسة جمهوره واستفساراته ومصالحه وآماله وتوقعاته في العلاقة مع الصحافة بصورة عامة وجهازها المعني بالأمر تحديداً.

فالرسائل الواردة إلى هيئة التحرير، إذ تعبر عن التوصيفات المختلفة للمؤلفين وعن الجمهور بالإجمال (نادراً ما ينسحب ذلك على مواد المراسلين الإجتماعيين)، تؤدي وظيفة «العلاقة المعكوسة» بالنسبة لهيئات التحرير واللجان في مجال التلفزيون والإذاعة. بالمعنى الدقيق ينبغي اعتبار الردود والملاحظات على تحركات الصحافة إشارات «للعلاقة المعكوسة»، لأن فيها بالذات تكمن المعلومات حول استيعاب وإدراك الجمهور للعلاقة الجماهيرية الواردة حول المشاعر التي تثيرها وحول تقييم موقف الصحفي والعلاقة تجاه أشكال مختلفة لتقديم المواد وغير ذلك. لكن الوظيفة ذاتها بالمعنى الواسع هي من خصائص الرسائل المذكورة آنفاً، والتي تعكس المصالح الإعلامية للجمهور وبنيته...إلخ. جميعها تدل على مدى دقة العمل الصحفي، وهل حرَّض وأثار الإهتمام نحو نشاط الجمهور وهل قام بمساعدته على صياغة العلاقة تجاه المشكلة المطروحة. ولذلك فإن جميع الرسائل المتضمنة هذه المعلومات أو تلك حول الجمهور والتي تساعد في ضبط وتصحيح عملية التأثير عليه يمكن أن تدرس من جانب الصحفيين بمثابة «علاقة عكسية».

إن الأهداف المعرفية المذكورة المرتبطة بإستخدام الوظائف المختلفة للبريد تحتاج من الصحفي إلى إستخدام طرائق المعرفة التجريبية، هذه الطرائق تتنوع حسب ما يلي: هل يعمل الصحفي مع رسائل معينة وبعدد محدود أم يتوجه إلى كمها الهائل. إن المنهجية الملموسة للتحليل تتوقف على أي وظيفة للبريد تتوجه الدراسة. فمن حيث الجوهر تحتوي الممارسة الصحفية الطرائق المستخدمة في

مستويات مختلفة من مستوى المعنى الصحيح أي المستوى العفوي التجريبي حتى المستوى العلمي، هذه الطرائق المعرفية الخاصة والمُميّزة للعلوم الإجتماعية بما في ذلك لعلم الاجتماع. بديهي أن إستخدامها من قبل الصحفي ذو علاقة بخصوصية ا لصحافة، ويعدُّ الهدف تحقيق التأثير الأيديولوجي والتنظيمي على الجمهور وليس المعرفة العلمية لحياة المجتمع الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك يسعى الصحفي أيضاً للحصول على معلومات دقيقة وموضوعية، وذلك فإن تحسين منهجية العمل الصحفي مرتبطٌ بالإستخدام المنتظم الأساسي أكثر للطرائق العلمية في معالجة وتحليل الوثائق.

في سياق العمل مع الوسائل فإن الصحفي، إذ يستخدم خبرته المهنية يتماثل عمله بصورة لا إرادية مع العالم. ففي الواقع، إذ يدرس رسالة مُعينة يقوم الصحفي بوضع جملة من العمليات الفكرية التي تشبه الطرائق التكنيكية لمادة تحليل الوثائق الشخصية. وكما عالم الاجتماع (والمؤرخ) يدرس الصحفي جملة من الخصائص الظاهرية للرسالة ساعياً إلى تحديد طبيعة الإبداع والتأليف والانتماء الإجتماعي للمراسل وعمره ومستواه الثقافي. إلى جانب ذلك يعالج مشكلة صحة المعلومات التي يوردها المؤلف محاولاً تبيان درجة إخلاص الفرد والدوافع التي تدفعه للكتابة إلى هيئة التحرير. فشأنه شأن العالم يقوم الصحفي دون الاكتفاء بتحليل الرسالة ذاتها بدراسة الحالة وشخصية المراسل في مكان الحدث مستخدماً طرقاً تجريبية أخرى. بهذه الوسيلة تتحقق في الصحافة مراقبة صدق وصحة مصدر المعلومات واعتمادية المعلومات الواردة. أحياناً يذهب الصحفي بعيداً في دراسة الرسالة، مُقدماً على تحليلها الداخلي ودارساً لمضمونها بهدف إبراز وكشف العوامل الإجتماعية المحددة لظهور الرسالة وخصائص الحالة الإجتماعية الملموسة المنعكسة فيها وغير ذلك.

لا شك في أن درجة دقة الدراسة الصحفية لرسائل الواقع الفعلي للشخصية الإنسانية الملموسة ولآراء ومواقف الجمهور تتعاظم عند مراعاة المتطلبات المطلوبة من الطريقة العلمية المعنية.

إلى جانب ذلك فإن إستخدام هذه الطريقة الواحدة غير كاف، لأن مجموعة من وظائف الرسالة الواردة إلى هيئة التحرير يمكن تنفيذها فقط بصورة إجمالية، أما طريقة تحليل الوثائق الشخصية فهي غير مستخدمة تجاه الكم الهائل من الوثائق. إن جميع أهداف الصحفي المعرفية المرتبطة بالحصول على المعلومات من الجمهور وبدراسة الرأي الإجتماعي وعلميات وظواهر الفعاليات الإجتماعية تحتاج إلى الحصول على معلومة معممة (إعلام معمم). ولذلك يصبح ضرورياً تحليل الكم الهائل من البريد أو إجمالي رسائل أحد محاور البريد. عند التوجه إليها والتعامل معها يحتاج الصحفي إلى طرائق خاصة لمعالجتها وتحليلها. بداية يحتاج إلى طرائق المعالجة الكمية لكم المعلومات الهائل وقياسه حسب توصيفات موحدة. إن عملية إبراز هذه المواصفات ذات الدلالة بالنسبة للصحفي والمتعلقة بالرسائل تتحقق بمساعدة طرائق منطقية للمعرفة، حيث يُعدُّ التعميم والإستنتاج أكثرها تكراراً. ويندرج في إطار هذه التوصيفات أي العناصر الإدراكية المعنوية لمحتوى الرسالة وعلى سبيل المثال، موضوعها ومشكلتها وإشارة التقييم الذي يعطيه المؤلف لما يصور وهدف التوجه إلى هيئة التحرير وطبيعة ما يطلب من جهاز الإعلام ودرجة تعميمية وطابع أقوال وأفكار المؤلف وأخيراً معلومات عنه وما شابه ذلك. وحسب الجانبان من مضمون الرسالة الذي يهم هيئة التحرير ولأي أغراض يعتمد التحليل واختبار المواصفات القياسية يمكن أن يكون متنوعاً.

وهكذا فبالنسبة إلى دراسة وقائع الواقع الملموسة وظواهره يكون من الضرورة على الصحفي إبراز المعلومات ذات الطابع الموضوعي من الرسائل. يُعدُّ انتشار الحالات الموصوفة في البريد بصورة إجمالية أو في بعض مجموعات الرسائل

معياراً لسلامة وصدق المعلومة. فمن أجل دراسة الرأي الإجتماعي ينبغي على الصحفي أن يتوجه فقط إلى الرسائل، حيث لا يوجد مجرد وصف للواقعة، بل وتقييمها والرأي حول هذه المسألة أو تلك. إن معالجة مثل هذه الرسائل قائمة على إبراز وحساب المواصفات المختلفة للرأي السائد وذاتية الحامل لهذا الرأي.

يُعدُّ تحليل بريد بعض الحملات والنقاشات والردود على تحركات معينة، تعدُّ شكلاً مستقبلياً للعمل في الاتجاه المعني، مثل هذا التحليل من حيث المبدأ هو من قدرة كل هيئة تحرير. فدراسة البريد لا يسمح بصورة أفضل على فهم وانتظام رد فعل الجمهور فحسب، بل ويُعطي مادة جديدة لهيئة التحرير من أجل متابعة وتعميق الحديث عن الموضوع الذي يهم القارئ بصورة خاصة. هذا التحليل. «الموضعي» للبريد يسمح بفضل القارئ المراقب (المشاهد، المستمع) بإلقاء الضوء في المشكلة على أكثر الجوانب أهمية وشمولية لجميع الجوانب. وهذا هو السبب الكامن في عظمة معنى هذا الشكل من العمل في سياق ممارسة الحملات الصحفية.

مثال مهم على هذا التحليل، النشر للرسائل، الذي أجري في صحيفة «تشرين». هناك قاموا بتحليل إحصائي للردود التي وصلت على عمل الصحيفة بخصوص مكافحة الفساد ثم إجراء تصنيف وحساب لاحق للرسائل المتضمنة إشارات إلى مصادرالفساد المختلفة وإلى العيوب والنقائص الموجودة في دوائر الدولة في مؤسسات الصناعة والنقل والمباني السكنية وكذلك التي تُسمى الإجراءات الملموسة لتصحيحها والمتضمنة اقتراحات لتقوية مكافحة الفساد. إن نتائج تحليل البريد ساعدت هيئة التحرير في تحديد محاور معالجة هذه المشكلة وتطوير تغطيتها لاحقاً في الصحيفة. إن موجز الردود من حيث نتائج الدراسة والمنشور في الصحيفة لم يكن خاتمة، بل بداية لهذه الحملة الصحفية. وكما نوَّهت الدراسة فإن «التحليل الإحصائي للرسائل سمح بوضع بعض الإستنتاجات حول حالة مكافحة الفساد، وحول الرأي الإجتماعي المتكون بصدد هذه المشكلة».

إن إستخدام الطرائق العلمية في سياق مثل هذا التحليل لمعالجة الوثائق من شأنه أن يقود إلى فاعلية أكثر وإلى جلب فائدة أكثر لهيئة التحرير.

عند دراسة خصائص إدراك الجمهور لمواد الصحافة بالبريد على هيئة التحرير أن تهتم قبل كل شيء بملامح الإنتاج الصحفي وبتلك المحاور والإتجاهات في العمل في ميدان التحرير، التي يسلط مؤلفو الرسائل الأخيرة مشروطة بحدودها الكمية. كلما تصادف في البريد أحكام وتقييمات منفصلة أكثر كلما كان الاحتمال أكبر بأن تمثل الرأي الإجتماعي. بالإضافة إلى ذلك فإن مشكلة تمثيل الآراء والرسائل عموماً يجب أن تعالج في إطار كل شريحة من شرائح الجمهور لوحدها وذلك لأن بنية كاتبي الرسائل والمراسلين الإجتماعيين يمكن ألاّ تتطابق مع بنية الجمهور. في مثل هذه الحالات يضطر الأمر إلى إستخدام معاملاً تصحيحياً بزيادة أو نقصان عدد الرسائل الواردة من هذه الشرائح الإجتماعية والسكانية أثناء المعالجة، حيث لا يتوافق تمثيلها في البريد مع حصتها الواقعية في الجمهور. ينبغي أيضاً الأخذ بالحسبان الظرف المتعلق في أن البريد يكن ألاّ يعكس جميع جوانب الرأي الإجتماعي وقطاعاته. وهذا هو السبب والأكثر فاعلية فيها هو تحليل آراء بعض المجموعات أو آراء الجمهور بشكل عام، وكذلك تحفيز نشاط هذه الطبقات التي لم يجد رأيها انعكاساً في البريد. ينتمي ذلك أيضاً إلى دراسة الرسائل كقناة «للعلاقة العكسية».

وإذ نتحدث عن طرائق وأساليب معالجة وتحليل البريد والقريبة من الطرائق العلمية نضطر إلى تثبيت أمر مفاده أنه حتى الآن تُستخدم جميع هذه الطرائق بصورة عفوية وإلى حد كبير. يحتاج تطورها إلى إستخدام منهجيات علمية لتحليل مضمون الرسائل وتوسيع وتعميق الطرائق الإحصائية لمعالجة المعلومات وإستخدام التقنيات في ظروف بريد ذي مقاييس كبيرة. يُعدُّ احتمالاً مثالياً العمل مع البريد، الذي تكون قطاعات الرسائل فيه في خدمة المهمات

الجارية والمستقبلية لقطاعات أخرى وهيئات تحرير أخرى، وحاجتها إلى معلومات معممة تشمل مختلف جوانب مضمون البريد. تُدرك ضرورة رفع مستوى العمل مع الرسائل مع حسبان الحاجات المعاصرة إلى أجهزة كثيرة، لكن يوجد فقط هيئات تحرير معينة، حيث تتحقق هذه المطالب بصورة عملية.

في صحيفة «الاهرام» يجري تصنيف وإحصاء للرسائل بمساعدة الآلات الإلكترونية الحاسبة وتحليل للمواد المنشورة في الصحيفة حسب /30/ سمة بارزة. يجري مثل هذا التحليل شهرياً ويتيح فرصة مقارنة المعلومات الواردة من الجمهور مع المضمون الفعلي لأعداد الصحيفة. مثل هذا النظام من تحليل البريد يدخل أيضاً في الصحف ذات الإصدار الكبير، حيث يجري هناك تحليل لجميع المواد المنشورة من خلال الآلات الإلكترونية الحاسبة.

ومهما كانت الأهداف التي يرمي إليها من دراسة للرسائل فإنه مضطر في الوقت ذاته لتقييمها من وجهة نظر الدلالة الإجتماعية وأهمية الموضوع وجديدها وتمثل الرسالة وتطابقها مع مصالح الجمهور وأخيراً خصائصها الأدبية. إن هدف هذا التقييم - إختيار الرسائل (فرز) والمواد التي تتوافق مع متطلبات الصحافة ولأجل طبعها لاحقاً أو نقلها عبر الأثير، وكذلك من أجل إبداع إنتاجات جديدة على أساسها. أثناء تقييم الرسائل والمواد يستخدم الصحفي طرائق منطقية ويجري عمليات فكرية بموضوعها بالاعتماد على معارفه وخبرته وحدسه. فالصحفي إذ يمارس إعادة تكوين المعلومات وإعداد نصوص الرسائل للطباعة أو وضع المواد الخاصة بإستخدامها يستعمل طرائق العمل الإبداعي تماماً كما يفعل ذلك في إبداعه الذاتي. فبصرف النظر عن أن إستخدام الرسائل ومواد المراسلين الإجتماعيين على الصفحات وعبر الأثير - يعدُّ جانباً أكثر وضوحاً من جوانب العمل التنظيمي الجماهيري، أما معايير انتقاء الرسائل وطرائق إرسالها - بثها - للجمهور الواسع لم تدرس بصورة كافية وكاملة وتحتاج إلى تعميم والتنظيم.

إن أي دور تقوم بتنفيذه الرسالة، فإنها تبقى دائماً فعلاً من التواصل، مخصصاً لرد جوابي من جانب هيئة التحرير. طبقاً للمعايير الحكومية يقوم الصحفي بإعداد الردود على جميع الرسائل غير المستعملة على الصفحة وعبر الأثير. هذا هو اتجاه آخر من إتجاهات العمل التنظيمي الجماهيري لهيئات التحرير. هدف الرد - التعبير عن الشكر للمؤلف على المعلومة المرسلة والرأي والإعلان عن شكل إستخدام الرسالة أو عن الأسباب التي تمنع إستخدامها.

إذا كان الصحفي مُهتماً في تعاون المؤلف مع هيئة التحرير فإن عملة يكتسب الطبيعة ذاتها مثل العمل مع المراسلين الريفيين والمراسلين الإجتماعيين بصورة عامة.

وكما أن الإنتاج الصحفي لا يصل إلى الجمهور بفضل جهود المؤلف نفسه، بل وبفضل جهود العاملين الآخرين في هيئة التحرير، فإن العمل أيضاً مع الرسائل ومواد المراسلين الإجتماعيين يحمل بصورة إجمالية طابعاً جماعياً بدءاً من أقسام الرسائل وانتهاءً في السكرتاريا أو في الإنتاج. إن مختلف العاملين في هيئة التحرير مشتركون في كل رسالة وفي كل إنتاج لكل مؤلف غير عامل: العاملون في أقسام الرسائل، المراسلون والعاملون في أقسام الفروع وغير ذلك. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض أشكال العمل مع الرسائل تمتلك طابع العمل الجماعي المباشر: مناقشة الرسائل في مؤتمرات داخل هيئة التحرير وفي الجلسات الخاطفة وفي سياق الإجراءات التي تجري بصورة خاصة. لكن إلى جانب هذه الأشكال فإن وزناً نوعياً كبيراً يمتلكه العمل الصحفي الفردي بخصوص دراسة إستخدام الرسائل.

بتعميم الطرائق المستخدمة تجاه الرسائل والأعمال التي يقوم بها المراسلون الإجتماعيون يمكن القول بأنها تتضمن حسب أهداف وخصائص كل مرحلة من مراحل العمل طرائق تجريبية ومنطقية في المعرفة وطرائق الإبداع الصحفي والعمل التنظيمي وتتحقق في شكل فردي وجماعي.

إننا إذ نبحث في هذه الطرائق بصورة تعميمية فقد صرفنا النظر عن حجمها الحقيقي في فعاليات العاملين في مختلف أقسام الصحف وهيئات تحرير التلفزيون والإذاعة. إن بعض أنواع العمل مع الرسائل تقع بصورة كاملة على كاهل العاملين في أقسام الرسائل، نذكر على سبيل المثال تحليل البريد بصورة إجمالية وتصنيفها وتعميمها. ولذلك فمن أجلها ثمة ضرورة بالدرجة الأولى لامتلاك منهجية هذا العمل.

يمكن مصادفة بعض أنواع العمل وبدرجة متساوية عند العاملين في جميع الأقسام وهيئات التحرير. ولذلك ينبغي على الصحفيين من مختلف التوجهات والأطيان ومن وسائل الإعلام المختلفة أن يمتلكوا طرائق تحليل الوثائق وإستخدامها في الصحافة وفي العمل التنظيمي. في هذا الصدد كان من المناسب لأغراض الإعداد والتأهيل الأكثر فاعلية للكوادر الصحفية بناء نموذج منهجي لعمل الصحفي في العلاقة مع الرسائل ومع المراسلين الإجتماعيين، يحتاج ذلك إلى تحليل نظري لاحق لمجموعة الطرائق والأساليب المستخدمة بأكملها في الصحافة في الاتجاه المقصود.

وبالإضافة إلى العمل مع الوثائق يدخل في وظيفة الصحفي قيادة المراسلين الإجتماعيين وإرشادهم وتنظيمهم وتدريبهم وتربيتهم. في هذه الحالة يصبح وعي المراسل الإجتماعي وسلوكه مادة للعمل. فالغاية من التأثير على وعيهم - غرس العقيدة الفكرية على أساس علمي والنضوج السياسي في نفوسهم والمسؤولية عن فعالياتهم غير المهنية في الصحافة وإدراك الهدف الإجتماعي لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية أي تطوير عناصر الإدراك والوعي المهني للصحفيين والتي بدونها لا يعني شيئاً التعاون الدائم في أجهزة الإعلام. الجانب الآخر لعملية التأثير هذه - تدريب المراسلين الريفيين والعمال وغيرهم من المراسلين الإجتماعيين العناصر والطرائق ومهارات الصحافة المهنية الضرورية وإدخال المعارف المهنية.

إن تدريب وتربية المراسلين يحصلان من خلال اتخاذ إجراءات تنظيمية مُعينة: في سياق المؤتمرات واللقاءات وغيرها من أشكال الدراسة التنظيمية وكذلك في الأقسام غير التابعة للهيئات واللجان العاملة على أسس طوعية مجانية. فالاتصالات القائمة بين الصحفيين والمراسلين الإجتماعيين تتخذ أشكالاً فردية وجماعية تعاونية. فالإجراءات المذكورة أعلاه تندرج في إطار الأشكال الجماعية. ولا يقل أهمية تواصل الصحفيين الفردي مع زملائهم من غير المحترفين، حيث يحصل في سياق ذلك تحقيق أهداف إبداعهم، والتأثير على وعيهم. هنا تلعب الصفات النوعية التي يتمتع بها الصحفي وخبرته المهنية تلعب دوراً خاصاً ومتميزاً.

بهذا الشكل يضطر الصحفي لأن يمارس العمل التربوي وفي الوقت ذاته العمل في مجال قيادة حركة المراسلين الإجتماعيين. إن حجم هذه الأنواع من النشاط غير متعادل وليس واحداً عند الصحفيين العاملين في أقسام وهيئات تحرير الإذاعة والتلفزيون. والحديث عن طرائق الصحفي يمكن هنا فقط بصورة مشروطة وذلك لأنها تندرج في إطار ما بُحث أقل في النظرية وما استوعب بصورة غير كافية في الممارسة.

لا جدال في أن الصحفي يعلم في هذا الميدان كما يعمل العامل الحزبي ورجل الدعاية والمربي والأستاذ، وأن طرائقه الأساسية تتجلى في العقيدة ونشر الأفكار والمعارف. ولذلك فإن فاعلية عملية تدريب وتربية المراسلين تتوقف قبل كل شيء على مستوى تأهيل الكوادر الصحفية ذاتها وتحديداً على درجة وعيهم لأهداف وخصائص العمل وأساليب ممارستها.

إن تربية وتدريب وتعليم المراسلين الصحفيين ترمي في نهاية المطاف إلى تحقيق ما هو مثالي في التعاون في أجهزة الصحافة، ولذلك تُعدُّ طريقة في التأثير غير المباشر على سلوكهم وبصحة أدق، على فعالياتهم الإعلامية غير المهنية. وفي الوقت ذاته يحقق الصحفيون أيضاً تأثيراً مباشراً عليه بممارسة التنظيم المباشر لحركة المراسلين الإجتماعيين.

يمكن حسبان بداية ذلك العمل على إختيار المراسلين الطوعيين وجذب الأفراد العارفين والموهوبين والنشيطين والمعبرين عن الرأي العام وممثلي مختلف شرائح وفئات المواطنين نحو التعاون. هنا الصحفي يستخدم تجربته وخبرته الحياتية ومعرفته للناس أي أنه يعتمد على الطرائق التجريبية المعرفية للتقرب من الناس. وبعد ذلك يلجأ إلى الإقناع، حيث يخلق لدى الأفراد الإهتمام أو يقوي لديهم الحوافز المتوفرة عندهم من أجل التعاون مع هيئة التحرير وفي الوقت ذاته يقوم بتقييم النتائج الأولية لإبداعهم بما في ذلك الرسالة إلى هيئة التحرير.

تستخدم طرائق الحفز والتشجيع المعنوي من قبل الصحفيين لأغراض تنشيط تعاونهم وممارسته بصورة مخططة.

النوع التالي من عمل الصحفي في الميدان التنظيمي - إحداث مجموعات من المراسلين وأشكال مختلفة من نشاطاتهم الجماعية. يدخل هنا المراكز - الوظائف - في المؤسسات، تجمعات المراسلين حول نقاط الإرسال والتدابير الجماهيرية للاستعراضات والتفتيشات الفجائية وغيرها. بصرف النظر عن أنه في الأدب يولى إهتمام كبير لهذا الجانب من العمل الجماهيري لهيئة التحرير وأساليبه فإن طرائقه وأساليبه لم تكتشف بصورة تامة.

وهنا لا يُعدُّ أقل أهمية التنسيق والتفاعل المتبادل بين هيئة التحرير والإدارة وبين الأجهزة الحكومية والمنظمات الإجتماعية. هذا وتحتاج الظروف الكفيلة بنجاح مثل هذه الأعمال إلى تحليل تفصيلي. ينبغي على الصحفي امتلاك طرائق وأساليب العمل التنظيمي أيضاً في سياق تدريب وتربية المراسلين الإجتماعيين. يضطر لممارسة خلق الأشكال التنظيمية التي تكفل وتضمن دراسة المراسلين الزراعيين والعمال وتبادل خبرة تعاونهم مع هيئات التحرير، وكذلك إخبار المراسلين الإجتماعيين عن المشكلات الراهنة في الميادين الاقتصادية والسياسية والإجتماعية وعن المهمات الموضوعة أمامهم.

وكمثال على نشاط كهذا يمكن الاستشهاد بخبرة المراسلين الشباب في محافظة حلب لدى الجامعة وكذلك مثال على إجراء دراسة هناك تحت إشراف القائمين على العمل الصحفي في المدينة والمنطقة.

تؤكد الممارسة القائمة بأن التنظيم الفعال لتعليم وتربية المراسلين الإجتماعيين يتوقف على التخطيط المدروس والمستقبلي للتدبير الذي يقوم على تحديد دقيق لأهداف مثل هذا التأثير والمعرفة الدقيقة للحالة الراهنة لحركة المراسلين الريفيين والعمال.

كما ويُعدُّ العمل على تأمين فاعلية حركة المراسلين الإجتماعيين اتجاهاً آخر في إستخدام الصحفي للطرائق والأساليب التنظيمية. يوجد هنا خصوصية مُعينة بالمقارنة مع تأمين فاعلية حركة الصحفيين أنفسهم. ففي حالة التأليف من غير العاملين في الهيئات ينبغي على العاملين في هيئات التحرير الأخذ بالحسبان الموقف والوضع الذي يستجد حول المراسل الريفي العامل وعلاقته في مجموعة العمل. إن أحد الأهداف التي يضعها الصحفي نصب عينيه يجب أن يكون الدفاع عن مصالح المؤلف في الحالة الأزماتية والتي تنشأ أحياناً بسبب حركته وعمله.

بهذا لشكل يمكن التأكيد بأن الصحفي في العلاقة مع المراسلين الإجتماعيين مشغول بأشكال مختلفة من العمل والنشاط ومن بينها: أشكال العمل الجماعي والعمل الفردي وعمليات الإشراف والتنظيم المتعلقة بتعاون المراسلين الإجتماعيين وتدريبهم وتربيتهم. وفي هذا الصدد يستخدم الصحفي مجموعة كبيرة وواسعة من الطرائق والأساليب والوسائل بما يتطابق وخصائص كل شكل من أشكال هذا العمل.

ينبغي كذلك حسبان أن علاقاته مع المراسلين الإجتماعيين تحمل طابعاً مزدوجاً، وتُعدُّ علاقة متبادلة وتنشأ عادة بمبادرة الشغيلة أنفسهم الذين اختاروا التعاون في الصحافة من أجل تحقيق نشاطهم الإجتماعي وخصائصهم الإبداعية.

ولذلك مهما كان نوع العمل الذي يمارسه الصحفي ومهما كان الطرائق التي يلجأ إليها من الضرورة دائماً الأخذ بالحسبان أن نتيجة تأثيره مرتبطة بخصائص شخصية المراسل المتطوع: بخبرته الإجتماعية المهنية وقدراته الإبداعية وميوله الشخصية والأهم من كل ذلك، آماله وتوقعاته من نشاطه كمراسل، ودوافع وأهداف سلوكه وتصرفه.

وكما هي الرسائل الواردة إلى هيئة التحرير فإن التعاون الدائم من خارج الملاك في أجهزة الإعلام تلبي احتياجات معينة ومصالح الشخصية ومن حيث الجوهر تؤدي بالنسبة له هذه الوظائف أو غيرها. إن فاعلية مشاركة الشغيلة في عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية تتوقف إلى حد كبير على أي مدى تبرر نفسها هذه التوقعات من جانب المؤلفين غير العاملين. من هنا تبرز بالنسبة للصحفي ضرورة حسبان دوافع نشاط المراسلين الإجتماعيين في جميع الحالات وأهداف إبداعهم، يفترض هذا الأمر دراسة سلوكهم وخصائص وعيهم. الشيء القانوني أن مجموعة من المنظمات الصحفية تلجأ لهذه الأغراض إلى الدراسات والأبحاث الاستقرائية. «في محافظة ريف دمشق على سبيل المثال، دراسات المراسلين الريفيين والعمال أجريت اكثر من مرة في السنة» بهذا الشكل يمكن إبراز مجموعة من المحاور والإتجاهات الرئيسية لاستكمال عمل الصحفي المتعدد الأنماط في مجال تنظيم علاقات هيئة التحرير الجماهيرية.

قبل كل شيء إن إيصال طرائق هذا العمل إلى الكمال بالشكل المباشر مرتبط بالكشف اللاحق وبإدراك الوسائل والطرائق والأساليب وأشكال العمل وعلاقتها في عمل الصحفيين أكان ذلك في النظرية أم في التطبيق، هذه الطرائق والأشكال والوسائل الموجودة والمنتشرة بصورة واسعة في الصحافة وذلك حسب الوظائف والرتب واختصاص وبُعد الجهاز وخصوصية قناة الإعلام. في هذا الفصل تناولنا فقط بصورة عامة هذه المسائل، حيث يحتاج الكثير منها إلى دراسة خاصة.

فيما بعد يجب أن يكون العمل التنظيمي الجماهيري لهيئات التحرير واللجان قائماً على حسبان خصائص مثل هذه الظاهرة الإجتماعية المثيرة للإهتمام، ما يتجلى في العلاقات الجماهيرية للصحافة والتعاون الجماهيري للشغيلة مع هيئات التحرير. هذا العمل يجب أن ينطلق من تصور حول الرسائل والأنواع الأخرى لمثل هذا التعاون كتعبير كامل موحد عن العلاقة المباشرة والعكسية بين الجمهور وأجهزة الصحافة ويبنى بالشكل المناسب كعملية واحدة هادفة. إن تحديد أهداف العمل الصحفي يجب أن يعتمد على معرفة وظائف العلاقات الجماهيرية في نظام الصحافة، وحسبان أهداف وتوقعات المراسلين الإجتماعيين. هذا الأمر سيرفع مستوى تأهيل الصحفي، ما هو ضروري من أجل تحسين الإشراف على حركة المراسلين الريفيين والعمال، والإستخدام الفعال للرسائل الواردة إلى هيئة التحرير.

وإلى جانب ذلك لابد من تطوير بعض أشكال وأنواع ومنهجيات مستوى العلم مع رسائل المراسلين الإجتماعيين بغية رفع هذا المستوى. يندرج هنا الإعداد العلمي وتطوير الطرائق العرفية المستخدمة أثناء معالجة وتحليل الرسائل بما في ذلك الكمّ الهائل من بريد التحرير، وبعض الرسائل وطرائق إعادة المعالجة وتحويل المعلومات الموجودة في الرسائل وطرائق تنظيمها في الصفحة وعند الإصدار والبرامج التلفزيونية والإذاعية وطرائق الإشراف على المراسلين الإجتماعيين وتدريبهم وتربيتهم، وكذلك طرائق التنظيم المباشر لعملهم ومراقبة نشاط فعالياتهم.

ففي إطار العملية الكاملة لتنظيم التعاون الجماهيري للشغيلة مع هيئات التحرير يجب أن يتوفر نظام مدروس لتربية وإعداد المراسلين الإجتماعيين قائم على التأثير الشامل. غير أن هدف مثل هذا الإعداد - ليس خلق محترفين في الصحافة، بل رفع مستوى تأهيل المراسلين الإجتماعيين بالذات.

ينبغي الأخذ بالحسبان بأننا انطلقنا من المستوى القائم في عمل هيئات التحرير الجماهيري التنظيمي ومن الوضع الحالي لعلاقاتها بالجمهور. ولذلك بقي خارج إطار الفصل المشكلات التي تكتسب في أيامنا مزيداً من الخبرة ذات التأثير الموجه في هيئة التحرير نحو بنية وطبيعة هذه العلاقات أي مسائل التأثير على طبيعة وحجم بريد التحرير وعلى أنواع تعاون الجماهير في أجهزة الصحافة، يعدُّ هذا الموضوع مادة لحديث خاص منفصل.

إن كل هيئة تحرير إلى جانب ذلك يجب أن تتصور بصورة واضحة وفي دقة أي معلومة تحتاج من الجمهور من أجل عمل فعال وذلك عند تنفيذ رسالتها الإجتماعية والمهنية بالنسبة لرسائل المواطنين، وكذلك أثناء وعي وإدراك أهميتها بالنسبة للمرحلة المعاصرة من تطور الديمقراطية. انطلاقاً من هذه التصورات واعتبار الطابع القائم فعلاً للبريد الوارد إليها تستطيع هيئة التحرير بصورة هادفة التأثير على الجمهور بغية الحصول على المعلومة اللازمة أي تستطيع إدارة بريدها من حيث الجوهر.

إن كل هيئة تحرير ولنفسها تحدد الأهداف الملموسة لمثل هذا التأثير عارفة حاجتها من المعلومات بالاعتماد على خصوصيتها ومزايا الجمهور. يمكن أن يحتل المكان الأول من هذه الأهداف مهمة ضبط بنية مؤلفي الرسائل والمراسلين الإجتماعيين الدائمين مع بنية وهيكلية الجمهور ما يُعدُّ ضرورياً كي تعكس الرسائل آراء ومصالح كافة الشرائح من أجل علاقة تناسبية مثالية بين المؤلفين، مُمثلي مختلف المنظمات والمعرفة الخاصة والجمهور والرأي العام.

وفي الوقت ذاته إنها لمهمة مسألة التأثير على مضمون وطبيعة الرسائل. يمكن أن يدور الحديث حول توسيع أو تضييق دائرة المسائل التي تكرست لها الرسائل أي حول ضبط موضوعها وحول زيادة حصة الرسائل الإشكالية وانخفاض عدد الأخبار الوصفية المتحدثة عن الوقائع وحول زيادة الردود على أقوال الصحيفة والتلفزيون والإذاعة وغير ذلك.

إن إدارة عملية العلاقة مع الجمهور يجب أن تضمن تطور جميع أشكال وأنواع تعاون المواطنين في أجهزة الصحافة. إن إهتماماً خاصاً يجب أن يولى إلى الأشكال التي تتولد نتيجة نشاط الجمهور خلافاً لتعاون هؤلاء المؤلفين الذين يتحركون فقط بطلب من هيئة التحرير.

إلى أية طرائق تلجأ هيئات التحرير من أجل تحقيق مثل هذا التأثير الإداري على الجمهور؟

مثل هذا التأثير تمارسه قبل كل شيء النصوص والبرامج. إنه يحصل بفضل انعكاس المصالح الإعلامية لهذه الشرائح في أعمال الصحافة، التي ترى هيئة التحرير مصلحة لها فيها والتي ليس لها علاقات كافية معها.

إن العنوان الدقيق للنصوص والبرامج الملائمة وحسبان خصائص وعي هذا الجزء من الجمهور فيها يساعد في فاعلية التأثير على هذه الشرائح. يمكن أن نسمي مثل هذا الطريق أسلوباً غير مباشر للتأثير على الجمهور. إلى جانب ذلك يوجد تحت تصرف هيئة التحرير طرائق مباشرة لتحفيز نشاط الجمهور: طبع (بث عبر الأثر) للرسائل والمواد التي يعدها المراسلون الإجتماعيون توجهات مباشرة للجمهور يدعوهم فيها للتعبير عن ردود الفعل، إستخدام المناقشات وغيرها من أشكال المحاكمات على صفحات الصحف وعبر الأثير وغيره. بالإضافة إلى ذلك أي هيئة تحرير تستخدم الطرائق التنظيمية بصورة مباشرة، لتكوين علاقاتهم الجماهيرية أي أشكال متنوعة من العمل الجماهيري ومن بينها إختيار المراسلين، تشكيل مجموعاتهم وتنظيم الدراسة وغير ذلك.

حتى مثل هذا التعداد المختصر لطرائق إدارة بريد التحرير يُبين بأنه بالإضافة إلى الضرورة المدركة في الوقت الحاضر يوجد أيضاً فرصة واقعية لهيئات التحرير لتنظيم علاقاتهم مع الجمهور بصورة هادفة ومدروسة علمياً.

الخاتمة

الدراسة اللاحقة لمشكلة طرائق الإبداع الصحفي وتطوير الأفكار التي تتناول العلاقات التناسبية بين علم الاستقراء وطرائق الإبداع والإهتمام المعمق بالطرائق الملموسة لنشاط الصحفي، التي تضمن فاعلية وتأثير أقواله ستسمح باكتمال تشكل اتجاه جديد في نظرية الصحافة ويجب أن تعطي نبضاً جديداً لعملية زيادة وتحسين هذه النظرية.

نتصور أن إحدى النتائج المهمة للعمل المنجز يتجلى في الإستنتاج حول ضرورة تجديد وتطوير القاعدة المنهجية نفسها لنظرية الصحافة المدعوة لاستثمار مادتها في مجمل أولتها الجوهرية. فالتحليل النظري المنطقي والطريقة التاريخية الوراثية للدراسة فإن الأساليب الإجتماعية للدراسة والبحث بيَّنت صدقيتها في نظرية الصحافة بشكل عام وفي هذا العملِ تحديداً. غير أن المخزون المنهجي لنظرية الصحافة يجب أن يتوسع على حساب إستخدام طرائق العلوم الإجتماعية الأخرى ووضع طرائق جديدة تتكامل مع منجزات المقررات العلمية المشتركة التي تخرج نظرية الصحافة إلى سكة منهجية مستقلة.

بتصورنا أن هذه المشكلة مفتاحية من وجهة نظر تطور نظرية الصحافة ودراسة طرائق الإبداع الصحفي.

هذا العمل الذي بين أيدينا بعد أن تثبُّت الحلول النظرية المحدودة يشير أيضاً إلى ضرورة وضع المشكلات الجديدة المتعلقة بدراسة طرائق الإبداع الصحفي. يندرج في إطار هذه المشاكل ما يلي:

انتظام وظائف الصحافة وطرائق الإبداع الصحفي - مصادر التشكل الإجتماعي - التاريخي والنفسي - الفردي لطرائق الإبداع الصحفي. - وحدة واختلاف طرائق الإبداع الصحفي في الصحافة وفي الإذاعة والتلفزيون.

العام والخاص والأحادي في طرائق الإبداع الصحفي.

المنطقي والنفسي في طريقة الإبداع الصحفي.

العلاقة بين طريقة الإبداع الصحفي وتقنياته.

وسائل المعرفة القناعات والإيحاءات في طرائق الإبداع الصحفي.

إن دراسة طرائق الإبداع الصحفي يجب أن تقوم على قاعدة واسعة تجريبية متعددة الأنماط. فالنجاح في حل هذه المشكلة العلمية لا يتوقف على الباحثين فحسب، بل وعلى الصحفيين أنفسهم وعلى علاقاتهم المهتمة والنشطة بالخبرة الجماعية الحديثة في الصحافة وتجاه منجزات كل محترف مختص داخل «الورشة الصحفية». إن الجهود المشتركة في هذا الميدان - رهن النجاح في حل المهمة العلمية- العملية المهمة رهن التحقيق الأكثر منطقية واكتمالاً للبرنامج المطروح للتحديث و التطوير أمام الصحفيين والباحثين في ميدان الصحافة في فترة عملية البناء الواسع للمجتمع المدني الحضاري الجديد.

مراجع

المقدمة :

1. زاسورسكي.يا.ن :**حتمية و إتجاهات تطور الصحافة في المرحلة الانتقالية** موسكو 1997-1998.
2. كوركونيسكو.س.غ : **نظرية وممارسة ووسائل الاتصال الجماهيري** موسكو 1999م.
3. انظر: زدوروفكارف.ف.ي: **الكلمة أيضا قضية**،موسكو1999 م، كولوسوف غ.ف:العلوم الإجتماعية كعملية إبداعية موسكو1997 بريليوك.د.م: النظرية و التطبيق للابداع الصحفي كييف1993م برخوروف ي.ب"الكاتب الإجتماعي و الواقع موسكو 1995 الطبعة الثانية".
4. شاندرا.ف.ا:**مفهوم المنهج في الدعاية الحزبية المطبوعة**، سيفردلومنسك 1995ص7.

الفصل الأول +الفصل الثاني :

1. دانس.ا.ميريل.د:**احاديث عن وسائل الإعلام** موسكو 1997م.
2. **دور وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام** (مجلة -يشير جامعة موسكو) عام 1997 العدد الأول."مصطلح فروض يستخدمه من اجل إظهار النموذج الخاص للنقاش و الاحكام تحوي في نفسها اشارة إلى طريقة محددة."
3. **المجتمع الإعلامي بعض من جوانبه** موسكو 1999م.
4. شاتونوفسكي.ي:**لا يمكن أن يبقى هناك اسرارا** موسكو 1994 ص306.
5. بابوف.ف.ي : **عصر الإعلام**: الاقتصاد المجتمع و الثقافة ،موسكو2000.

6. مالوغوف.ا:**هكذا نحن نكتب** "مجلة الصحفي" 1998م العدد (1) ص40-42.

7. اوتشونوفا.ف.ف: **الإتجاهات الرئيسية لإعداد نظرية علم الاجتماع** موسكو 1998ص44-45.

8. المقتطف ماخوذ من كتاب "سيفال" **25حديثا صحفيا هكذا يعمل الصحفي** موسكو 1994 ص35.

9. فيفوتوفسكي: **التصور والإبداع في سن الطفولة** الاصدار الثاني 1997 كوشونوف ا.م: **نظرية الانعكاس والإبداع** موسكو 1991 يونوماريوف يا.ا: سيكولوجية الإبداع موسكو 1996م.

10. **عن التدابير لتحسين إعداد واعادة تاهيل الكوادر الصحفية** كتاب بدون مؤلف و لا تاريخ إصدار.

11. سكولنوكوف،يو: **أهمية العمل في تجسيد الإبداع** (مجلة) الصحفي 1997م ص 5.

12. **نظرية السياسة الإعلامية الحكومية** موسكو 1999م.

13. غورديفتش س.م: الحزبية -الإبداع، الإنتاج - من كتاب **مسالة التنظيم العلمي للعمل** الصحفي موسكو 1989م ص 46.

14. كليموف.ي.ا: **الأسلوب الشخصي للنشاط والارتباط البنيوي في نظام الاعصاب** كازان 1991ص 251.

15. تيبلوف.ي.م: **مسالة التباين الفردي**، موسكو 1991ص25.

16. انظر :ديمين.م.ف:**خصائص النشاط الإنساني** -مجلة (بشير جامعة موسكو - الفلسفة)1994 العدد ص36.

17. انظر أعمال :**بوجوفتش**.ل.ي:بوفوي.ل.ي.فيكوتسكي.**ل.س.غالبرين ي.يا...الخ.**

18. انظر أعمال :بوخوروتسوف.ر.غ.غوردخوف.ف.ميردوخوردفي.ب.اوتشونفا ف.ف.هوفمان (المانيا.)

19. مجلة (الصحفي) عام1999 العدد(1)ص35.

الفصل الثالث :

1. اغرودنفسكي زف.ا:من اجل وحدة الكلمة، موسكو 1988ص128.

2. الأخبار كاحتياط اقتصادي اجتماعي موسكو 1997.

3. مجلة (الثقافة)1999 العدد (51)24 حزيران.

4. برتوكول الحديث انظر: فلاديمير.ف.غ.انظر:لازوتينا غ.ف.المراحل الاولية لابداع الصحفي (المرحلة المعرفة للواقع).

5. غرودخوف :حتمية الإبداع الادبي الإجتماعي اتشوننا ف.ف.المسائل المعرفية للادب الإجتماعي 1971م.

6. مسائل الصحافة المعاصرة (مجموعة من المؤلفين) سفيردلومنسك 1999 ص58-80.

7. العلوم الإجتماعية و التكنولوجيا الإجتماعية: موسكو 1996 ص185.

8. ايليا سافا.ب.ا: الحقيقة -الحالة في العلوم الإجتماعية موسكو 1993ص139.

9. كانط: مقتطفات في علم الأخلاق موسكو 1996ص18-19.

10. ميلنك.غ.س: الإعلام الجماهيري عمليات سيكولوجيا و فاعلية 1996.

11. لازوتينا غ.ف.المراحل الاولية للابداع الصحفي موسكو 1998م.

12. باتشروف.غ:الحياة و اللحظة موسكو 1994م.

13. اوتشوف ف.ف:**الافاق الإبداعية للصحافة** موسكو 1996ص77-157

14. شوميلينا.ت.ف:**إذا تكرمتم حدثونا** موسكو 1996ص10-11.

15. موديستوف.س.ا: **التناقض الإعلامي كعامل للمزاحمة الجيوسياسية** موسكو 1999.

16. نزاردوف م.م:**الاتصال الجماهيري في العالم المعاصر تحليل منهجي و ممارسة بحثية** موسكو1999م.

17. اولتشنسكي.د ف **المزاج الجماهيري في السياسة** موسكو1995.

18. جبرتسن.ا.ي:**المجموعة الكاملة المجلد 20 الكتاب الأول** موسكو 1955 ص347.

19. **نظرية و ممارسة الصحافة في المجتمع المدني المعاصري** موسكو ص7-8.

20. **مجلة الصحفي 2001** العدد 6ص77.

21. ستافانوف.ن:**العلوم الإجتماعية و التكنولوجيا الإجتماعية.**

22. المرجع نفسه ص174.

23. بيترنكو.ف.ف:**التحليل النفسي لديناميكية الوعي الإجتماعي سمولينسك** 1997.

24. كروبيسكي ن.ف :**التحرير،التنظيم في الصحافة** موسكو 2002ص286.

25. شاتونسكي ي.م:مرجع سابق.

26. افاناسيف.ف.غ:**الإنسان في إدارة المجتمع طبعة** (2)موسكو 1997 ص235.

الفصل الرابع:

1. ايفانوف.ن موتوكوف.س:**دور وسائل الإعلام الجماهيري في عملية تكوين الرأي العام** موسكو 1997.

2. فاختومين.ن.ك:**فرضية المعرفة العلمية**،الحقيقة،الفكرة،النظرية،موسكو 1993ص34.

3. فاروستين ل.ي:**الصحافة و السلطة** 1995م.

4. روبينشتيان س.م:**أسس السيكولوجية العامة** موسكو 1997 ص198-199.

5. غوردخوف ف.م:**حتمية الإبداع الإجتماعي** موسكو1995 ص83.

6. بودالايف.I.I:**فهم الإنسان للإنسان** موسكو 1999ص17.

7. (الصحفي)1999 العدد الأول.

8. فوردونوف يو.ي:**طرق جمع الأخبار في البحوث السوسولوجيا**.

9. المقتطف :من كتاب **سالمال 250حديثا صحفيا** (مرجع سابق)

10. المرجع نفسه ص127-128.

11. بانتور :غرافيتش م:**طرق العلوم الإجتماعية** موسكو 1992ص213.

12. **محاضرات في مناهج البحوث الإجتماعية المحددة** (اندريوف موسكو 1999ص63)

13. فوروتوف يو زب: **طرق جمع الأخبار في البحوث السوسيولوجية** (ص105).

14. كورشونوف.ا.م :**نظرية الانعكاس و الإبداع** موسكو ص65 (مرجع سابق).

15. فولومنتش.ف.ي:**أهمية الأخبار في البحوث السيوسولوجية** كييف ص111.

16. المقتطف من كتاب **(سيفال)25حديثا صحفيا** (مرجع سابق).

17. بانتو.ي.غرافيتس زم:**طرق العلوم الإجتماعية** ص149.

18. **محاظرات في منهجية البحوث الإجتماعية** مرجع سابق ص 64.

19. مجلة (الصحفي 1999)العدد(1).

20. المقتطف من كتاب **(سيفال) 25حديثا صحفيا** (مرجع سابق).

الفصل الخامس :

1. اجوغوف.س.ي:**قاموس اللغة الروسية الاصدار العاشر** موسكو 1976ص158ز
2. بادوف ف.ا:**منهجية البحوث السيوسولوجية** (تارتو 1998ص164).
3. ميخايلوف.س: **البحوث السيوسولوجية الامبيريقية**، موسكو 1995 ص269-270.
4. سيليزنوف.م.س:**النظرية والمنهجية في الدراسات التاريخية** موسكو 1998 ص9-10.
5. انظر على سبيل المثال: يتحدث الصحفيون موسكو 1994 انظر أيضا اغرونوفسكي: من اجل وحدة الكلمة (مرجع سابق).
6. بليماتوف.ي: **تحرير الرسائل (الصحفي)1991** العدد (4).
7. انظر على سبيل المثال (الوثيقة في الصحيفة)(جلة الصحفي) العدد(8).
8. انظر شاغنيان.م: يوم -(تصدر الصحيفة)موسكو 1996.
9. اندريفيا.م: **محاضرات في منهجية البحوث الإجتماعية** المحددة 1992 ص76-77.
10. جيليوت.ا.م: **الوثائق الرسمية و الشخصية في التحليل السيوسولوجي** 1991م.
11. **محاضرات في منهجية البحوث الإجتماعية** المحددة ص98.

12. المرجع نفسه ص80.

13. كوفمان.ا.أ: **الإعداد الاحصائي للبيانات** موسكو 1996 ص12.

14. فولوفتش.ف. **بكالصدق المحدد للاخبار الوثائقية 1995** ص136.

15. شمث.سزد: **المسائل المعاصرة لمسائل المعلومات** موسكو 1999 ص37.

16. كاردين.ف**(الانفجار)و(الانفجار الكامل)**موسكو 1995 ص22.

17. انظر على سبيل المثال :زدرافا ميسلوف أ.غ :**المنهج و الاجراء في البحوث السيوسولوجية** موسكو 1999.

18. يادوف.ف.ا:**المنهج والاجراء في البحوث السوسولوجية** تارتو 1998ص167.

19. يادوف.ف.ا:**المنهج والإجراء في البحوث السوسولوجية** تارتو 1998ص167.

20. دولينكوزا:**بين العقل والحقيقة -مجلة (الصحفي)1999** العدد3ص59.

21. انظر يادوف.ف.ا:**المنهج والاجراء في البحوث السوسولوجية** ص170 .مرجع سابق.

22. فيسيلوفسكي.ف.ب:**أعمال في مدخل إلى المصادر** موسكو 1998 ص220.

23. **المعلوماتية** الاصدار الثاني موسكو 1993ص173-177.

24. بليخانوف.ب.ف:**العمل على رسائل القراء** (مجلة الصحفي) موسكو 2001 العدد(4)ص36.

25. بليخانوف.ب.ف:**العمل على رسائل القراء** (مجلة الصحفي)موسكو 2001العدد(4)ص36

26. فيسيلوفسكي س.ي:مرجع سابق ص223.

27. فيسيلوفسكي س.ي:مرجع سابق ص223.

28. سيلزنوف.م.س:**نظرية و منهجية التصنيف** موسكو 1994ص92.

29. **نظرية البرهنة و الاثبات في القانون الجنائي العالمي** موسكو2002 ص337.
30. كورنوسوف ا.ا.: **طرق النقد الداخلي للمذكرات من كتاب مدخل إلى علم المصادر** موسكو 1999ص52.
31. كورنوسوف ا.ا.:**طرق النقد الداخلي للمذكرات من كتاب مدخل إلى علم المصادر** موسكو 1999ص52.
32. كورنوسوف ا.ا.: **طرق النقد الداخلي للمذكرات من كتاب مدخل إلى علم المصادر** موسكو 1999ص52.
33. **طرق السيكولوجية الإجتماعية** بطرس بورغ 1997 ص43-61.
34. **النظامً-الانضباط** ()صحيفة الادب 1999العدد9.
35. بادوف.ف.ا:**المنهج و الاجراء و البحوث السوسيولوجية** مرجع سابق ص172.
36. الكسييف.ا.ن:**أهمية التحليل في علم الاجتماع و نقاط التماس مع قطاعات معرفية** أخرى ص17.
37. الكسييف.ا.ن: **أهمية التحليل في علم الاجتماع و نقاط التماس مع قطاعات معرفية أخرى** ص17.

الفصل السادس :

1. شيرباكوف.ا:**املك الكلمة الحية** (مجلة الصحفي)1998 العدد 3ص76.
2. غاروخوف.ف.م:**مهنة الصحفي** موسكو1992.
3. **فنون الصحافة الروسية** المعاصرة موسكو 1992ص7.
4. باغيروف.ا.غ:**مكان التلفزيون في انظمة وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية** موسكو 1976 ص52-85.

5. باتشروف.غ:**حديث مع الصحفي (مجلة الصحفي)** العدد5 عام 1996 ص36.

6. اوتشونفا.ف.ف:**الافاق الإبداعية للصحافة** (مرجع سابق).

7. فيريفيكين.ب.م:سي.كوليتسوف.م.1977ص79.

8. بانشروفزغ: (مرجع سابق).ص37

9. شوميلنا.ت.ف:"**من فضلكم تكلموا**"موسكو 1998.

10. **صحيفة السفير اللبنانية.**

11. **صحيفة السفير اللبنانية.**

12. **صحيفة السفير اللبنانية.**

13. يوتشروف.غ(مرجع سابق)ص145.

14. يوتشروف.غ(مرجع سابق)ص145.

15. انظر صحيفة البيان الامارتية (حديث مع شخصية).

16. بوتشيتسوف.غ.غ:الحرب الإعلامية كييف 2000م.

الفصل السابع :

1. **الاتصال الجماهيري في العالم المعاصر** (مرجع سابق)

2. **السياسة الحكومية في قطاع الإعلام** موسكو 2001م.

3. **رقابة المجتمع المدني على الإعلام المفتوح** موسكو 1999م.

4. **نظرية السياسة الإعلامية الحكومية** موسكو 1999م

الفصل الثامن:

1. سيفتش.ل.غ:شيريالوف.ا.ا:عمل الصحفي موسكو 1999م.

2. غروشين.ي.ا :**فاعلية الإعلام الجماهيري و الدعاية** موسكو 1998م.

3. **السيكولوجيا و التحليل السيكولوجي** للسلطة المجلد(1) 1999

4. **الصراع من اجل الاستيلاء على وسائل الإعلام الجماهيري** (الجانب القانوني) موسكو 1999م.

5. **السلطة مرآة أو خادمة المجلد (2)**موسكو 1998.

6. دال :**عن الديمقراطية** موسكو 2000م.

7. ديمتروف.لاتينوف: **الاتصال الجماهيري في حدود التاثير الحكومي موسكو** 1999م.

8. ايلين.ي.ا:عن **جوهر الحق في الوعي ميونخ** -موسكو 1993م.

9. **المجتمع الإعلامي بعض من جوانبه**،1999م.

10. **رقابة لمجتمع المدني على المكاشفة الإعلامي للسلطة** (مرجع سابق).

11. **نظرية السياسة الإعلامية الحكومية** موسكو 1999مز

12. **نظريو وممارسة وسائل الإعلام الجماهيري** موسكو 1999م.

13. لايتاييف.ي.د: **المسائل الملحة لتكوين السياسة الإعلامية الحكومية** موسكو 1999م.

14. اولشانسكي.د.ف :**المزاج الجماهيري في السياسة** موسكو 1995م.

15. من **تجارب البحوث السوسيولوجية** المحددة، 1992م.

16. تسوكاسوف.س.ف:**وقت النضوج**،موسكو 1999م ص64.

17. **لمحة تاريخية عن تطور الصحف المحلية**، 1992م.

18. **وسائل الإعلام الجماهيري في عالم متغير** موسكو 1999م.

19. فاقشيفان.ي.د: الصحافة و الجمهور موسكو 1996م.

الفصل التاسع :

1. انظر على سبيل المثال :غورديفينتش.س.م: مبادئ تنظيم العمل في هيئة التحرير موسكو 1995م،تخطيط العمل في هيئة التحرير،موسكو1999م.

الفصل العاشر :

1. **وسائل الإعلام الجماهيري في عالم متغير** موسكو 1999م.

2. افاناسيف.ف.غ: **الإدارة العلمية للمجتمع** موسكو 1993 ص240.

3. شيفتشنكو.ا.ف: **الجوانب السيوسولوجية لعمليات تكوين السياسة الإعلامية الحكومية** موسكو 1999م.

4. افاناسيف.ف.غ:مرجع سابق ص24

5. شيراتوف.ي.ف: الوعي **الجماهيري السياسي في العالم المحتضر :اوضاعه وخصائصه** موسكو 1996م.

6. انتين.ف.ل:وسائل **الإعلام الجماهيري في النظام السياسي للغرب المعاصر** موسكو 1998.

7. بوتشيبتسوف.غ.غ:**الحرب الإعلامية** كييف2000م.

8. نوفابليانسكي.د:**يدعون المؤلف من اجل التفسير** موسكو 1999ص12.

9. بروخوردف ألصحافة **(السلطة الرابعة) (وسائل الإعلام الجماهيري كمؤسسة إجتماعية)** موسكو 1993.

10. بروخوردف: **الصحافة و الديموقراطية** موسكو 2001م.

11. بوغاتشوف.ف.ي:**وسائل الإعلام الجماهيري في العملية السياسية المعاصرة** موسكو 1995.

12. **في وسائل الإعلام الجماهيري** أيضا يعمل قانون اقتصاد الوقت.

13. كاسيردف: **السياسة الحكومية في قطاع وسائل الإعلام الجماهيري ليس لها وجود** موسكو 2001م.

14. نازاردف: **الاتصال الجماهيري في العالم المعاصر** (مرجع سابق)

15. نازاردف: **الاتصال الجماهيري في العالم المعاصر** (مرجع سابق)

16. **الفكر الإجتماعي** (مواد للنقاش في روسيا موسكو)1998.

الفصل الحادي عشر :

1. سيفتش.ل.غ:شيريانفا.ا.ا: **مسائل الفاعلية في إعداد الكادر الصحفي** (مجلة بشير جامعة موسكو 1999العدد ص 22-23).

2. سيفتش.ل.غ:شيريانفا.ا.ا:**عمل الصحفي** (مرجع سابق)ص101.

3. غوردخوف.ف.م:منهجية **الإبداع الصحفي** (مجلة بشير جامعة موسكو1993 العدد 1 ص18).

4. فبرخوفسكيا.ا.ي:**الصحافة و التعاون الجماهيري** (من كتاب الصحافة والسوسيولوجيا) موسكو1999.

5. **الصحيفة المحلية في انظمة الصحافة** موسكو 1997ص203.

6. غليوتا.ا.م:يانكوفا.زا: **الوثيقة الرسمية و الشخصية في التحليل السوسيولوجي** 1996م.

7. **الإعلام الجماهيري في مدينة صناعية معاصرة.**

8. ابندورسكي.س.د:الصحيفة تصدر مساء موسكو 1999 ص123-127.

9. ابندورسكي.س.د:الصحيفة تصدر مساء موسكو 1999 ص123-127.

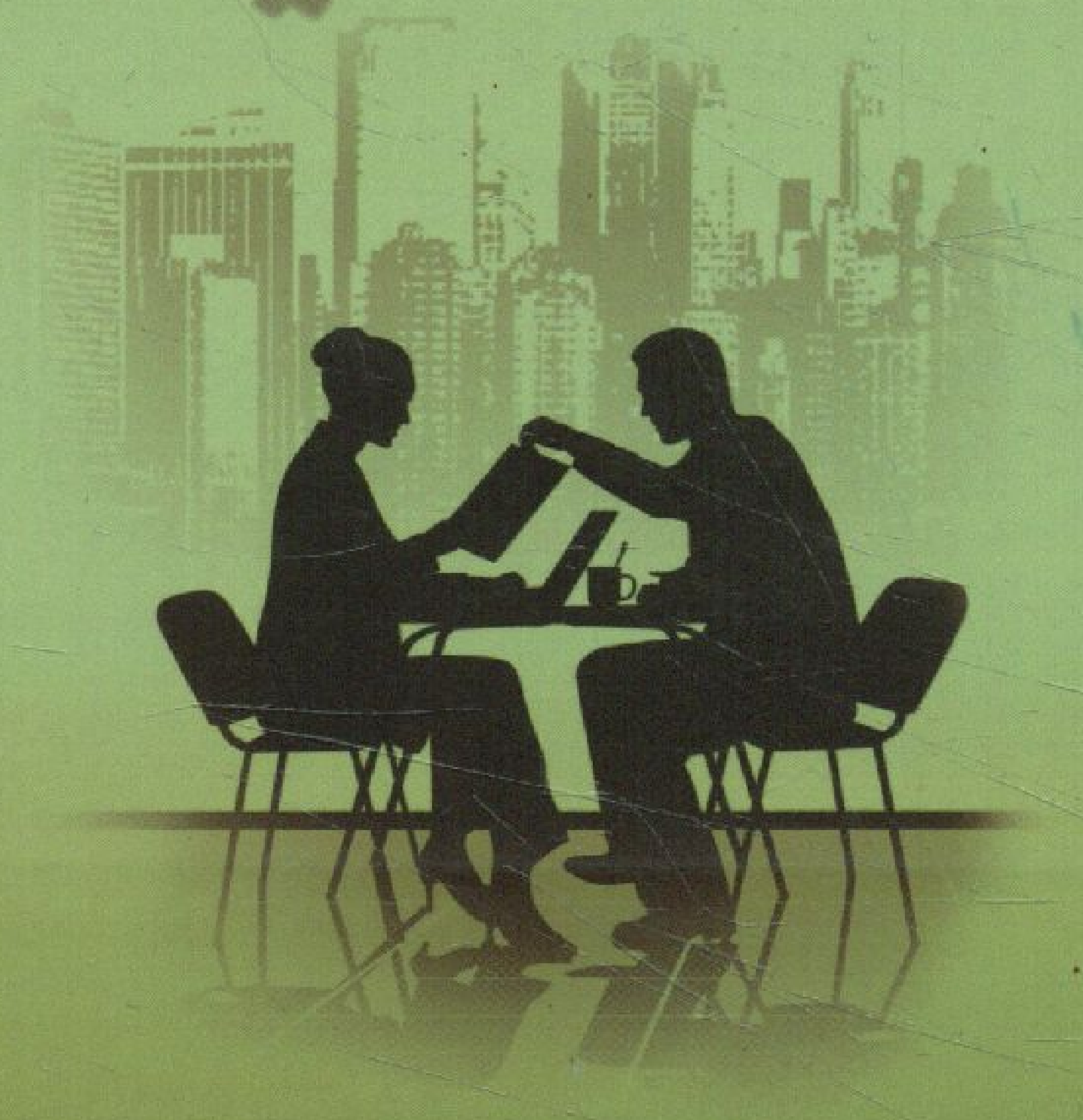
10. سبيرينا.ن:**الحاسوب في خدمة الصحيفة** 1998ص46.

11. فيرخوفسكيا.ا.ي:**الصحافة و التعاون الجماهيري** (مرجع سابق)

12. نوفاجيلوف.ي:**المراسل الصحفي المحلي** موسكو 1996م.

-انتهى-

طرق الإبداع الصحفي





9789957333348



عمّان - شارع الجامعة الأردنية
مقابل كلية الزراعة
تلفاكس : 00962 6 533 7798
ص.ب 1527 عمان 11953 الأردن
E-mail: info@alwaraq-pub.com
E-mail: halwaraq@hotmail.com

www.alwaraq-pub.com